نموذج ترخيص

أنا الطالب : راضي محمد محمد الحلايقة أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

العلاقة بين مقاصد السعد والإعراب
العلة فيها "الجزء الثالث أنموذجاً".

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: راضي محمد محمد الحلايقة

التوقيع:

التاريخ: ١٨/٤/٢٠١٦م

العلاقة بين مقاصد السور والإشارات العلمية فيها
"الجزء الثلاثون أنموذجاً"

إعداد

راجـــي مُحيْـــسِن مُحـــمّد الهلالات

المشرف

الدّكتـــور سُلَيْمَان مُحمّد الدّقـــور

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في
التفسير وعلوم القرآن

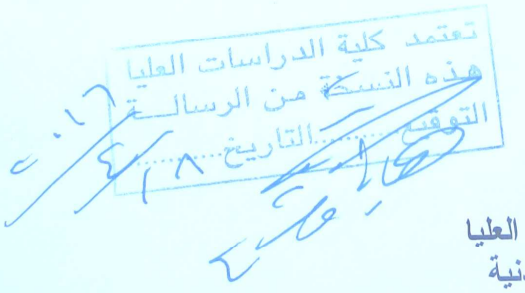

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

نيسان، ٢٠١٦م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (العلاقة بين مقاصد السور والإشارات العلمية فيها" الجزء الثلاثون أنموذجا") وأجيزت بتاريخ ٢٠١٦/٤/٤

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور سليمان محمد الدقور، مشرفاً أستاذ مشارك- التفسير	.....
الدكتور محمد خازر المجالي، عضواً أستاذ– تفسير	.....
الدكتور أحمد إسماعيل نوفل، عضواً أستاذ مشارك – التفسير	.....
الدكتور محمد رضا الحوري ، عضواً خارجيا أستاذ مشارك – التفسير	.....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ .....

اهداء

أهدي هذا الجهد لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شكر وتقدير

بادئ بدء أحمد الله ﷻ كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ثم الشكر له سبحانه، حتى يرضى وإذا رضي وبعد الرضى، وبعد:

فشكري الجزيل لشيخي وأستاذي وقرة عيني: فضيلة الدكتور: سليمان مُحمّد الدّقور – حفظه الله– والذي تشرفت بقبوله الإشراف على عملي، فأشكره على ما أولاني من عناية وأحاطني من اهتمام، وفرغ لي من وقته، فوجّه وصوّب، وشجع وتابع... فأسأل الله ﷻ أن يجزيه عني خير ما جزى أستاذا عن تلميذه، وأن يمدّه ووالديه بوافر الصحة والعافية. وأثني شاكرا لأساتذتي أعضاء المناقشة–رعاهم الله – والذين تكبدوا عناء القراءة، فأسأل الله أن يبارك عملهم وجهدهم، ثم شكري الخاص المتواصل لأهلي: أمي ووالدتي وأختي وزوجي وولدي وبنتي، وأخص بشكري أخي د. محمد محيسن. فرحمة الله وبركاته عليكم جميعا.

ر ا جـي

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	قرار لجنة المناقشة	ب
٢	إهداء	ج
٣	شكر وتقدير	د
٤	فهرس المحتويات	ه
٥	الملخص	ز
٦	المقدمة	١
٧	مشكلة الدراسة	٢
٨	أهمية الدراسة وأهدافها	٢
٩	حدود الدراسة	٢
١٠	المنهجية وطرائق البحث	٣
١١	الدراسات السابقة	٤
١٢	القيمة العلمية للدراسة	٦
١٣	**الفصل التمهيدي:** مفهوم العلاقة والمقاصد والإشارات العلمية	٧
١٤	المبحث الأول: العلاقة	٧
١٥	المطلب الأول: معنى العلاقة	٨
١٦	المطلب الثاني: أهميتها	٩
١٧	المطلب الثالث: سبل الوصول إليها	١٠
١٨	المبحث الثاني: المقاصد القرآنية	١١
١٩	المطلب الأول: معنى المقاصد ودلالاتها	١١
٢٠	المطلب الثاني: العلاقة بين مقصد السورة وأغراضها	١٢
٢١	المطلب الثالث: أهمية تحديد مقاصد السور	١٣
٢٢	المطلب الرابع: سبل الكشف عن المقاصد القرآنية	١٤
٢٣	المبحث الثالث: الإشارات العلمية	١٧
٢٤	المطلب الأول: معانيها ودلالاتها وأنواعها	١٧
٢٥	المطلب الثاني: علاقة الإشارة العلمية بالتفسير العلمي والإعجاز العلمي	١٩
٢٦	المطلب الثالث: أهمية إيراد الإشارات العلمية في القرآن الكريم	٢٠
٢٧	**الفصل الأول:** الأعيان السفلية	٢٣
٢٨	المبحث الأول: الأرض	٢٤
٢٩	المطلب الأول: مهاد الأرض	٢٥
٣٠	المطلب الثاني: دحو الأرض	٣٠
٣١	المطلب الثالث: شق الأرض	٣٦
٣٢	المطلب الرابع: القسم بالأرض ذات الصدع	٤٢
٣٣	المطلب الخامس: تسطيح الأرض	٤٨
٣٤	المطلب السادس: القسم بالأرض وما طحاها	٥٣
٣٥	المبحث الثاني: الجبال	٦٠
٣٦	المطلب الأول: الجبال أوتاد	٦١
٣٧	المطلب الثاني: إرساء الجبال	٦٤
٣٨	المطلب الثالث: نصب الجبال	٦٧
٣٩	المبحث الثالث: الماء	٧٠
٤٠	المطلب الأول: نزول الماء الثجاج من المعصرات	٧١
٤١	المطلب الثاني: إخراج الماء من الأرض	٧٥
٤٢	المطلب الثالث: صب الماء	٧٧

الرقم	الموضوع	الصفحة
٤٣	**الفصل الثاني:** الأعيان العلوية	٨٠
٤٤	المبحث الأول: السماء	٨١
٤٥	المطلب الأول: بناء السماء	٨٤
٤٦	المطلب الثاني: القسم ببروج السماء	٩١
٤٧	المطلب الثالث: القسم بالسماء ذات الرجع	٩٦
٤٨	المطلب الرابع: رفع السماء	١٠١
٤٩	المبحث الثاني: الشمس	١٠٦
٥٠	المطلب الأول: السراج الوهاج	١٠٧
٥١	المطلب الثاني: القسم بالشمس	١١٠
٥٢	المبحث الثالث: القمر	١١٤
٥٣	المطلب الأول: القسم باتساق القمر	١١٥
٥٤	المطلب الثاني: القسم بالقمر إذا تلا الشمس	١٢٠
٥٥	المبحث الرابع: القسم بالخنس والطارق	١٢٤
٥٦	المطلب الأول: القسم بالخنس	١٢٤
٥٧	المطلب الثاني: القسم بالطارق	١٢٩
٥٨	**الفصل الثالث:** الأعراض والظواهر الكونية	١٣٥
٥٩	المبحث الأول: الليل	١٣٦
٦٠	المطلب الأول: الليل لباس	١٣٨
٦١	المطلب الثاني: إغطاش الليل	١٤٠
٦٢	المطلب الثالث: عسعسة الليل	١٤١
٦٣	المطلب الرابع: القسم بالليل وما وسق	١٤٤
٦٤	المطلب الخامس: القسم بالليل إذا يسر	١٤٧
٦٥	المطلب السادس: غشيان الليل	١٥١
٦٦	المطلب السابع: القسم بسجي الليل	١٥٥
٦٧	المطلب الثامن: الاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب	١٥٩
٦٨	المبحث الثاني: النهار	١٦٤
٦٩	المطلب الأول: النهار معاش	١٦٤
٧٠	المطلب الثاني: القسم بتجلي النهار	١٦٦
٧١	المبحث الثالث: القسم بالشفق	١٧١
٧٢	المبحث الرابع: الصبح والفجر والفلق	١٧٤
٧٣	المبحث الخامس: الضحى	١٨٣
٧٤	المطلب الأول: إخراج الضحى	١٨٤
٧٥	المطلب الثاني: القسم بضحى الشمس	١٨٦
٧٦	المطلب الثالث: القسم بالضحى	١٨٩
٧٧	المبحث السادس: القسم بالعصر	١٩٣
٧٨	الخاتمة	١٩٧
٧٩	المصادر والمراجع	١٩٩
٨٠	الملخص باللغة الانجليزية	٢١٩

العلاقة بين مقاصد السور والإشارات العلمية فيها "الجزء الثلاثون أنموذجاً"

إعداد

راجـــي محيـــسِن محمّـــد الهـــلالات

المشرف

الدكتور ســـليمان محمّد الدّقـــور

الملخص

تناولت هذه الدراسة بالبحث: مقاصد السور والإشارات العلمية فيها، هادفة إلـــى ايجـــاد العلاقة بين مقصد السورة والإشارات العلمية الواردة فيها، وقد قامت الدراسة على مقدمة وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول رئيسة، ثم الخاتمة والتوصيات.

أما المقدمة فقد تناولت فيها الحديث عن أهمية الدراسة وأهدافها، وحدودها، وإجراءاتهـــا، وأهم الدراسات السابقة. ثم كان الفصل التمهيدي مدخلا للدراســـة، وقـــد خصـــصته للدراســـة النظرية، فقسمته إلى ثلاثة مباحث، الأول: لدراسة معنى العلاقة، وأهميتها، وســـبل الوصـــول إليها. والثاني: للمقاصد: من حيث معانيها، والفرق بينها وبين أغـــراض الـــسورة، وأهميتهـــا، ومسالك الكشف عنها. والثالث: للإشارات العلمية: من حيث معانيها وأنواعها، وعلاقتها بالتفسير العلمي والإعجاز العلمي، وأهميتها.

ثم خصصت الفصول التالية للدراسة التطبيقية، بكشف العلاقة بين مقاصد سور الجـــزء الثلاثين والإشارات العلمية الواردة فيها، فتناولتُ في الفصل الأول: ما يتعلق بالأعيان الـــسفلية الأرضية، وفي الفصل الثاني: ما يتعلق بالأعيان السماوية، وفي الفصل الثالـــث: مـــا يتعلـــق بالأعراض والظواهر الكونية.

وقد نهجتُ في كل إشارة على التفتيش عن معانيها، وتتبع حديث القرآن الكريم عنهـــا، والاعتناء بأقوال المفسرين فيها، مرجحا ما أراه بدليله، ومرجحا –أو مجتهدا–مقـــصد الـــسورة العام، والذي تصب فيه جميع أغراضها، وذلك بعد النظر في أقوال المفسرين. ثم الوصول إلـــى العلاقة بينهما، مع بيان أثرها في بناء السورة. وختمت الدراسه بأهم النتائج والتوصيات، حامدا ربي على جزيل النعم والأعطيات.

الكلمات الدالة: علاقة، مقصد، إشارات، علمية، الجزء الثلاثون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

بسم الله الأكرم، الذي علم بالقلم، فعلّم الإنسان مالم يعلم. أحمده ﷻ على عظيم النعم وجزيل المنن، متصلا حمده بأفضل صلاة وأعظم سلام على محمد وآله وصحبه الطيبين الكرام، وبعد:

فتعد الإشارات العلمية في القرآن الكريم، مجالا رحبا في الدراسات القرآنية المعاصرة؛ وبهذا فإن معظم الباحثين قام بالتطرق لمعاني هذه الإشارات ودلالاتها، محللا أو مقارنا أو ناقدا...، دون الغوص في عمق علاقتها بمقصد السورة، وسبب ذكرها فيها دون غيرها.

وبما أن الإشارة العلمية قد وردت ضمن مجموعة آيات، ثم ضمن سورة واحدة، وهذه السورة يحكمها مقصد عام، تتعاضد فيه وتتكامل جميع أغراض السورة وموضوعاتها، لبناء هذا المقصد، فإنه لا بد من أن يكون ثمة علاقة تربط هذه الإشارة بمقصد السورة. ومن هنا جاءت فكرة هذه الأطروحة، والتي أحاول فيها أن أحدد مقصد السورة التي وردت فيها الإشارة، ثم أتناول الإشارة بالبحث والدراسة بين المفسرين المتقدمين والمتأخرين؛ للوقوف على مدلولاتها، ثم، أبحث بعد ذلك عن سر العلاقة بينهما، والتي بدورها تبرز تلكم اللبنة في خدمة المقصد.

ولما كانت الإشارات العلمية في القرآن الكريم من الكثرة بمكان، فقد رأيت أن اختار أنموذجا للدراسة، وبعد طول نظر اعتمدت الجزء الثلاثين؛ لعدة أسباب، منها أنه:

أولا: أكثر أجزاء القرآن تنوعا في السور والمقاصد، إذ يحتوي على سبع وثلاثين سورة.

ثانيا: أكثر أجزاء القرآن الكريم ذكرا للإشارات العلمية، فقد ذكر أكثر من مائة وثلاثين إشارة.

ثالثا: تنوع الإشارات الموجودة في الجزء، وفيه مجموعة إشارات لم ترد إلا فيه.

رابعا: كثرة القسم بالإشارات العلمية فيه.

وقد حاولت جاهدا أن أحقق الهدف الذي من أجله قامت الدراسة، فاطلعتُ خلال سير البحث على عشرات بل مئات الدراسات والأبحاث المتعلقة بالدراسة، كما حاولتُ أن أرسم صورة واضحة المعالم لفكرة البحث. ولا أكتم سرا أن قادح الشرارة الأولى لفكرة الدراسة: هو أستاذي الدكتور: جهاد النصيرات –حفظه الله– صاحبَ الذهن الطّلعة، والعقل النّسآلة، والذي رغب إلي بخوض غمار الدراسة، ولعل التلميذ يكون عند حسن ظن أساتذته.

والسعيد من عُدت غلطاته وهفواته...، ولذا فإذا كان من صواب فهو من حفظ الله ﷻ وتوفيقه، وإن كان من زلل فمن النفس المقصرة، والشيطان الموسوس، وأبرأ إلى الله ﷻ من كل زلة، فيعلم سبحانه أنني لم أرد غير الحق.

مشكلة الدراسة

جاءت هذه الدراسة مجيبة عن مجموعة أسئلة:

الأول: ما العلاقة بين مقاصد السور والإشارات العلمية فيها؟

الثاني: ما المراد بالعلاقة والإشارات العلمية ومقاصد السور؟

الثالث: ما الإشارات العلمية الواردة في الجزء الثلاثين؟

الرابع: ما مقاصد السور التي وردت فيها الإشارات العلمية في الجزء الثلاثين؟

الخامس: ما أقوال المفسرين المتقدمين والمتأخرين في تفسير الإشارات العلمية في الجزء الثلاثين؟

السادس: ما علاقة الإشارات العلمية الواردة في السورة الواحدة ببعضها؟

الثامن: ما أثر العلاقة بين مقصد السورة والإشارات العلمية فيها؟

أهمية الدراسة وأهدافها

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها خدمة لكتاب الله ﷻ ، كما أنه لم يسبق أن أفرد موضوعها بدراسة علمية مستقلة وافية، ثم الحاجة لبيان الحكمة من ذكر الإشارة العلمية بعينها في السورة دون غيرها.

وقد جاءت الدراسة لتحقيق عدة أهداف:

أولا: استقراء الإشارات العلمية في الجزء الثلاثين.

ثانيا: تحديد مقاصد السور المشتملة على الإشارات العلمية في الجزء الثلاثين.

ثالثا: معرفة أقوال المفسرين المتقدمين والمتأخرين في معاني الإشارات العلمية ودلالاتها.

رابعا: الكشف عن العلاقة بين مقصد السورة والإشارات العلمية فيها.

خامسا: بيان أثر إيراد الإشارات العلمية في خدمة مقصد السورة.

حدود الدراسة

نظرا لكثرة الإشارات العلمية الواردة في الجزء الثلاثين، والتي استقرأتها فوجدتها تربو على زهاء مائة وثلاثين إشارة؛ بعضها يختص بالعوالم العلوية، وأخرى بالأرضية، وثالثة بما

يتبعها من ظواهر كونية، ورابعة بالإنسان، وخامسة بالحيوان، وسادسة بالنبات، فقد ارتأيتُ أن أحدد الإشارات بما يختص بالعلمية الكونية منها، وهي: التي تتعلق بعلوم الفلك[١]، وعلوم الأرض(الجيولوجيا)[٢].

ولهذا لن يُتطرَّق للإشارات المتعلقة بالكائنات الحية عموما، من إنسان وحيوان ونبات، ولن يتطرق كذلك للإشارات المتعلقة بالقضايا الغيبية، كأحداث الساعة والقيامة، ووقائعها وما يتبعها. ولكن هذا كله لا يمنع من الإلماح للعلاقة بينها وبين غيرها من الإشارات العلمية الكونية ولو من طرف[٣]، إذا كان يخدم موضوع الدراسة.

المنهجية وطرائق البحث

قامت الدراسة على استقصاء الإشارات العلمية في الجزء الثلاثين، ثم وصفها، وبيان دلالاتها من خلال المقارنة بين أقوال المتقدمين والمتأخرين، ثم المنهج النقدي في طرد بعض الأقوال، والتحليلي في الترجيح، فكانت الدراسة بذلك قائمة على منهج تكاملي بين مجموعة مناهج.

وأما الاجراءات التي اتبعتها لدراسة هذا الموضوع: فقد قمت باستقراء الإشارات العلمية في الجزء الثلاثين، ثم رتبت فصول الدراسة ومباحثها بحسبها، وعرّفت بكل منها، مبينا حديث القرآن الكريم عنها، وحديث الجزء بخاصة. بعد ذلك تتبعت أقوال المفسرين الذين خاضوا في مقاصد السور، وسلكت سبلا عدة للوصول إلى المقصد الذي أرى أن السورة ترمي إليه.

بعد ذلك نظرت في معاني الإشارة الواردة ودلالاتها لدى المفسرين المتقدمين والمتأخرين، وفي مدى الموافقة أو الاختلاف بين الفريقين، ثم رجحت ما أراه بدليله. وأخيرا، قمت بالكشف عن العلاقة بين مقصد السورة والإشارة العلمية الواردة فيها، وأثر هذه العلاقة في بناء السورة وخدمة مقصدها، وخلال ذلك تعرضت للعلاقة بين الإشارات العلمية الواردة في السورة، ومدى تكاملها لخدمة مقصد السورة، ثم العلاقة بين مقاصد السور التي وردت فيها تلك الإشارة.

---

(١) وتشمل علوم الفلك: السماء و كل ما يتعلق بها من خلقها وعددها وصفاتها وما فيها من مجرات وأجرام وكواكب ونجوم، وهذا كله يؤخذ من لفظ السماوات بالجمع، أما بالإفراد فلها مدلول الغلاف الجوي للأرض، وما فيه من رياح وسحب، وأمطار، ثم صور الطاقة المختلفة من نور نهار، وظلمة ليل. ينظر: النجار، زغلول راغب محمد (٢٠٠٩م)، **مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة**، ط١،١م، دار المعرفة، بيروت، ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) ويشمل الحديث عن كل ما يتعلق بها: من يابسة وصخور وتربة، وما فيها من سهول وأودية وجبال، ومحيطات وبحار ومياه، وما فيها من معادن وكنوز. ينظر: **مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي**، في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ص٢٨٨-٢٩١، العبيدي، خالد فائق صديق (٢٠٠٤م)، **ومضات إعجازيّة من القرآن والسّنة النّبويّة**، (ومضات إعجازية)، ط١، ١٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤، ص١٠.

(٣) مع العلم أنه يمكن أن يكون هناك دراسات لتغطية هذا الجانب من البحث.

الدراسات السابقة

لم أحظ – وفقا لاطلاعي– بدراسة علمية أفردت البحث في موضوع العلاقة بين مقاصد السور والإشارات العلمية فيها[١]، لكنني حظيت بأبحاث علمية عالجت جانبا من جوانب هذه الدراسة، فهناك أبحاث ورسائل متعددة أفردت موضوع المقاصد القرآنية[٢]، ثم أبحاث ورسائل أخرى أفردت موضوع الإشارات العلمية في القرآن الكريم[٣].

هذا وإن أقرب الدراسات تعلقا بجزء من موضوع هذه الدراسة، هي تلك المختصة بموضوع التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في القرآن الكريم. وكان تعلقها به من جانبين، وهما: أن أكثر آيات القسم كانت بالإشارات العلمية، كما أن أكثر ورود الإشارات العلمية كانت بصيغة القسم. وقد وقفت منها على ما يلي:

أولا: رسالة ماجستير للباحث: خالد سيف الله سيفي، بعنوان: القسم في القرآن الكريم[٤]، وقد استقرأ فيها الباحث آيات القسم في القرآن الكريم، وبين العلاقة بين ركني الآية.

ثانيا: رسالة ماجستير للباحث: علي محمد الحارثي، بعنوان: أسلوب القسم في القرآن الكريم، دراسة بلاغية[٥]، وقد خصص فيها الباحث الباب الرابع، للبحث حول القسم بالمخلوقات، وذكر فيها العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه. واختار أربعة نماذج فقط، لكنه لم يتعرض للإشارات الواردة في الجزء الثلاثين.

---

(١) رجعت إلى الكشافات العلمية، وإلى مكتبات الجامعات والمساجد وفهارس الكتب، والمواقع على الشبكة العنكبوتية، مع سؤال أهل العلم المتخصصين، فتوصلت إلى اليقين بعدم التطرق إلى هذا الموضوع من قبل.

(٢) وهي: أولا: محمد بن عبد الله الربيعة، علم مقاصد السور.
ثانيا: عبد الكريم حامدي، المدخل إلى مقاصد القرآن.
ثالثا: مسعود بودوخة، جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم.
رابعا: أحمد الريسوني، جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم.
خامسا: عدنان عبدالقادر، اللمسات الحانية في مقاصد السور الغانية.
سادسا: محمد فاروق الزين، محاور السور وتكاملها وخلاصة معانيها.

(٣) ويدخل فيها معظم كتب التفسير والإعجاز العلميين. ومن تلك الدراسات:
أولا: كارم السيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم، بين الدراسة والتطبيق.
ثانيا: بن زيد باي، تفسير الظواهر الكونية في القرآن الكريم بين المتقدمين والمتأخرين، رسالة ماجستير.
وبعد النظر في النماذج التي اختارها الباحث يلحظ أنه قد درس إشارتين فقط، مما سيبحث في هذه الأطروحة. ويظهر أن مقصد هذه الأطروحة غير مغزى تلك الدراسة، والله تعالى أعلم.

(٤) بإشراف: محمد عبد المنعم القيعي، نوقشت بجامعة أم القرى، بمكة،١٩٨٣م.

(٥) بإشراف: فتحي فريد، نوقشت بجامعة أم القرى، بمكة، ١٩٩١م.

ثالثا: دراسة للباحث: محمد البع، بعنوان: القسم بالزمان في آيات القرآن، دراسة لغوية وحقيقة كونية[١]، ومع أنه ليس من مقصود الباحث تحديد العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه، إلا أنه نقل جوانب من هذه العلاقات، لكنها فقط في آيات القسم وما يتصل بالزمن فقط.

رابعا: بحث لناصر بن محمد آل عشوان، بعنوان: التناسب بين القسم المفرد وجوابه في القرآن الكريم[٢]، وأخبر في البحث أنه سيفرد القسم المتعدد بدراسة مستقلة.

خامسا: رسالة ماجستير للباحث: محمد بن علي القرني، بعنوان: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، وأثره في التفسير[٣].

وبعد اطلاعي على هذه الأبحاث، فقد وجدت أنها تفترق عن دراستي بعدة أمور، منها:

أولا: أنها تناولت آيات القسم فقط، والظاهر في القرآن أن القسم ليس دائما بالإشارات العلمية، فربما كان القسم بالله ﷻ، أو بالقرآن الكريم أو غيرهما.

ثانيا: أنه كثيرا ما كانت ترد الإشارات العلمية في القرآن الكريم دون صيغة القسم، وعليه فهذه الدراسات لم تتعرض لها. وأخيرا، فإن هذه الدراسات قامت بالربط بين المقسم به والمقسم عليه فقط، وقد تبين بعد الدراسة أن المقسم عليه ليس دائما هو مقصد السورة. وبهذا يتأكد لي انعدام طرق هذا الموضوع من قبل الباحثين والمتخصصين.

ثم اطلعت على بحث يتراءى للقارئ من عنوانه أنه قريب من هذه الدراسة، وهو للباحث علي الطاهر شرف الدين، بعنوان: التواؤم بين آيات الله القرآنية، وآياته الكونية[٤]، وقد كان مقصد الباحث منه: أن يقرر حقيقة أن العالم المنظور ما هو إلا تجليات لعالم الغيب، بمعنى: أن الأمور الكونية موصلة إلى الهداية، وهي طريق لمعرفة الله ﷻ. وبعد النظر في هذا البحث يتبين لي أن موضوعه يختلف تماما عما سأتناوله بالدراسة في هذه الأطروحة.

وأما الإشارات العلمية، فلا يخفى اهتمام المتأخرين بهذا النوع من الدراسات، وخاصة المتعلقة بموضوع التفسير والإعجاز العلميّين، حيث أقيمت مؤتمرات وندوات، بل وأنشئت معاهد وكليات، علاوة على إصدار الكتب والأبحاث والمنشورات، وإقامة المواقع العلمية والصفحات الإلكترونية على الشبكات...، ومعظمها ناقل من الآخر.

---

(١) مقدم لمجلة جامعة النجاح للأبحاث، (العلوم الإنسانية)، مجلد١٩، عدد(٣)، ٢٠٠٥م.

(٢) نشرته مجلة الدراسات القرآنية، في عدد(٦)، لسنة: ١٤٣١هـ: ص١٥٩-٢٠٦.

(٣) بإشراف: صديق أحمد مالك، نوقشت بجامعة أم القرى بمكة، ٢٠١٢م.

(٤) قدمه للمؤتمر العالمي للقرآن الكريم، ودوره في بناء الحضارة الإنسانية، المقام في السودان من١٥-١٧، كانون الأول، ٢٠١١م، والبحث يقع في بضع وخمسين صفحة.

وأعتقد –بحسب اطلاعي– أن من الأبحاث الفريدة التي طرقت هذه الموضوعات: أبحاث زغلول النجار، والتي جمعها في موسوعة واحدة باسم: موسوعة الإعجاز العلمي، في خمس مجلدات. وقد كان النجار في بعض الأحيان يلمح إلى العلاقة، فقبل أن يبين الإشارة العلمية ويفسرها علميا، يذكر السورة الواردة فيها، ويبين محورها ومقاطعها، وربما أشار أحيانا للربط بين الإشارة العلمية أو المظهر الكوني وبعض أغراض السورة، إلا أنني لن أقف عند حدود قول النجار، بل سأذكره وأبين صحته من عدمه، ثم أرجح ما أراه بدليله.

القيمة العلمية للدراسة

أحاول من خلال الوقوف على معاني الإشارات العلمية ودلالاتها، وتحديد مقصد السورة، أن أثبتَ وجود علاقة بين مقصد السورة القرآنية، والإشارات العلمية الواردة في ذات السورة، ثم أنظرَ في أثر هذه العلاقة في خدمة المقصد، والتي بدورها تعطي المتدبر تصورا أكثر شمولية لبناء السورة القرآنية، والذي هو دالة من دلائل إعجاز القرآن الكريم.

الفصل التمهيدي مفهوم العلاقة والمقاصد والإشارات العلمية، ويحوي ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العلاقة

المبحث الثاني: المقاصد القرآنية

المبحث الثالث: الإشارات العلمية

سأتناول في هذا الفصل: العلاقة والمقاصد والإشارات العلمية بالدراسة، وذلك ضمن ثلاثة مباحث: المبحث الأول: معنى العلاقة وأهميتها وسبل الوصول إليها. والمبحث الثاني: المقاصد القرآنية: من حيث معناها، والعلاقة بينها وبين أغراض السور، وأهميتها، وسبل الوصول إليها. والمبحث الثالث: الإشارات العلمية: من حيث معناها وعلاقتها بالتفسير والإعجاز العلمي، وأهميتها.

المبحث الأول: معنى العلاقة وأهميتها وسبل الوصول إليها

المطلب الأول: معنى العلاقة ودلالتها

ذكر أهل اللغة أن العلاقة: مفرد علاقات وعلائق، و(علِق): أصل يدل على إناطة الشيء بالشيء، أو نشوب الشيء بالشيء. وعلق به: إذا لزمه، ومنه العَلَقَة: وهي آلة البكَرة التي تثبت على رأس البئر، وهي أيضا دودة تتعلق بالحيوان[١]. ويبدو من الدلالة اللغوية للكلمة: أنها تدور حول معاني اللزوم بالشيء، وكذلك في الاصطلاح: فقد عرّفت بأنها: شيء يستصحب الأولُ الثانيَ[٢]، وقد بين أهل اللغة أن للعلاقة صيغتين:

الأولى: بفتح العين (عَلاقة).

والثانية: بكسر العين (عِلاقة)، ولكل من الصيغتين استعماله الخاص، فقد بينوا أن الأولى تستعمل في الروابط الذهنية. وأما الثانية: فتستعمل في الأمور الخارجية[٣]. أو بعبارة أخرى: أنها بالكسر: تستعمل في المحسوسات، وبالفتح: في المعاني. ومعنى القول: إن بين الأشياء عَلاقة، أي: شيءٌ يتعلق به أحدهما مع الآخر، وعلى هذا فقد كانت الصيغة المناسبة لعنوان الدراسة: العَلاقة بين مقاصد السور والإشارات العلمية فيها. والظاهر أن ما ذكره أهل اللغة في معنى المناسبة قريب جدا من هذه المعاني: إذ بينوا أن (نَسَبَ)، يدل على اتصال شيء بشيء.

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، (تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي)، دار الهلال، مصر،ج١، ص١٦١، ابن فارس، أحمد بن زكَريّا (ت: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، (معجم المقاييس)، (د.ط)،٦م، (تحقيق: عبد السَّلام هارون)، اتحاد الكتاب العرب، مصر، ٢٠٠٢م، ج٤، ص٩٨، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، ١٥م، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج١٠، ص ٢٦١-٢٧٠.

(٢) الجرجاني، علي محمد (ت:٨١٦هـ)، **التعريفات**،(د.ط)،١م، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٣م، ص١٥٧.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (**الصحاح**)، ط٤، ٦م، (تحقيق: أحمد عبد الغفور)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧ م، ج٤، ص١٥٣١، الكفوي، أبو البقاء أيوب (ت: ١٠٩٤هـ)، **الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية**، (الكليات)، (د.ط)١م، (تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري)، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٩٩٨م، ص٦٥٣.

وتأتي بمعنى القرابة، والمشاكلة والمشابهة[١]، ويبدو أن هذه المعاني تؤول في حقيقتها إلى معنى العلاقة وهي: الرابطة بين شيئين.

ولدراسة الروابط الخاصة بالقرآن الكريم، فقد قام علم المناسبات: وهو الذي تدرس به علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم[٢]. ويمكن أن يعرف على أنه: علم تدرس به العلاقة الرابطة بين الآيات والسور في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أهميتها

إن للوقوف على هذه العلاقة فوائد جمة[٣]، يمكن إيجازها بما يلي:

أولا: يمكن أن يسوق ذلك إلى الفهم الدقيق، بحيث يصل بالمتدبر إلى نظرة أكثر شمولية، وأدق عمقا للسور والآيات القرآنية. وهذا ما عبر عنه الزركشي بقوله: إن هذا العلم "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٤].

ثانيا: إن إدراك هذه العلاقات يسهم بشكل كبير في الوقوف على مقصد السورة العام.

ثالثا: بالتوصل لهذه العلاقات يمكن أن يُدفع توهم التباعد الظاهري بين الآيات والسور.

رابعا: إن دراسة العلاقات: هي مسألة تتعلق بنظم الآيات وترتيبها؛ ولهذا فإن في إظهارها إظهار لوجه جليل من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

خامسا: قد تبين لي بما لا يدع مجالا لشك، أن إدراك العلاقة يمكن أن يسوق المتدبر إلى إزالة اللبس عن دلالات الآيات، وبذلك فهي تعتبر مرجحا مهما للمعاني.

سادسا: إن في الوصول لهذه العلاقات والروابط إعانة على حفظ القرآن الكريم في الصدور.

---

(١) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٥، ص٣٣٩، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، ط٨، ١م، مؤسسة الرسالة، لبنان، ٢٠٠٥ م، ص١٣٧.

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت:٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**،(**نظم الدرر**)، (د.ط)، ٢٢م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ج١، ص٦. والمقصود بالعلل: المعاني التي تصلح أن تكون رابطة بين الآيات والسور. ويظهر من مراجعتي لكثير ممن بحث في بدايات هذا العلم، أنه ليس هناك أمرا متفقا عليه، لكن يعد الرازي صاحب مفاتيح الغيب، من أوائل الذين أشاروا لهذا العلم، وأن أبا بكر النيسابوري، ليس أول من تحدث فيه، فهو من علماء القرن السابع الهجري. ينظر البحث الماتع لعبد الحكيم الأنيس (٢٠٠٢م)، أضواء على ظهور علم المناسبة، **مجلة الأحمدية**، الإمارات، (عدد١١)، ص٥٩-٦٠.

(٣) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**،ج١، ص١١-١٢، بازمول، محمد بن عمر، **علم المناسبات في السور والآيات**، ط١،١م، المكتبة المكية، مكة، ٢٠٠٢م، ص٣٨-٤٠، الخطيب، عبد الله، ومسلم، مصطفى (٢٠٠٥م)، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، **مجلة جامعة الشارقة**، الشارقة، (عدد٢) مجلد٢، ص٦.

(٤) الزركشي، بدر الدين بن محمد (ت: ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، ٤م، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، ١٩٥٧،ج١، ص٣٦ .

ولا يخفى أن هذا علم جليل دقيق خفي المدارك، ولذلك فإن الوصول للعلاقات يحتاج إلى طول نظر وحسن تأمل، وهذا سبيل عزيز للحصول على الأجر والثواب.

المطلب الثالث: سبل الوصول إليها

ما دام أن التماس العلاقات في القرآن الكريم، أمر اجتهادي، فإنه يشترط لقبولها ما يشترط لقبول التفسير بالرأي[١]، وذلك بانسجامها مع السياق وتفسير الآية، وعدم معارضتها للشرع أو اللغة، وعلى المجتهد أن لا يجزم بها؛ لأنها عائدة إلى اجتهاده ورأيه.

ولقد تأكد أن من أهم أسباب الوصول للعلاقات: معرفة مقصد السورة العام؛ لأن جميع أغراض وموضوعات السورة يربطها مغزى واحد، فيسهل بذلك التوصل للروابط. وقد نبه على هذا المعنى البقاعي بقوله: إن هذا العلم-أي المناسبات-: "هو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة..."[٢]. وبهذا يتبين أن تحديد مقصد السورة: هو أول الطرق الموصلة للعلاقة.

ثم بعد ذلك لا بد أن يُعلم أن السورة مهما تعددت موضوعاتها، فلا بد أن يتعلق أولها بآخرها، وقد ذكر الشاطبي أنه: "لا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض"[٣]. وبين دراز[٤] أن السياسة الرشيدة للوصول للعلاقات والمناسبات تقتضي بأن تعرض السورة عرضا واحدا، بحيث يرسم به خطُ سيرها إلى غايتها، ويبرز به وحدة نظامها المعنوي في جملتها؛ كي ترى في ضوء هذا البيان كيف وقعت كل حلقة موقعها من تلك السلسلة العظمى[٥]. وبعد هذا على المتدبر أن يكرر النظر ويعيد التأمل مرة بعد أخرى، مستعينا بما آتاه الله ﷻ من مَلَكة وقدرة على الغوص في عمق المعاني، ليستخرج منها الكنوز.

---

(١) بازمول، **علم المناسبات في السور والآيات**، ص٣٧.

(٢) البقاعي، **نظم الدرر،ج١**، ص٦، وينظر: مسلم، مصطفى، **مباحث في التفسير الموضوعي**، دار القلم: دمشق، ط١،٤م، ٢٠٠٥م، ص ٤٥.

(٣) الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت: ٧٩٠هـ)، **الموافقات**، ط١، ٧م، (تحقيق: مشهور سلمان)، دار ابن عفان، الأردن، ١٩٩٧م، ج٤، ص٢٦٦.

(٤) محمد عبد الله دراز، ولد عام ١٨٩٤م، بمصر، حصل على العالمية سنة ١٩١٦ م، استغرق ست سنوات في تحضير رسالتي الدكتوراه باللغة الفرنسية، ونوقشت أمام لجنة من كبار المستشرقين، ومُنِح الشهادة سنة: ١٩٤٧م، توفي: ١٩٥٨. نويهض، عادل، **معجم المفسرين**، ط٣ ،٢م، مؤسسة نويهض، لبنان، ١٩٨٨،ج٢، ص٥٦٤، مجموعة من العلماء والباحثين، **الموسوعة العربية الميسرة**، ط١، ٧م، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م، ج٣، ص١٤٩٣.

(٥) دراز، محمد عبد الله (ت: ١٩٥٨)، **النبأ العظيم**، ط١،١م، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥، ص١٥٨.

المبحث الثاني: المقاصد القرآنية: معناها، والعلاقة بينها وبين أغراض السور، وأهميتها، وسبل الوصول إليها.

المطلب الأول: معنى المقاصد ودلالاتها

ذكر أهل اللغة أن المَقاصِد: جمع مَقصَد، وهو من القَصْد: ويعني استقامة الطريق واعتداله، أو التوجه نحو الشيء وإتيانه[١]، والمعنى الثاني: هو المراد لدى الأصوليين والمفسرين[٢].

وقد ورد أصل (قصد) في القرآن الكريم، في ستة مواضع[٣]، ووجدت أنها جميعا دالة على الاعتدال والاستقامة. والمقاصد الشرعية تعني: الوقوف على المعاني والحكم الملحوظة للشارع في التشريع[٤]. أما مقاصد القرآن الكريم: فهي: الغايات التي نزل القرآن لأجل تحقيقها[٥]. وبمعنى آخر: هي بواعث تشريع الخطاب، وبواعث ترتيبه[٦]. ومقصد السورة: هو الباعث على تسويرها. بمعنى: الموضوع الرئيس الذي تدور حوله السورة. ويمكن القول: إنه مغزى السورة الذي يرجع إليه مضمون السورة ومعانيها.

أما علم مقاصد السور: فهو علم يعرف به مغزى السورة الجامع لمعانيها ومضمونها[٧]، ويمكنني القول: إنه العلم الذي يتوصل به إلى الوقوف على المحور الرئيس والغرض الأساس الذي جاءت السورة لتقريره. وبذلك فإن هذا العلم يساعد على فهم آيات القرآن الكريم وتدبرها.

وعلى ما سبق ينبغي أن يفرَّق بين مفهومين للمقاصد:

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٥، ص٥٤، الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ط١، ٨م، (تحقيق: محمد عوض)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ج٨، ص٢٧٤، الجوهري، **الصحاح**، ج٢، ص٥٢٤، ابن فارس، **معجم المقاييس** ،ج٥، ص٧٩، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٣٥٣.

(٢) الحليبي، فيصل، **مقاصد المكلفين عند الأصوليين**، ط١،١م، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٩م، ص٢٧.

(٣) عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: ١٩٦٨ م)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (المعجم المفهرس)، (د.ط)، ١م، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٣٦٤هـ، ص٥٤٥.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ)، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، (د.ط)، ٣م، (تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة)، وزارة الأوقاف، قطر، ٢٠٠٤م، ج٢، ص٢١. ويعد أول من عرف علم المقاصد كما ذكرت الباحثة رابح، أمينة (٢٠١٣م)، في أطروحتها: **مقاصد السور القرآنية**، دراسة نظرية تطبيقية، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة وهران، الجزائر، ص٧٥. ويظهر أن هناك اتجاهات عدة في تعريف المقاصد، حيث يرى بعضهم أن المقاصد هي المعاني والحكم الشرعية، ويرى آخرون أنها المصالح، ويرى بعضٌ آخر أنها الغايات، واتجاه رابع يجعل المقاصد في الأهداف. ينظر: عبد الله الزبير عبد الرحمن، مقال بعنوان: التعريف بمقاصد التكليف، **موقع عبد الله الزبير** عبد الرحمن،(د.ت).

(٥) ينظر: الحضيري، محمد عبد السلام (١٤٣١هـ)، بحث بعنوان: **مقاصد القرآن الكلية وأهميتها في التفسير الموضوعي**، مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق، جامعة الشارقة، يومي الأحد والإثنين،١١- ١٢، جمادى الأولى، نسخة الكترونية، ص٢.

(٦) رابح، **مقاصد السور القرآنية**، ص٨٢.

(٧) الربيعة، محمد بن عبد الله، **علم مقاصد السور**، ط١،١م، (د.ط)،٢٠١١م، ص٧.

الأول: بمعنى الحكم والأسرار، وهو ما يتناول في مجال المقاصد الشرعية.

الثاني: بمعنى المحاور الرئيسة والمغزى العام، ومجاله مقاصد القرآن الكريم.

والحق أن هناك علاقة بين مقاصد السور ومقاصد الشريعة بعامة[١]، إذ إن مقاصد السور: هي جزء من مقاصد القرآن الكريم الكلية، كما أن مقاصد الشريعة: هي جزء من مقاصد القرآن الكريم الكلية، فالعلاقة قائمة على العموم والخصوص، والله تعالى أعلم.

وقد تبين أن المفسرين قد يعبرون عن مقاصد السور بمصطلحات أخرى، تعتبر مرادفة لها في الدلالة، مثل: محور السورة ومغزاها، أوغرض السورة، أو الوحدة الموضوعية لها، أو موضوع السورة العام، أو مدار السورة، أو شخصية السورة، أو القيمة الأساسية في السورة.

المطلب الثاني: العلاقة بين مقصد السورة وأغراضها

إن مقصد السورة يختلف عن أغراضها، فأغراض السور: هي الموضوعات المتعددة التي طرقتها السورة، وقيل: هي "مجمل ما اشتملت عليه السورة من معان"[٢]. وقد كان بعض المفسرين يقدم للسورة بمقدمة، فيذكر فيها أغراضها وموضوعاتها، وهذا ما قام به الفيروزأبادي في البصائر، وابن عاشور في التحرير والتنوير، وغيرهم. في حين أن مقصد السورة: هو الغرض الأساس، والغاية التي يراد إيصالها من السورة، وبهذا فإن جميع الموضوعات المطروقة في السورة، تعود إلى مغزى واحد: هو مقصدها.

والعلاقة وثيقة بين هذين الجانبين: إذ إن المتدبر للسورة لن يصل إلى الغرض الرئيس منها، إلا بعد إدراك موضوعات السورة. وقد ذكر الفراهي[٣] ضابط المقصد، والذي أسماه بـ (عمود السورة)، فقال: هو "جماع مطالب الخطاب، فإليه مجرى الكلام، وهو المحصول والمقصود منه، فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنه يسري فيه كالروح...، وربما يحسن إخفاؤه،

---

(١) مسعود بودوخة (٢٠١١ م)، بحث بعنوان: **جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم**، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، بمدينة فاس، المملكة المغربية، ١٤-١٦، أبريل، ص٩٥٩.

(٢) المراغي، أحمد مصطفى (ت: ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، ط١، ٣٠م، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٦،ج٢١، ص١٢٢.

(٣) عبد الحميد الفراهي، ولد عام: ١٢٨٠هـ، بالهند، من أعظم علماء الهند في التفسير وعلوم القرآن، بقي مجهولا في البلاد العربية حتى وفاته، ولم يكتب عنه إلا بعد وفاته من قبل تلميذه: السيد سليمان الندوي، الذي رجح أن اسمه حميد الدين. توفي: ١٣٤٩هـ. ينظر: الشربجي، محمد يوسف (٢٠٠٤م)، بحث بعنوان: الإمام عبد الحميد الفراهي، ومنهجه في تفسيره نظام القرآن، **مجلة جامعة دمشق**، مجلد٢٠، (عدد٢): ص٤٨٢. ومحمد إقبال فرحات (٢٠٠٦م)، بحث بعنوان: أصول التفسير عند الفراهي، عرض ونقد، **مجلة جامعة الشارقة**، مجلد٣ (عدد٢): ص١٣٣.

فلا يُطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر فيه"[١]. ويؤخذ من هذا: أن من رام الوصول إلى مقصد السورة، فإن ذلك يتعذر من خلال المرور عليها كالبرق الخاطف، بل لا بد من التأني والتمعن، وإجالة النظر والفكر مرة بعد أخرى.

المطلب الثالث: أهمية تحديد مقاصد السور

لقد كانت أول بداية واضحة المعالم لبيان مقاصد السور، على يد البقاعي، في كتابه: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ثم واصل تجلية المقاصد في كتابه اللاحق: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وقد وصف البقاعي كتابه الأول بأنه كالمدخل للثاني[٢]. ويتبين هنا أن علم المقاصد القرآنية: يقوم على تحقيق الغرض من إنزال القرآن الكريم: وهو التدبر، قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩]، يقول الشاطبي: و"التدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد"[٣]، وفائدة التدبر: الوصول لمراد الله ﷻ من القرآن الكريم، ثم العمل به. وأعظم السبل الموصلة إلى مراد الله ﷻ: النظر في روح السورة ومقصدها.

ولا بد لمن أراد البحث في أي موضوع قرآني، أن يربط الموضع والموضوع المراد بيانهما: بالمقصد الخاص للسورة؛ وذلك "ليظفر بأسرار التنزيل، ويصيب مفصل البلاغة، ويحقق الهدف المراد"[٤]. فمعرفة مقصد السورة توصل إلى فهم السورة فهما دقيقا وشموليا، ولهذا فإن تحديد المقصد: يعدّ البوصلة التي ينبغي أن توجَّه دلالات الآيات إليها. وبهذا فإنها تحمي المتدبر للآيات الكريمة، من أن تتزلق به قدم فيهوي في الخطأ.

وذكر المحققون أنه بتحديد المقصد لا يجد الدارس فرصة الاستغراق في لونه الفني، لكنه قد يذكره عرضا، ولذا فإنه يجد نفسه دائما في دائرة موضوع واحد، محدد المعالم، متقيد بالآيات في حدود معانيها ومقاصدها، وحقائقها العليا[٥]، وبهذا فإنه يعد ضابطا لعملية التفسير.

---

(١) الفراهي، عبد الحميد (ت:١٣٤٩هـ)، **دلائل النظام**، ط١، ١م، المطبعة الحميدية، الهند،١٣٨٨هـ، ص١٦.

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، ج١٦، ص ١٧١، ونبه على هذا أحمد الريسوني (٢٠١١ م)، في بحث بعنوان: **جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم**، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، بمدينة فاس، المملكة المغربية، ١٦-١٥-١٤، أبريل، ص٩٣٧.

(٣) الشاطبي، **الموافقات**، ج٤، ص٢٠٩.

(٤) الخطيب، عبد الله (١٤٣١هـ)، بحث بعنوان: **مقاصد القرآن الكريم، وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني**، مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق، جامعة الشارقة،١١-١٢ جمادى الأولى، نسخة الكترونية.

(٥) سعيد، عبد الستار، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ط٢، ١م، دار التوزيع، مصر، ١٩٩١م، ص٥٣.

إضافة لذلك، فقد أوضح دراز أن تفسير القرآن الكريم باعتبار مقاصد سوره، يجعل كلام الله ﷻ مؤتلفا ومنتظما على نحو كمال نظمه، فتكون السورة بذلك كالبنيان المرصوص، وكالعقد المتناسق(١). وقد استطاع البقاعي من خلال مقصد السورة أن يؤسس لنظرية التناسب القرآني، ونظرية الوحدة القرآنية في السورة، واستطاع كذلك أن يوظف هذا في العملية التأويلية، فيلاحظ بهذا أنه يقوم بتوجيه المتشابه اللفظي وفق المقصد(٢).

ثم إن من أعظم ما يتحقق بالوقوف على مقاصد السور: ربط الآيات والسور بالواقع؛ ذلك أن المتدبر لمقصد السورة يعايش السورة معايشة تبعثه على التفاعل والعمل بكل آية من آيات السورة. وأخيرا، فإن علم مقاصد السور: يبعث على رسوخ الإيمان(٣)، لما يتحصله القارئ من معان ودلالات في كتاب الله تعالى.

المطلب الرابع: سبل الكشف عن المقاصد القرآنية

على المتدبر قبل أن يسلك طريق الكشف عن مقصد سورة من القرآن الكريم، أن ينضبط بعدة أمور(٤)، أهمها:

أولا: أن يخلص لله ﷻ، ويلحق بهذا صدق القلب، مع كثرة دعاء الله ﷻ بأن يوفقه للحق.

ثانيا: أن يلم بمقاصد الشريعة بعامة، والقرآن الكريم بخاصة. فمقاصد السور تتفرع عن مقاصد القرآن، كما أن مقاصد الشريعة الكلية، تتفرع عن مقاصد القرآن الكريم.

ثالثا: أن يتجرد من هواه وتعصبه ومقرراته السابقة، بحيث لا يلوي عنق النص ليوافق مراده.

وبعد ذلك يسير في السبل الموصلة للمقصد(٥)، والتي يمكن تقسيمها إلى: سبل خارجية، وأخرى داخلية.

أما ما يتعلق بالسبل الخارجية، فيمكن إيجازها بالآتي:

أولا: فهم حقيقة المقصد، والتفريق بينه وبين موضوعات السورة وأغراضها، بحيث لا يخلط المتدبر بين الأمرين، فيذكر أحد المواضعات على أنها مقصد السورة العام.

---

(١) دراز، **النبأ العظيم**، ص١٥٥، ونقله الربيعة، **علم مقاصد السور**، ص١٢.

(٢) رابح، **مقاصد السور القرآنية**، ص٦١.

(٣) الربيعة، **علم مقاصد السور**، ص١٢.

(٤) ينظر: الحضيري، **مقاصد القرآن الكلية وأهميتها في التفسير الموضوعي**، ص٢٣.

(٥) ينظر في مجمل هذه السبل: مسلم، مصطفى، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ط٤، ١م، دار القلم، دمشق، ص٤١، الربيعة، **علم مقاصد السور**، ص٤٧-٥٧، أحمد الريسوني، **جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم**، ص٩٣٨، رابح، **مقاصد السور القرآنية**، ٢٠١٣م، ص٥٧.

ثانيا: كثرة النظر في كتاب الله ﷻ، وإجالة الفكر فيه، والوقوف عند آياته وسوره طويلا، والمعايشة الروحية له، فهذا كله يعد باعثا للوصول للمقاصد ؛ لأن الخروج بمقصد عام، ليس بذاك الأمر الهين، ولهذا كان تحديد بعض مقاصد سور القرآن الكريم، ربما أخذ من المتدبر أياما وشهورا، كما كان سيد قطب ينبه على ذلك في أكثر من موضع في الظلال(١)، ولهذا السبب كان يعيد تفسير بعض السور في الطبعات اللاحقة.

ثالثا: النظر للمكي والمدني من السور والآيات(٢)، فهي تؤثر في تحديد كثير من مقاصد السور. كما أن هناك مقاصد عامة متقاربة للسور المكية، وأخرى للمدنية.

رابعا: الاعتبار بسبب نزول السورة أو الآية، ومكان نزولها. يقول ابن عاشور: "إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه؛ لأن فيها بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيرا...، ومنها ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية، تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام"(٣)، وسيُلحظ في هذه الدراسة أن ملابسات نزول بعض سور الجزء الثلاثين، كان أمرا داعما لتحديد مقصدها.

خامسا: وقد تساعد الآثار المتعددة من السنة النبوية، أو أقوال الصحابة والتابعين في تحديد المقصد، كفضائل السورة، أو تلاوة النبي ﷺ لها في الصلاة، أو جمعه لها مع سورة أخرى، أو قراءتها في صلاة معينة، أو وقت معين...إلخ، كل ذلك يمكن أن يعد منطلقا في تحديد المقصد.

سادسا: ومما يساعد أيضا في الوصول إلى مقصد السور، إجالة النظر في كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، وخاصة ممن تطرقت للحديث حول أغراض السور ومقاصدها، مثل: بصائر ذوي التمييز للفيروزأبادي، ونظم الدرر للبقاعي، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، وتفسير المراغي، والمنير للزحيلي، وأهداف السور لشحاته، ومعارج التفكر للميداني، وغيرها.

وأما ما يتعلق بالداخلية منها، فيمكن إيجازها بما يأتي:

أولا: من خلال اسم السورة، فهناك علاقة وثيقة بين اسم السورة ومقصدها، فإن الاسم الثابت للسورة لم يحدد لها إلا لحكمة، ولعل هذه الحكمة مرتبطة بالمقصد. وقد قرر البقاعي هذه العلاقة

---

(١) ينظر على سبيل المثال: الجزء الأول من الظلال ص٢٨، و٣٥، و٢٣٨. وقد نبه على هذا الخالدي، صلاح عبد الفتاح، في كتابه: **مدخل إلى ظلال القرآن**، ط٢، ١م، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٠م، ص٢٤٦.

(٢) ينظر لأطروحة الباحث: البدوي، أحمد عباس (١٩٨١م)، **أهم خصائص السورة والآيات المكية ومقاصدها**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية. ورسالة الباحث:عادل محمد صالح(١٩٨٤م)، **خصائص السورة والآيات المدنية ومقاصدها**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ)، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (التحرير والتنوير)**،(د.ط)،٣٠م، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧ م، ج١، ص٤٧.

بقوله: إن" اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء، يُظهر المناسبة بينه وبين مسماه: عنوانُه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه..."(١).

ثانيا: الاسترشاد بمطلع السورة وفاتحتها وخاتمتها ومقاطعها، ثم البحث عن العلاقة بينها، فهذه مجتمعة: أمور توصل للمقصد. يقول الفراهي:" اعلم أن تعيين عمود السورة: هو إقليد لمعرفة نظامها...، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فتضيء به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها"(٢).

ثالثا: الاسترشاد بآيات من السورة، من خلال القراءة التدبرية لها. يقول الشاطبي: "التدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم–أي غير المتدبرين– أعرضوا عن مقاصد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر..."(٣).

رابعا: النظر في القصص الواردة في السورة، فإن القصة في السورة القرآنية لم توضع إلا لغرض، كما أن المقطع من القصة لم يدرج إلا لقيمة.

خامسا: جمع موضوعات السورة، ومحاولة ربط الموضوعات –التي يمكن أن تظهر متناثرة– بقواسم مشتركة ضمن عمود واحد، فيظهر بهذا المقصد الكلي للسورة. ويمكن للمتدبر أن يستعين بما كتبه المفسرون في موضوعات السورة، مثل الفيروزأبادي، وابن عاشور.

ويمكنني إضافة أمر داخلي هو ذو صلة بالنقطة السابقة، و يعدّ من أكثر الداعمين لتحديد مقصد السورة، وهي: الإشارات العلمية المذكورة في السورة، فقد تبين لي أن من أهم المحددات لمقصد سورة التكوير–مثلا– ذكر الإشارات المتعلقة بالخنس، والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس. وكذلك كانت الإشارات العلمية في سورة الطارق، من أهم المنطلقات في تحديد مقصدها.

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**،ج١، ص١٨.
(٢) الفراهي، **دلائل النظام**، ص٧٧.
(٣) الشاطبي، **الموافقات**،ج٤، ص٢٠٩.

المبحث الثالث: الإشارات العلمية: معناها وعلاقتها بالتفسير والإعجاز العلمي، وأهميتها

المطلب الأول: معانيها ودلالاتها وأنواعها

ذكر أهل اللغة أن الإشارات: جمع إشارة، وأصلها من (شَوَرَ)، وتأتي في اللغة بمعنى: الإيماء، فيُقال: أشار إليه وشوَّر: أي: أومأ[١]، ويكون ذلك بالكف أو العين أو الحاجب...، وفي الحديث أنه ﷺ: (كان يُشير في الصلاة)[٢] أي: يومئ باليد والرأس، بمعنى: يأمر وينهى بالإشارة[٣]. وهذا يعني أن في الإشارة تعبيراً عن معنىً من المعاني التي قد يُفهم منها المراد، ولهذا ففي الإشارة معنى: توجيه الرأي[٤].

و(العلمية): نسبة إلى العلم، الذي هو نقيض الجهل، قال ابن فارس: هو أصل يدل على أثر بالشيء، يتميز به عن غيره[٥]، وأرى أن العلاقة بين هذين المعنيين: تكمن في أن من كان عالما فهو متميز عن غيره. وأما اصطلاحا: فالعلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو هو: إدراك الأشياء على حقيقتها[٦]. أما ما يقصد به هنا: فهو كل ما كان تحت نطاق الحس والتجارب[٧]. أو هو: ما قام على الملاحظة والتجربة، وخضع للقياس والاختبار.

والمقصود بالإشارت العلمية في هذه الدراسة: هي الأعيان والظواهر العلمية التي ذكرها القرآن الكريم، ويمكن القول: إنها الآيات التي حوت مضامين علمية، والتي تبرز بديع خلق الله ﷻ وعظيم صنعه، سواء المتصلة بالسماء وما فيها، أو الأرض وما تحوي، أو الإنسان أو الحيوان أو النبات.

---

(١) الفراهيدي، **العين**،ج١١، ص ٢٧٧، الجوهري، **الصحاح**، ج٢، ص ٧٠٤، ابن منظور، **لسان العرب**،ج١، ص٢٠١.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت:٢٤١هـ)، **المسند**، ط١، ٤٥م، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١ م، ج١٩، ص ٣٩٨، برقم: ١٢٤٠٧، وصححه المحققان.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**،ج٧، ص٢٣٥.

(٤) ابن فارس، **معجم المقاييس**،ج٣، ص ١٧٦.

(٥) الفراهيدي، **العين**،ج٢، ص١٥٢، الأزهري، **تهذيب اللغة**،ج٢، ص٢٥٤، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص٨٩، ابن منظور، **لسان العرب**،ج١٢، ص٤١٧.

(٦) الجرجاني، **التعريفات**، ص١٥٥. وقد ذكر له الجرجاني تسع تعريفات.

(٧) علوان، عبد الله ناصح (ت: ١٩٨٧م)، **ثقافة الداعية**، دار السلام، القاهرة،(د.ط)، ص٣٠٧.

وقد لقي تسميتها بـ(العلمية) انتقاداتٍ واسعة من بعض الذين انبروا لهذا النوع من الدراسات، لكنه يظهر أن تسميتها بذلك ليس من باب أن غيرها ليس له صلة بالعلم، وإنما من باب تعلقها بالعلوم الكونية التجريبية[١]، ولهذا فلا غضاضة من وصفها بالعلمية.

وتنقسم الإشارات العلمية إلى أقسام عدة بحسب اعتباراتها[٢]، وأهمها:

الاعتبار الأول: بحكم واقعها، ويمكن تقسيمها إلى نوعين:

الأول: العوالم العلوية، ويقصد بها السماء وما يتعلق بها من أبراج وكواكب ونجوم ومدارات، وما يتصل بذلك مما يدخل في علم الفلك.

الثاني: العوالم السفلية، وهي ما دون العوالم العلوية: ويقصد بها الأرض وما يتعلق بها، من أحياء ونباتات وجبال وماء وسحاب.

الاعتبار الثاني: من حيث العينية، وتنقسم إلى نوعين:

الأول: أن تكون من الأعيان الظاهرة، كالشمس والقمر والنجوم والأرض والجبال... .

الثاني: أن تكون من الأعراض–وهي التي تقوم بغيرها– وتسمى: الظواهر الكونية، كالليل والنهار والضحى والعصر... .

الاعتبار الثالث: من حيث الاستدلال لها، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأول: حسي، لا يحتاج إلى نظر واستدلال أو دليل شرعي، كطلوع الشمس من مشرقها.

الثاني: نظري، يحتاج إلى نظر واستدلال، كمعرفة وقت الكسوف والخسوف.

---

(١) نبه غير واحد من المحققين: أنه ظهر في هذا العصر مدلول آخر للعلم، تلمس جوانبه في وصف الناس لهذا العصر بأنه: عصر العلم، ويقصدون به: العلم الطبيعي القائم على دراسة ما في الكون من مواد وعناصر وكائنات، لها خصائصها الذاتية وأنظمتها التي تحكمها من كيمياء وطبيعة وميكانيكا، وغير ذلك من علوم الطب والرياضة والفلك، وما يتضمنه ذلك من حقائق كونية، وأن العمل في إطار هذا المفهوم للعلم: هو تطبيق العلم عمليًّا، باستعمال الأجهزة والأدوات والوسائل الأخرى الحديثة من مختبرات ومراصد وتجارب واستنباطات منطقية. ينظر في هذه المعني ما كتبه: محمد اسماعيل ابراهيم، في: **القرآن وإعجازه العلمي**، (د.ط) دار الفكر العربي، (د.ت)، ص٤٤، الرومي، فهد بن عبد الرحمن، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، ط١، ٣م، رئاسة إدارات البحوث العلمية،السعودية، ١٩٨٦م،ج٢، ص ٥٤٦، السقا، مرهف عبد الجبار، **التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ضوابط وتطبيقات**، ط١، ٢م، دار محمد الأمين، سوريا،٢٠١٠م، ج١، ص٤٢.

(٢) ينظر: العبد الله، عبد العزيز بن خلف، **الأجزاء الكونية بين النقل والعقل**، ط١، ١م، دار البيان، سوريا، ١٩٦٩م، ص٩–٢٠، الوعلان (١٤٣٣ هـ)، **الآيات الكونية دراسة عقدية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الإمام، الرياض، السعودية، ص٢٥–٢٩.

الثالث: غيبي، لا يمكن معرفته إلا من طريق النصوص الشرعية، كطلوع الشمس من مغربها، وسجودها تحت العرش، وما يحدث للكون في آخر الزمان.

المطلب الثاني: علاقة الإشارة العلمية بالتفسير العلمي والإعجاز العلمي

تبين أن الإشارة العلمية: هي القضية الكونية المراد بيانها، ويمكن أن توضَّح هذه الإشارة على أنها تفسير علمي للآية، كما يمكن أن تطرح على أنها إعجاز علمي فيها. ويمكن أن يحدد الفرق بين هذه المصطلحات الثلاث من خلال بيان معنى التفسير العلمي والإعجاز العلمي، ثم من خلال الإجابة عن سؤال: هل كل آية تتضمن إشارة علمية تحمل إعجازا علميا؟

أما **التفسير العلمي**، فبعد النظر في مجموع مفاهيم المتأخرين له[١]، فأجد أنه: اعتماد قضايا العلم التجريبي في توضيح معاني الآيات الكونية في القرآن الكريم وتوسيع مدلولاتها. كما يمكن القول: إنه بيان للآيات الكونية في القرآن الكريم، في ضوء معطيات العلم الحديث، وغالبا ما يتم فيه إظهار وجه إعجاز القرآن الكريم.

وأما الإعجاز العلمي، فتكاد تتفق كلمة الباحثين على أنه: إخبار القرآن الكريم عن حقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها في الزمن السابق[٢]، وعلى هذا فإن الإعجاز العلمي: عائد في حقيقته إلى الإعجاز بالإخبار بالغيب، لكن في موضوع العلم التجريبي.

يتبين بعد هذا أن التفسير العلمي أعم من الإعجاز العلمي، ثم إنه لا بد أن يكون بينهما اختلاف في كيفية التناول، فالإعجاز العلمي يتعلق بالحقائق العلمية، وليس بالنظريات[٣]؛ لأنه في

---

(١) ينظر: الخولي أمين (ت١٩٦٦م)، **التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم**، ط١، ١م، طبعة دار الكتاب، لبنان، ١٩٨٢م، ص١٩، الذهبي، محمد حسين (ت: ١٣٩٨هـ)، **التفسير والمفسرون**، ٣م، مكتبة وهبة، القاهرة،ج٢، ص ٣٤٩، لاشين، موسى شاهين (ت: ٢٠٠٩م)، **اللآلئ الحسان في علوم القرآن**، ط١، ١م، دار الشروق: مصر،٢٠٠٢م، ص٣٣٦، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ط٣، ١م، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ٥٦٦، الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**،ج٢، ص٥٤٩.

(٢) عبد الآخر، أحمد أبو الوفا، وغنيم، السيد كارم، **المعجزة الخالدة، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي**، ط١،١م، ٢٠٠٥م، ص ١٤. المصلح، عبد الله بن عبد العزيز، والصاوي، عبد الجواد، **الاعجاز العلمي في القرآن والسنة**، ط١، ١م، دار جياد، السعودية، ٢٠٠٨م، ص٢٨، الزنداني، عبد المجيد، **تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، ط١، ١م، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١١م، ص١٤. وقد جمع السقا معظم الاقوال في تعريفه وكلها يدور في ذات الفلك. ينظر: السقا، **التفسير والاعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ضوابط وتطبيقات،ج١، ص٨٨، الطيار، مساعد بن سليمان، **الإعجاز العلمي إلى أين؟**، ط٢، ١م، دار ابن الجوزي،١٤٣٣ هـ، ص١١٤.

(٣) تنظر هذه المسألة عند المصلح، عبد الله بن عبد العزيز، **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تاريخه وضوابطه**، ط٣، ١م، دار جياد، السعودية، ٢٠١١م، ص٤٢-٤٣. والفرق بين الحقائق والنظريات، أن الحقيقة: هي القضية العلمية التي تجاوزت مراحل الفرضيات، حتى أصبحت ثابتة ومجمعا عليها. أما النظرية: فهي التي ما زالت في طور التجربة لكنها أفضل الفرضيات، فهي قابلة للتغيير. ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٨.

موقف التحدي، بخلاف التفسير العلمي، ولهذا عرّف الزنداني[١] التفسير العلمي بأنه: الكشف عن معاني الآية في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات. وعليه فالإعجاز العلمي: متفق على معناه ودلالاته، بخلاف التفسير العلمي.

كما أنه يمكن أن تحدد العلاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي من خلال الإجابة عن سؤال: هل كل آية تتضمن إشارة علمية، تحمل إعجازًا علميًّا؟ وجوابا عن هذا فقد ذكر المحققون أن دائرة التفسير العلمي أوسع، ثم إنه لا يمكن أن يُعرَف الإعجاز العلمي إلا من خلال التفسير العلمي، كما أنه ليس كل تفسير علمي قابلاً لأن يكون إعجازًا علميا[٢]. وبما أن التفسير العلمي فيه توظيف لمكتشفات العلم التجريبي في بيان معاني الآيات القرآنية، فإن استخدام التفسير العلمي في إثبات صدق الرسالة: هو الإعجاز العلمي.

ولست هنا بصدد ذكر الاختلاف في التسمية، أو الاختلاف في الأخذ بالتفسير أو الاعجاز العلمي، وإيراد الأدلة على كل رأي، وإنما يكفي أن أشير إلى أن موقف أهل العلم تجاه حقل الإشارات العلمية وبيانها: طرفان ووسط، فمنهم من أفرط فيها[٣]، أخذا أو ردا، وأما الوسط: فهم قوم اعتدلوا في تفسيرها وبيانها، دون تعسف في تأويل أو خروج عن ضوابط[٤]، وهذا الحق.

المطلب الثالث: أهمية إيراد الإشارات العلمية في القرآن الكريم، وظاهرة الحشد منها في الجزء الثلاثين

لقد كثر في القرآن الكريم إيراد الإشارات العلمية، حتى عدها النجار أكثر من ألف إشارة[٥]، أما في الجزء الثلاثين فقد استقرأتُها فوجدتُ أنها تصل إلى زهاء: مائة وثلاثين إشارة،

---

(١) عبد المجيد الزنداني: ولد عام ١٩٣٨م، باليمن، وهو المؤسس لجامعة الإيمان فيها، ومؤسس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي (مكة المكرمة)، ورئيس مجلس شورى حزب التجمع اليمني للإصلاح، وأحد كبار مؤسسي جماعة الإخوان المسلمين في اليمن. ينظر: الزنداني، **تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، ص٢٤، وموقع جامعة الإيمان، وموسوعة الويكبيديا.

(٢) الشدّي، عادل بن علي، **التفسير العلمي للقرآن جذوره والموقف منه**، كتاب الكتروني، ص١٥.

(٣) ينظر أمثلة على الإفراط في هذا الجانب: كارم السيد غنيم، **الإشارات العلمية في القرآن الكريم، بين الدراسة والتطبيق**، ط١، ١م، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٩٠.

(٤) ذكر المحققون ضوابط القول بالتفسير والإعجاز العلميين، ينظر: المصلح، **الاعجاز العلمي في القرآن والسنة**، ص٢٦، السقا، **التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ضوابط وتطبيقات، ص١٧٧، الزيدي، هدى هشام (٢٠٠٥ م)، **الضابط اللغوي في التفسير العلمي**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة بغداد، العراق، ص١٠، النجار، زغلول راغب، **السماء في القرآن الكريم**، ط٣ ،١م، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٥م، **ص٢٠**، الطيار، **الإعجاز العلمي إلى أين؟** المقدمة.

(٥) زغلول راغب محمد النجار، ولد: ١٩٣٣م، بمصر، حاصل على الدكتوراه في علم الجيولوجيا، من أبرز المهتمين بالإعجاز العلمي، وله مجموعة كبيرة من الأبحاث في هذا المجال. ينظر: النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ص٥، وموقع النجار، وموسوعة الويكبيديا. والنقل من النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ص١٦.

ومعظمها بصيغة القسم؛" لأن في أحوالها وأشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها من عجائب وغرائب: دلائل لمن يتدبر ويتفكر بأن لها خالقا مدبرا يقوم بشؤونها ويحصي أمرها، لا يشركه سواه في هذا الإبداع والصنع"(١). وقد أورد القرآن الكريم هذه الإشارات لعدة أمور(٢):

أولا: الشهادة لله سبحانه بطلاقة القدرة في إبداعه لخلقه. فحين يتأمل الإنسان في الكون ويتنبه إلى مدى دقته وتناسق نواحيه وأجزائه، فإنه يتوصل بذلك إلى الإيمان بالخالق سبحانه، ثم إلى إدراك ألوهيته وربوبيته المطلقة، ثم إلى إدراك أنه عبد لهذا الإله العظيم.

ثانيا: تدل على إعجاز القرآن البياني من خلال تجدد معاني الآيات، إذ إن كل أهل عصر يفهمونها بحسب العلوم المتاحة لهم.

ثالثا: على الإنسان أن يدرك أن الأعيان والظواهر العلمية والكونية مسخّرة لخدمته ومصلحته وحاجاته، فعليه أن يجد فيها–بمقدار ما يتسع له إدراكه وعلمه– دواء لمصائبه وحلّا لمشكلاته وفائدة لحياته. ومن ثم فإن على الإنسان أن يقبل على الكون تفهما له واستفادة منه. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩].

ويظهر أن كثيرا من المفسرين– وخاصة المتأخرين– قد اهتموا اهتماما بالغا بموضوع الإشارات العلمية في القرآن الكريم، ويمكن إجمال مبررات ذلك بما يأتي(٣):

أولا: أن الاهتمام فيها يحقق جانبا من جوانب تدبر كتاب الله ﷻ، فالقرآن الكريم أنزل علينا للتدبر والعمل، والإشارات العلمية فيه لا يمكن أن تفهم دلالاتها فهما سليما في إطار اللغة وحدها –على أهميته– فالوصول لحقيقة التدبر تجتمع فيه كل المعارف التي لها صلة بالآية.

ثانيا: يمكن أن تستغل الإشارات الكونية في دعوة من يهتمون بمجال العلوم التجريبية من غير العرب المسلمين، وخاصة أنه قد تبين أن المنهج التجريبي اليوم، والذي يعتمد على الملاحظة والاستقراء، قد أثبت كثيرا من القضايا العلمية في القرآن الكريم(٤)، مثل: مراحل تطور الجنين، وغيرها.

---

(١) **تفسير المراغي**، ج٣٠، ص١١٠.

(٢) ينظر: النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ص١٦، البوطي، محمّد سَعيد (ت: ٢٠١٣م)، **من روائع القرآن**، **ط**١،١م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩ م، ص٢٢٣.

(٣) ينظر: علوان، **ثقافة الداعية**، ص٣٠٨، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ص١٨.

(٤) ينظر: الراوي، قتيبة فوزي (٢٠١٢م)، بحث بعنوان: الاعجاز العلمي، وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، **مجلة الأستاذ**، (عدد٢٠١): ص٢٩٩.

ثالثا: أن الاهتمام بالإشارات العلمية في القرآن الكريم وبيان دلالاتها قد يكـــون داعمـــا مهمـــا لاستثارة عقول المسلمين، واستنهاض جهودهم نحو التفكير الابداعي، والتشجيع على الاهتمـــام بالعلوم التجريبية. والمشكلة اليوم: أن المسلمين جعلوا التفسير العلمي للقرآن الكريم، لا يعدو أن يكون" نوعا من المطابقة بين الإشارات العلمية وكشوف الآخرين للسنن الكونية...، وهذا يظهر مدى قصور المسلمين وعدم امتثال المنهج العلمي الذي تضمّنه القرآن الكريم ودعا إليه بوصفه الطريق الصحيح للاكتشاف"[١]، وبهذا فإن في الاهتمام بالإشارات العلمية تحفيزا للمسلمين للأخذ بأسباب النهضة العلمية المنطلقة من القرآن الكريم، والمنضبطة بضوابطه.

(١) زرزور، عدنان، **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه**، ط٢، ١م، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨ م، ص٢٣٥.

الفصل الأول: الإشارات العلمية المتعلقة بالأعيان السفلية (الأرضية)، ويحوي

ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأرض

المبحث الثاني: الجبال

المبحث الثالث: الماء

سأتناول في هذا الفصل: العلاقة بين مقاصد السور والإشارات العلمية المتعلقة بالأعيان السفلية، وتشمل: الأرض، والجبال، والماء. وقد ابتدأت بالسفلية لابتداء الجزء الثلاثين بها، ولهذا سأخصص مبحثا لكل إشارة.

المبحث الأول: الأرض

ذكر أهل اللغة أن الأرض: هي كل ما سفل في مقابل السماء[١]، ثم بينوا أن من معانيها: الطيبة الكريمة والزكية[٢]، والعلاقة بين المعنيين تظهر في أن الأرض: هي المحل الجامع للنبات، ولتحقق دلالة اسمها على هذا المعنى، جاء وصفها بذلك من لفظ اسمها، فقيل: أرض أريضة، للكريمة المنبتة[٣]. وذكر ابن الجوزي أنها سميت أرضا؛ لسعتها[٤]، لهذا فلفظ الأرض يشير إلى الاتساع والانبساط.

وذكر المتأخرون أن الأرض: هي الكوكب الثالث من حيث البعد عن الشمس، والخامس من حيث الحجم، وتسمى الكوكب الأزرق؛ لأن ثلثي سطحها مغطى بالماء[٥]. ويظهر أن الحديث عن حركتها وكرويتها، راجع في حقيقته إلى الأسباب التي جعلت الأرض ممهدة لحياة المخلوقات عليها.

---

(١) الجوهري، **الصحاح**،ج٣، ص ١٠٦٤، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج١، ص٩٥، ابن فارس، **مجمل اللغة**، ط٢، ٢م، (تحقيق: زهير عبد المحسن)، مؤسسة الرسالة، بيروت١٩٨٦ م، ج١، ص٩٢.

(٢) الفراهيدي، **العين**، ج٧، ص٥٥، الأزهري، **تهذيب اللغة**،ج١٢، ص٤٥، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، ط١،٥م، (تحقيق: يوسف الشيخ محمد)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٧، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد (ت: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**،(تاج العروس)، (د.ط)، دار الهداية، ج١٨، ص ٢٢٨.

(٣) البقاعي، **نظم الدرر**، ج١، ص٤٥، وذكره المناوي، عبد الرؤوف (ت: ١٠٣١هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط١،١م، عالم الكتب، ١٩٩٠م، ص٤٥، وينظر: الحرالي، علي بن أحمد (ت: ٦٣٨هـ)، **تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير**، ط١، ١م، (تحقيق: محمادي بن عبد السلام)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٩٧ م، ص ١٦٦.

(٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ط١،١م، (تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم)، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٩٨٤م، ص١٦٧. ونقل عن ابن فارس قوله: كل ما اتسع أرض. ولم أجده في الصاحبي أوالمقاييس. وقد ذكر لها ابن الجوزي سبع عشرة معنى، وأوصلها بعض الباحثين إلى أكثر من عشرين. العامودي، عبهرة سميح (٢٠٠٦م)، **الأرض في ضوء القرآن**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص ٧-١٦.

(٥) البعلبكي، منير، **موسوعة المورد العربية**، ط١، ٢م، دار العلم للملاين، بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص٦٧، والخطيب، أحمد شفيق، وخير الله، يوسف سليمان، **الموسوعة العلمية المعاصرة**، ط١ ،١م، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان،٢٠٠٤م، ص ٤٠٠، مجموعة من العلماء والباحثين، **الموسوعة العربية العالمية**، ط٢، ٣٠م، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ١٩٩٩م، ج١، ص٥٣١، محمدين، محمد محمود، والفراء طه عثمان، **المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة**، ط١،٤م، دار المريخ، ١٤٢٢هـ، ص١٠٩.

وقد ورد لفظ الأرض في القرآن الكريم أربعمائة وواحد وستين مرة[١]، وقد تبين لي أنها جميعا بلفظ المفرد، وورودها كان بدلالات متعددة[٢]، ثم إن القرآن الكريم لم يصرح بأصل الأرض كما صرح بأصل السماوات[٣]، كما ثبت في القرآن أن الأرض خلقت قبل السماوات، لكنها دحيت بعدها[٤]، وصرح القرآن كذلك بأن للأرض نهاية[٥]، كما كان لها بداية. وأما في الجزء الثلاثين، فقد استقرأت لفظة الأرض فوجدتها قد وردت اثنتي عشرة مرة، وما يدخل ضمن الدراسة، فستة مواضع[٦]، منها مرتان بأسلوب القسم، وهذه المواضع هي:

أولا: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ ﴾ [النبأ].

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ ﴾ [النازعات].

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ ﴾ [عبس].

رابعا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ ﴾ [الطارق].

خامسا: قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ ﴾ [الغاشية].

سادسا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ ﴾ [الشمس].

المطلب الأول: مهاد الأرض

موضع هذه الإشارة هو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ ﴾ [النبأ]، وهي أول إشارة علمية ترد في الجزء، ولم تذكر هذه الإشارة بهذا الوصف في القرآن الكريم إلا في هذا

---

(١) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص ٢٦.

(٢) وأهمها: أرض الجنّة، كما في [سورة الزمر آية ٧٤]، أو بمعنى الكرة الأرضيّة، كما في [سورة الأنعام: ١٦٥]، أو الطين والتراب، كما في [سورة عبس: ٢٦]. وقد ذكر لها ابن الجوزي سبع عشرة معنى، كلها تعود إلى المعنى الكلي، الذي ذكر في بداية المبحث. ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ص١٦٨-١٧٢.

(٣) [سورة فصلت، آية١١].

(٤) [النازعات، آية ٣٠].

(٥) [الفجر، آية ٢١].

(٦) المواضع الأخرى: [النبأ، آية ٢٧] ، [الانشقاق، آية ٣]، [البروج، آية ٣]، [الفجر، آية ٢١]، [الزلزلة، آية ١-٢].

الموضع، أما بلفظ مهدا: فقد وردت مرتين[١]. ولا بد – في البداية– أن نحيط خبرا بمقصد سورة النبأ، ثم بمعاني الإشارة.

أولا: مقصد سورة النبأ

إن معظم سور الجزء الثلاثين: مكية، ويتكشف ذلك من خلال ملابسات نزولها وأسلوبها، ولهذا لا بد أن تشتمل هذه السور على مقاصد السور المكية بعامة، مثل[٢]: التوحيد، و البعث والجزاء، وكشف حال المؤمنين والكافرين فيه، وإبراز قضية الرسول والرسالة والقرآن الكريم، وأخيرا: إظهار آيات الله الكونية للتدليل على هذه القضايا.

وسورة النبأ: سورة مكية بالاتفاق[٣]، فلا بد أن تحوي مقاصد السور المكية، وقد نظرت في معظم أقوال المفسرين حول مقصد السورة، فلم أجد خلافا بينهم على أن مقصدها هو: القيامة والبعث، وإقامة الحجج والأدلة على إمكانهما، لكن على تنوع في العبارة.

فقد ذكر ذلك الفيروزأبادي، والبقاعي، وسيد قطب، وابن عاشور، والميداني[٤]، والزحيلي[٥]، وغيرهم[٦].

---

(١) في سورتي: [طه، آية: ٥٣]، و[الزخرف، آية: ١٠]. والمهد والمهاد: مصدران، وهما اسم لما يمهّد. محيسن، محمد سالم (ت: ١٤٢٢هـ)، **الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، ط١، ٣م، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧ م، ج٣، ص٤٢.

(٢) ينظر: البدوي، **أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها**، ص٣٦-٤٦.

(٣) نقل الاتفاق الشوكاني، محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، ط١، ٦م، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤ هـ،ج٥، ص ٤٣٧، والألوسي، شهاب الدين محمود (ت: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،(روح المعاني)**، ط١، ١٦م، (تحقيق: علي عبد الباري)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ ج١٥، ص ٢٠١، وخان، محمد صديق (ت: ١٣٠٧هـ)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، (د.ط)، ١٥م، المكتبة العصريّة، صيدا، ١٩٩٢، ج ١٥، ص٢٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**)، ج ٣٠ص٥. وعدد آياتها أربعون عند الجمهور، إلا البصري: إحدى وأربعون. الداني، عثمان بن سعيد (ت: ٤٤٤هـ)، **البيان في عد آي القرآن**، ط١، ١م، (تحقيق: غانم قدوري)، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٩٩٤م، ص٢٦٢.

(٤) عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة الميداني، ولد بدمشق عام: ١٩٢٧م، درس في الأزهر، وعمل في جامعات السعودية، كان مشروعه: الرد على أعداء الإسلام والتصدي للغزو الفكري، له العديد من الاسهامات في المكتبة الإسلامية. توفي عام ٢٠٠٤م. ينظر: موسوعة الويكبيديا.

(٥) وهبة مصطفى الزحيلي، ولد بدمشق، عام: ١٩٣٢م، أحد أبرز علماء السنة في العصر الحديث، حاصل على الدكتوراه في الشريعة عام: ١٩٦٣م، عين عضوا وخبيرا لكثير من المجامع الفقهية، توفي عام٢٠١٥م. ينظر: اللحام، بديع السيد، **وهبة الزحيلي، العالم الفقيه المفسر**، ط١، ١م، دار القلم، دمشق، ٢٠٠١م.

(٦) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر (ت: ٨١٧هـ)، **بصائر ذوي التمييز**، (د.ط)، ٦م، (تحقيق: محمد علي النجار) ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٩٩٦م، ج١، ص٤٩٧، البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٢١، ص ١٨٩، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٨٠١، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٦، الميداني، عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة (ت: ٢٠٠٤م)، **معارج التفكر ودقائق التدبر، ط١**، ١٥م، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٦م، ج١٥، ص٩، الصابوني، محمد علي، **إيجاز البيان في سور القرآن**، ط١،١م، دار الجيل، بيروت،٢٠٠١م، ص ٢١١، الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت:٢٠١٥م)، **التفسير المنير**، ط٣٠،٢م، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨ هـ، ج ٣٠، ص٦، نخبة من علماء التفسير، بإشراف: مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور**

☜

وعند النظر في اسم السورة، يُلحظ أن جمهور المفسرين يرون أن النبأ: هو البعث[١]، وكذلك فإن مقاطع السورة[٢] تدل على هذا المقصد. ومن خلال ما سبق فإنه يتبين أن مقصد السورة: هو **إثبات القيامة والبعث بالأدلة والبراهين.** وقد أرشدني الدكتور سليمان الدقور-حفظه الله- إلى أنه جاء الاهتمام بقضية البعث في أول سورة في الجزء؛ لأنه يشكل القوة التي تدفع المسلم للدعوة والعمل.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (المَهْد): أصل يدل على توطِئة للشيء وتسهيل له[٣]، وجعلُ الأرض مِهَادا أي: فراشا، والمعنى: ذللناها للخلق حتى سكنوها وساروا في مناكبها[٤]. ولم أجد خلافا بين **المفسرين المتقدمين** حول معنى الآية، فقد تنوعت عباراتهم لكنها تؤول إلى معنى: أن الله ﷻ جعل الأرض بساطا وفراشا وممهدة ومذللة للإنسان؛ لينتفع بما فيها[٥].

القرآن الكريم، (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم)، ط١، ١٠م، جامعة الشارقة، الإمارات، ٢٠١٠م، ج٩، ص٢، الطيار، مساعد بن سليمان، **تفسير جزء عم**، ط٨، ١م، دار ابن الجوزي،١٤٣٠ هـ، ص٢١، الحاشية، وينظر: عصام أسعد أحمد(٢٠١٢م)، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها**، دراسة تطبيقية في سور جزء عم، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص ١٦، مركز تفسير للدراسات القرآنية، **(المختصر في التفسير)**، ط٢، ١م، مؤسسة خير، ٢٠١٤م، ص٥٨٢، الطباطبائي، محمد حسين (ت: ١٤١٢هـ)، **تفسير الميزان**، (د.ط)، ٢٠م، جماعة المدرسين، الحوزة العلمية، قم، (د.ت)، ج٢٠، ص١٥٩، الإبراهيمي، علي، **لطائف ومعارف القرآن الكريم**، ط١، ٦ م، دار هيئة الأمين، العراق، ٢٠٠٦م، ج٢، ص٢٥٦.

(١) نقل رأي الجمهور الألوسي في تفسيره **روح المعاني**، ج ١٥، ص٢٠١، حوى، سعيد بن محمد (١٩٨٩م)، **الأساس في التفسير**، ط١، ١١م، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١١، ص ٦٣٣٤.

(٢) ويظهر أن السورة تحتوي على أربعة مقاطع:
الأول: (١-٥): ذكر موضوع التساؤل والوعد بالإخبار.
الثاني: (٦-١٦): ذكر الأدلة والبراهين على إمكان البعث.
الثالث: (١٧-٢٠): تحديد ميقات البعث، وهو يوم الفصل.
الرابع: (٢١-آخر السورة): ذكر مآلات الفريقين يوم البعث.

(٣) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٥، ص٢٢٥، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٤١٠.

(٤) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ)، **غريب القرآن**، (د.ط)، (تحقيق: أحمد صقر)، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨ م، ص٥٠٨، الزجاج، إبراهيم بن السري (ت: ٣١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، ط١، ٥م، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨ م، ج ٥، ص٢٧١.

(٥) الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، ط١، **٢٤م**، (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، لبنان،٢٠٠٠م، ج٢٤، ص١٥١، ولم يتعرض لها الماوردي، ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٤٥٠هـ)، **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، (د.ط)٦م، (تحقيق: السيد بن عبد المقصود)، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)،**ج٦، ص١٨٢**، البغوي، الحسين بن مسعود (ت: ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل، (تفسير البغوي)**، ط١، ٥م، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار إحياء التراث العربي، لبنان،٢٠٠٠م، ج٣، ص ٢٦٤، الزمخشري، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (الكشاف)**، (د.ط)،٤م، دار إحياء التراث، لبنان،(د.ت)، ج٤، ص ٦٨٥، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق ابن غالب (ت: ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (تفسير ابن عطية)**، ط١، ٦م، (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ،

☜

أما المتأخرون[١] فقد ذكروا أن كون المنعِم ﷻ مهّد الأرض، فهذا دليل على أنها لم تكن كذلك، وأن كل ما في الأرض من عوامل هدم وبناء، وما أودع فيها من عناصر ومعادن، وكذلك التنوع والتوازن البيئي فيها، بالإضافة للجاذبية ونِسَب الغازات...[٢]، كل ذلك من تمهيد الأرض للإنسان. وبهذا فإنه يتبين أن المتأخرين لم يخالفوا المتقدمين في تفسيرهم للآية، وإنما فصّلوا في ذكر صور تمهيد الله ﷻ للأرض.

ثالثا: علاقة مقصد سورة النبأ بالإشارة

لما تساءل المشركون عن يوم البعث إنكارا واستهزاء، جاء الرد برسم لوحة كونية دالة على قدرة الله ﷻ على البعث والنشور، وذلك بذكر مجموعة من الإشارات. وقد ناسب أن تبدأ الآيات الكريمة بذكر الأدلة على البعث: بالعالم الأرضي، ثم انتهت بالعالم العلوي.

وهنا ابتدأت الإشارات بجعل الأرض ممهدة للحياة، وجعل الجبال عاملا مساعدا لهذا التمهيد، ثم بعد أن منّ الله على الخلق بإيجادهم أزواجا، ذكّرهم بمقوّم آخر للحياة: وهو النوم، بمعنى: أن الإنسان "لم يعد قادرا على مواجهة الحياة بطاقة كافية"[٣]. فالنوم هو: عملية حياتية ضرورية، وهو آية من آيات الله العظيمة في الخلق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [الروم: ٢٣]. فكما كانت الجبال أوتادا للأرض، فتقطع حركتها؛ لئلا تميد وتضطرب، فكذلك جعل النوم قاطعا لحركة الإنسان.

ثم ذكّر بالعالم العلوي وابتدأ بالليل؛ لأنه موطن النوم، وهو الميتة الصغرى في الدنيا، وذكّر بعده بالنهار، وهو البعث الجديد في الدنيا، ثم بموضع ظهور الليل والنهار: وهي السماوات، وأخيرا بإنزال الماء وخروج النبات، وهذه من أعظم الصور الحسية على البعث. وبذلك فإنه

ج٥، ص٤٢٤، الرازي، محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط٣، ٣٢م، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ هـ،ج٣١، ص٨، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، (**تفسير ابن كثير**) ط٢، ٨م، (تحقيق: سامي بن محمد)، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٩م، ج٨، ص ٣٠٢.

(١) أقصد بالمتأخرين: المعاصرين وقت التقدم العلمي. وقد وجدت أن أكثرهم اهتماما بالقديم والجديد من الدراسات، وألصقهم بموضوع الإشارات الكونية: هو زغلول النجار، ولهذا حرصت أن أذكر رأيه في كل إشارة تعرض لها، مع عدم الاقتصار عليه.

(٢) ينظر: العبيدي، **ومضات إعجازية**، ج٤، ص١٠، النجار، زغلول راغب، **الأرض في القرآن الكريم**، ط١، ١م، دار المعرفة، لبنان، ٢٠٠٥م،ج٢، ص٢٠٦، متولي، أحمد مصطفى، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية**، (الموسوعة الذهبية)، ط١، ١م، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٢٣٩-٢٤٢، الصوفي، ماهر أحمد، **الموسوعة الكونية الكبرى**، (الموسوعة الكونية)، ط١، ١٣م، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م، ج٥، ص٢٠٢، الغيلي، عبد المجيد محمد، **الإنسان في الأرض**، كتاب إلكتروني،٢٠١٣م، ص٤٩.

(٣) الشعراوي، محمد متولي (ت: ١٩٩٨م)، **المختار من تفسير القرآن العظيم**، (د.ط)، ٣م، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ج٢، ص٤٢.

يظهر لي تكامل جميع الإشارات العلمية في السورة؛ لرسم صورة فنية غاية في الجمال؛ لخدمة موضوع البعث فيها.

وكان البدء بتمهيد الأرض في السورة؛ لأنها الأكثر لصوقا بالإنسان، وهي التي منها خلق وعليها سكن، وفيها يموت ويدفن ومنها يبعث، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طـه]. وكثيرا ما تذكر الآيات الكريمة أن أصل خلق الانسان من تـراب الأرض[١]، قال سيد قطب: " والإنسان ابن هذه الأرض، من ترابها نشأ، ومن ترابها تكوّن، ومـن ترابهـا عاش، وما في جسمه من عنصر إلا له نظيره في عناصر أمه الأرض"[٢].

وأكد المتأخرون هذا المعنى علميا، فأثبتوا أن التركيب الكيميائي لجسم الانسان يتشابه مع تراب الأرض، ودلّلوا على ذلك بذكر النِّسب والعناصر المتشابهة بينهما[٣]؛ ولذا فإن الآية موحية بالبعث؛ لأن الأرض التي خلقوا منها وهي مهاد لهم وهم أحياء، ستكون مهاداً لهم وهم أموات. وبهذا فإني أرى أن ورود هذه الإشارة في السورة، يعد مرحجا مهما لمقصد البعث فيها.

ويتبين كذلك أن القرآن الكريم قد ساق دليل تمهيد الأرض للإنسان ضمن أدلة البعث؛ ليؤكد أن الأرض لو لم تكن ممهدة لما استطاع الإنسان العيش والحياة عليها، فتمهيدها سبب لحيـاتهم وبقائهم. وقد خلعت الآيات على الأرض صفة الوطاء أو الفراش، فقرئ فـي غيـر المتـواتر: مهدا[٤]: وهو الموضع الذي يهيأ للصبي[٥]، وجاء هذا التمثيل من أجل تعميق حقيقة البعث؛ لأنه تذكير للناس بأول نشأتهم، وكما أن الإنسان لا يستغني عن الوطاء، فهو لا يستغني عن الأرض سواء حيا أو ميتا.

---

(١) ينظر سور: [آل عمران، آية: ٥٩]، [الكهف، آية: ٣٧]، [الحج، آية:٥]، [الروم، آية: ٢٠]، [فاطر، آية:١١]، [غافر، آية: ٦٧].

(٢) سيد قطب، إبراهيم حسين (ت: ١٣٨٥هـ)، **فـي ظـلال القـرآن**، ط٢٧، ٦م، دار الـشروق، القـاهرة، ١٩٩٨م،ج٤، ص ٢٤٠٩.

(٣) علي، محمد سامي، **الإعجاز العلمي في القرآن** الكريم، ط١، ١م، دار المحبة، دمـشق، ١٩٩٣م، ص١٠٠، النجار، زغلول راغب، **خلق الإنسان في القرآن**، ط١، ١م، دار المعرفـة، بيـروت،٢٠٠٦م، ص٢٨٩-٢٩٤، طبره، عبد الفتاح محمد (٢٠٠٨م)، بعنوان: خلق الإنسان من تراب، في **مجلة الإعجاز**، (عدد٥): ص٤٩.

(٤) اليشكري، يوسف بن علي (ت: ٤٦٥هـ)، **الكامل في القـراءات والأربعـين الزائـدة عليهـا**، ط١، ١م، (تحقيق: جمال بن السيد)، دار سما، ٢٠٠٧ م، ص ٦٥٦. قال ابن الجزري: "واتفقوا على الحرف الذي في النبأ أنه كذلك اتباعا لرؤوس الآي بعده". ابن الجزري، محمد بن محمد (ت: ٨٣٣ هـ)، **النشر في القراءات العشر**، (د.ط)، (تحقيق: علي محمد الضباع)، المطبعة التجارية، ج٢، ص٣٢٠.

(٥) الجوهري، **الصحاح**، ج٢، ص٥٤١، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص ٣٢٠، الزَّبيدي، **تاج العروس**، ج٩، ص١٩٠.

وكأن القارئ حين ينظر إلى مظهر الأرض الممهدة، يرى صورةَ الأم الحنون، التي تضمّ بنيها وتحتضنهم أحياء وأمواتا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات].

وذكر المفسرون أن الكفت: هو الجمع والضم، فالأرض تجمع وتضم إليها جميع البشر، فالأحياء يسكنون فوق ظهرها في المنازل والدور، والأموات يسكنون في بطنها(١).

وبناء على ما سبق فإن تلك الصورة التي يرسمها اللفظ الموحي لهذه الأعداد الهائلة من البشر الذين يتجمعون على ظهر الأرض وفي باطنها، هي صورة ضخمة مثيرة للخيال، دالّة على القدرة الإلهية الممسكة بهذه الأرض، التي لا تنوء بما تحمله من هذه الأثقال، وكأنها تحمل البشر ودائع عندها إلى اليوم الموعود(٢).

ومما سبق فإنه تتجلى في هذه الإشارة أيضا الدقة القرآنية في اختيار لفظ (المهاد) دون غيره، إذ لم يذكر هنا الأرض كونها مسطحة، أو ذات الصدع؛ لأن هذا اللفظ يخدم موضوع البعث بشكل مباشر، أكثر مما توحيه الإشارات الأخرى، فكل إشارة متعلقة بالأرض اختيرت في مكانها المناسب لمقصد السورة التي وردت فيها، كما سيتبين في الإشارات الأخرى.

وبما أن ورود هذه الإشارة في سورة مقصدها البعث، والذي يعد قوة دافعة للمؤمن كي يسعى ويؤثر، فإن في هذا ملمحا إلى أن المؤمن بالبعث لا بد وأن ينطلق من هذه القوة الإيمانية للقيام بوظيفته الكونية التي رسمها الله ﷻ له(٣)، فيكون إيمانه بالبعث داعما له للعمل والتأثير، وذكر تمهيد الأرض هنا: لأن الأرض تحوي كل الناس: برهم وفاجرهم، غنيهم وفقيرهم...، وكذلك هو الداعي، وتمهيد الأرض: الذي يدل على التوطئة والتسهيل، يشعر بما يجب على الداعي أن يتصف به عند عرض دعوته. وبذلك يتكشف لي أن هذه الإشارة العلمية الكونية – بموقعها ولفظها– قد أسهمت مباشرة، في خدمة مقصد البعث في سورة النبأ.

المطلب الثاني: دحو الأرض

لم ترد الإشارة بهذا الوصف في القرآن الكريم إلا في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات]، وهي ثاني الإشارات المتعلقة بالأرض في الجزء الثلاثين.

---

(١) الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، ط١،١م، دار الصابوني، القاهرة، ١٩٩٧م، ج٣، ص٤٧٧.

(٢) الراغب، عبد السلام أحمد، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ط١، ١م، فصلت للدراسات، حلب،٢٠٠١م، ص٢١٤.

(٣) أرشدني لهذا المعنى الدكتور الدقور–سلمه الله من الشرور–.

أولا: مقصد سورة النازعات

ذكر المفسرون الاتفاق على أن سورة النازعات مكية[١]، ويظهر هذا من خلال أسلوبها وموضوعاتها، فلا بد وأن تحوي موضوعات السور المكية، ولهذا فقد تبين لي أن معظم أقوال المفسرين في مقصدها: تدور حول مقصد سورة النبأ، لكن على اختلاف بسيط في العبارة بينهم، كما ظهر أن معظمهم قام بتعداد الموضوعات التي طرقتها السورة، والحق أنها تعود إلى موضوع القيامة والبعث، ولكن سيتبين الفرق الدقيق بين مقصدي سورتي النازعات والنبأ، بعد النظر في أقوال المفسرين حول مقصدها، ثم تحليل مقاطعها والنظر في ألفاظها.

فقد ذكر الفيروزأبادي أغراض السورة، وركز على موضوع البعث، وأكده البقاعي، وابن عاشور وغيرهما[٢]. كما أضاف سيد طنطاوي[٣] على مقصد البعث: إقامة الأدلة على وحدانية الله ﷻ، واشتمال السورة على مظاهر قدرته التي نراها ونشاهدها في خلقه للسموات وللأرض، وما اشتملتا عليه من عجائب[٤]، وبين الميداني أن مقصد السورة: القسم بالملائكة على تنفيذ أمر الله، وأكد على أن المقسم عليه هو: البعث[٥].

وبهذا فإن معظم المفسرين قد أشاروا إلى أن مقصد السورة العام هو: قضية البعث، لكن يظهر أنه لما كانت النازعات هي: الملائكة التي تنزع أرواح العباد[٦]: فإن السورة تتحدث عن فناء الإنسان وليس الكون ككل، مع أن معظم سور الجزء الثلاثين التي ذكرت موضوع القيامة، تحدثت فيها عن الانهيار الكوني، مثل سور الانفطار والتكوير والانشقاق...، ولذا بدأت سورة (والنازعات غرقا)، بذكر قصة موسى ﷺ مع فرعون الذي مات غرقا. ولما ذكره القرآن

---

(١) ذكر أنه بلا خلاف الشوكاني في **فتح القدير**، ج٥، ص٤٤٩، وذكر الاتفاق عليه الألوسي في **روح المعاني**، ج ١٥، ص ٢٢٣، وذكر صديق خان في **فتح البيان** أنه بلا خلاف، ج ١٥، ص ٧٣، وذكر الاتفاق ابن عاشور في **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٥٩.

(٢) ينظر: الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج١، ص٤٩٩، البقاعي، **نظم الدرر**،ج ٢١، ص ٢١٧. الزحيلي، في: **التفسير المنير**، ج٣٠، ص٣١، محمد عرفان عثمان (١٩٨١م)، **سورة النازعات وبيان أهدافها**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، ص٢٣١، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٦٠، الطباطبائي، **تفسير الميزان**، ج٢٠، ص١٧٩، عصام أسعد، في رسالته: **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها**، ص ١٨، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٩، ص٢١.

(٣) محمد سيد طنطاوي، ولد عام: ١٩٢٨م، حصل على الدكتوراه في التفسير والحديث عام: ١٩٦٦م، وعين شيخ الأزهر، له مؤلفات كثيرة. توفي عام:٢٠١٠م. ينظر: موقع دار الافتاء المصرية، وموقع الويكبيديا.

(٤) طنطاوي، محمد سيد (ت:٢٠١٠م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (الوسيط)**، ط١، ١٥م، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١٥، ص ٢٦١.

(٥) الميداني، **معارج التفكر**، ج١٥، ص ٤١.

(٦) **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٠٤، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٦٩٣، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٣٠، **تفسير القرطبي**، ج١٩، ص١٩٠، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣١٢.

الكريم كأنموذج للمكذبين بالبعث، أتبع ذلك بذكر الأدلة الكونية على قدرته ﷻ على البعث، ثم انتهى بالحديث عن الساعة وأحداثها وأقسام الناس فيها.

ويتبين كذلك أن السورة تسير في خط النزع من أولها إلى آخرها[١]، واختيار لفظ النزع في القسم، دال على الجذب والأخذ بقوة وشدة[٢]، وكذلك اختيار لفظ النشط، الذي يدل على الاهتزاز والحركة[٣]، ثم لفظ الراجفة كاسم للقيامة، بالإضافة لتكرار لفظ الخشية في السورة بشكل ملفت وعجيب، ثم ألفاظ الزجر والأخذ...إلخ، كل هذه الألفاظ تعطي دلالات القوة والهزّ العنيف لنفس الإنسان تجاه موضوع البعث والجزاء.

فإذا تقرر ما تقدم، فإنه يترجح أن السورة **تركّز على نزع طغيان النفوس، وهزّ القلوب التي تكذب بالبعث والجزاء**، وذلك من خلال عرض مشاهد القيامة والبعث والأدلة عليه، ثم بعد ذلك بيان مآلات المتقين والمجرمين[٤]. فكأن مقصد السورة غدا متمما لمقصد سورة النبأ، إذ دعت تلك السورة إلى الإيمان بالبعث، وخوفت هذه من التكذيب به. وقد أرشدني الدكتور الدقور –حفظه الله– إلى أنه كما أن سورة النبأ قامت بتشكيل القوة الدافعة للعمل من خلال ذكر الأدلة على البعث، فقد جاءت سورة النازعات لتهز القلوب بذكر مشاهد الآخرة؛ وذلك لتحث على العمل والسعي وتخوف من تركه، وأقوى شاهد على هذا المعنى: هو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [النازعات].

---

(١) وسورة النازعات تحتوي على خمسة مقاطع:
الأول: (١–٥): ذكر قضية النزع وما يرافقها.
الثاني: (٦–١٤): ذكر أعظم النزع هو انتهاء الحياة الدنيا.
الثالث: (١٥–٢٦): ذكر مثال واقعي على النزع.
الرابع: (٢٧–٣٣): ذكر الأدلة الكونية على قدرة الخالق على النزع.
الخامس: (٣٤–٤١): ذكر المآلات ووقت القيامة. وتبدأ هذه المقاطع بداية غريبة لم تعهد في السور التي قبلها، إذ هي أول سورة في ترتيب المصحف تجمع القسم بخمسة أمور، ماعدا سورة الذاريات التي جمعت القسم بأربعة أمور، وسورة النازعات أول سورة في الجزء تبدأ بالقسم مطلقا.

(٢) ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (تفسير السعدي)، ط١، ١م، (تحقيق: عبد الرحمن بن معلا)، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ص ٩٠٨، **المختصر في التفسير**، ص٥٨٣.

(٣) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٥، ص ٤٢٦.

(٤) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٩، ص ٢٧.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

بين أهل اللغة أن (دَحْوَ الأرض) يأتي بمعنى بسْطها وتمْهيدها[١]، وهو قريب من قول الله ﷻ ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾ [الشمس]، ومن معاني الدحْو أيضا: أدحيّ النعام، وهو الموضع الذي يفرخ فيه؛ لأنه يدحوه برجله ثم يبيض فيه[٢]، ولأنه يكون مستديرا. ومن هذا فإنه تشترك مادة (دحا) في الدلالة على الاتساع والانبساط والاستدارة.

وقد تنوعت أقوال **المفسرين المتقدمين** إزاء معنى الإشارة، بين بسط الأرض وشقها وتسويتها وتمهيدها، وأنه سبحانه أودع فيها المنافع، فأخرج منها الماء والمرعى[٣]. وهنا يظهر أنه لا تعارض بين هذه الأقوال.

أما **المتأخرون** فإنهم يركزون في هذه الإشارة على عدم تعارضها مع موضوع كروية الأرض، أخذا من بعض المعاني اللغوية؛ لأن أدحي النعام يكون على هيئة مستديرة، وهذا في حقيقته يطابق شكل الأرض[٤]. كما يذكرون أيضا أن كل ماء الأرض قد أخرج في الأصل من داخلها، ولا يزال خروجه مستمرا بالثورات البركانية المتعاقبة، التي يتصاعد منها بكثرة غازُ

---

(١) أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، ط١، ٢م، (تحقيق: حاتم صالح الضامن)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢،ج١، ص١٩٣، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٥، ص١٢٣، الجوهري، **الصحاح**، ج٦، ص٢٣٣٤، ابن فارس، **مجمل اللغة** ،ج١، ص٣٤٨، الرازي، **مختار الصحاح**، ص١٠٢، الكفوي، **الكليات**، ص٤٥٣.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٥، ص١٢٣، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٢، ص٢٧٥، الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**،ج١، ص١٢٨٢.

(٣) ينظر مجموع الأقوال في: **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢١٠، **تفسير الماوردي**،ج٦، ص ١٩٩، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٠٨، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٦٩٧، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٣٤، الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٣١، ص٤٦، القرطبي، محمد بن أحمد (ت: ٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، ط٣، ١٠م، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٦٤م، ج١٩، ص٢٠٤-٢٠٥، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣١٦، المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد (ت: ٨٦٤هـ) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت:٩١١)، **تفسير الجلالين**، ط١،١م، دار الحديث، القاهرة، ص٧٩٠.

(٤) الراجحي، عبد الغني (١٩٨١)، الأرض والشمس في منظور الفكر الإسلامي، حقائق في مواجهة الأباطيل، **مجلة دراسات في الإسلام**، (عدد٢٣٩): ص٥١، شلبي، هند، **التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق**، مطبعة تونس: قرطاج، ط١٩٨٥م، ص٩٥، الجميلي، السيد، **الإعجاز العلمي في القرآن**، ط٢، ١م، دار الهلال،١٩٩٢، ص٣٥، علي، **الإعجاز العلمي في القرآن** الكريم، ص٥٠، عرفات، محمد مختار، **إعجاز القرآن في العلوم الجغرافية**، ط١، دار أقرأ، دمشق، ٢٠٠٣م، ص ٧٤، الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج٥، ص٢١٧، منصور محمد حسب، **سباحة الأرض وجريانها**، (د.ط)، ١م، دار الفكر العربي، القاهرة،٢٠١٠م، ص ٨-١١.

ثاني أكسيد الكربون، وهو لازمة من لوازم عملية التمثيل الضوئي[١]، التي تساعد في بناء خلايا النبات وأنسجته[٢]؛ ولهذا ذُكر بعدها إخراج المرعى.

ومن هنا يتبين أن أقوال المتأخرين جاءت بتفصيلات أكثر مما ذكره المتقدمون، وعليه فلا تعارض بين الأقوال، والكل مقبول. ويمكن أن أستشهد بما قرره البوطي[٣] جمعا بين الآراء، حيث قال: " يقرأ هذه الآية العربي الذي لا يعلم عن الأرض وهيئتها إلا الشكل الذي يراه، وهو الامتداد والانبساط، فيفهم من قوله: (دحاها)، معنى الانبساط والامتداد، وهو فهم صحيح تدل عليه الكلمة بمعناها اللغوي القريب، ثم يقرؤها عالم الفلك، أو المثقف العادي في هذا العصر، فيفهم من قوله: دَحاها: معنى الاستدارة والتكوير، وهو أيضا فهم صحيح للكلمة، إذ هي تحمل في آن واحد كلًا من معنى الاستدارة والانبساط، وهو أدق ما توصف به الأرض"[٤]. ولا شك أن هذا القول موافق لما ترجح لديّ، والله تعالى الموفق.

ثالثا: علاقة مقصد سورة النازعات بالإشارة

لقد ناسب الانتقال في هذه السورة، من الحديث عن الإشارات الكونية في العالم العلوي، إلى الحديث عن الإشارات في العالم الأرضي، وهذا بخلاف ما ورد في سورة النبأ، التي ابتدأت بالعالم الأرضي ثم العلوي، ومناسبة ذلك: أنه لما أراد الاستدلال للبعث ابتدأ بالعالم الأقرب للإنسان، وهي الأدلة الأرضية، لكنه لما أراد التخويف وهز القلوب ابتدأ بالعالم العلوي؛ لأنه الأكثر غرابة، والأشد تخويفا.

وهنا تبرز العلاقة التكاملية بين الإشارات الواردة في السورة لخدمة المقصد، كما تظهر العلاقة بين الإشارة المذكورة في سورة النبأ، وبين هذه الإشارة، فإنه لما نبّه الله ﷻ على نعمة تمهيد الأرض للإنسان في سورة النبأ، ذكَر هنا صورة من صور ذلك التمهيد، وهو: دحو

---

(١) التمثيل أو التركيب الضوئي: هي عملية إنتاج الطعام التي تحدث في النباتات الخضراء، وهي الوظيفة الأساسية لأوارق النباتات. وتستخدم النباتات الخضراء الطاقة من الضوء؛ لتركيب ثاني أكسيد الكربون مع الماء؛ لصنع السكر والمركبات الكيميائية الأخرى. **الموسوعة العربية العالمية**، ج٦، ص٢٤٩.

(٢) العبادسة، فتحي عبد العزيز (٢٠٠٢م)، **الماء في القرآن الكريم**، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص٢٢٦، النجار، **الأرض في القرآن الكريم** ،ج ٢، ص١٣٦، الصوفي، **آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية** ج٥، ص٢٩٦.

(٣) محمد سعيد رمضان البوطي، ولد في جزيرة بوطان التابعة لتركيا، عام١٩٢٩م، حاصل على الدكتوراة في أصول الشريعة من جامعة الأزهر، يتقن العربية والكردية والتركية والانجليزية، له أكثر من ستين مؤلفا. أقول: وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أثناء الثورة السورية، يوم الخميس، ٢١، مارس، عام ٢٠١٣م. تنظر ترجمته في كتابه: **لا يأتيه الباطل**، ط١، ١م، دار الفكر، دمشق،٢٠٠٧م، الغلاف. وموسوعة الويكبيديا.

(٤) البوطي، **من روائع القرآن**، ص١١٦.

الأرض. ولم تُفصل الآيات بحرف العطف، وهذا دليل على أن إخراج الماء والمرعى هو من دحو الأرض، لذا فإن الإشارتين تتكاملان؛ لخدمة مقصد السورة.

إن سورة النبأ والنازعات تشتركان في مقصد البعث، لكن سورة النازعات تطرق موضوع البعث بقوة وهز عنيف للأنفس، ولهذا فإن لفظ المهاد في سورة النبأ، كان ملائما في ذلك الموضع؛ لأنها كلمة توحي باللطف واللين، أما في سورة النازعات فإن ألفاظ هذه الإشارة من دحو وإخراج، لا توحي بذلك، ولذا فإن لفظ الإخراج جاء ليكون داعما لهذه الصورة في تعميق دلالات المقصد.

ومن هنا يتكشف أن اختيار اللفظ الدقيق للإشارة كان قد ناسب بناء المقصد فيها، وهذا تأكيد لقول سيد قطب، من أن للألفاظ ظلالا خاصة كما للعبارات، يلحظها الحس البصير، حينما يوجّه إليها انتباهه، وحينما يستدعي صورة مدلولها الحسية(١).

وتكفي الإشارة إلى ما في صورة إخراج الماء وإنبات النبات منه، من إشعار بالبعث، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الصورة للتدليل على موضوع البعث في أكثر من موضع(٢). وكما أودع الله ﷻ الماءَ بدحوه في باطن الأرض، ثم أخرجه منها؛ لتكون به حياة الناس والنبات، فكذلك هو مصيركم في الأرض، تودعون فيها ثم تخرجون عند البعث.

إن هذه المراحل المتتالية من دحو الأرض وتهيئتها بإخراج مائها ومرعاها، هي من أجل استقبال الحياة على الأرض، وكل ذلك ليكون متاعا للإنسان والأنعام. ولا يخفى ما يوحيه لفظ (متاع) في الآية لقضية النهاية، فإن النعم ما هي إلا متعة لمدة ولن تدوم أبدا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس:٣٢]. وبهذا تتكشف العلاقة بين أول الآيات وآخرها.

وأخيرا فإن جميع الإشارات الواردة في السورة دالة على عظيم صنع الله ﷻ وباهر قدرته من رفع للسماء وتسويتها، وإغطاش لليلها وإخراج ضحاها، ودحو للأرض، وإخراج لمائها ومرعاها، فقد أوجدت جميعها منضبطة ومتناسقة ومتكاملة، وخالية من العبثية واللهو، وكذلك يجب أن يكون عمل المسلم الفاعل المؤثر، فهو منضبط بالشرع، متكامل مع غيره في العمل والدعوة، كما أن فكره وسعيه خاليان من العبثية واللهو.

---

(١) سيد قطب إبراهيم (ت: ١٣٨٥هـ)، **التصوير الفني في القرآن**، ط١٧،١م، دار الشروق، مصر، ص٩٥.

(٢) ينظر لا الحصر، سور: [الأعراف، آية: ٧]، [الحج، آية: ٢٢-٣٢]، [فصلت، آية: ٤١]، وينظر للاستزادة: مرتضى مطهري، **استدلال القرآن على التوحيد بالحياة**، (د.ط)، (ترجمة: جعفر خليلي)، دار التعارف، لبنان، (د.ت)، ص١٣.

ويتبين لي مما سبق كيف أن الإشارة المتعلقة بدحو الأرض، قد تكاملت مع غيرها من الإشارات في السورة لخدمة مقصدها، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: شق الأرض

موضع هذه الإشارة هو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [عبس]، وهذه ثالث الإشارات إلى الأرض في الجزء، ولم ترد الإشارة بهذا الوصف في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، يضاف له قول الله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ [مريم:٩٠].

أولا: مقصد سورة عبس

لقد ذكر الفيروزأبادي أن معظم مقصود السورة هو: بيان حال الأعمى، وذكر شرفِ القرآن، والشكاية من أبي جهل! وإنكاره البعث والقيامة، وإقامة البرهان من حال النبات على البعث، وإحياء الموتى، وشغل الخلق في العرصات، وتفاوت حال أهل الدرجات والدركات[١]. وكما هو الحال فإن في قوله جمعا للموضوعات التي حوتها السورة الكريمة.

ويظهر أن موضوع الإنذار: هو الموضوع الأساس عند البقاعي[٢]، وهذا ما رجحه سعيد حوى أيضا[٣]، فالنبي ﷺ أقبل على قوم لا ينفع معهم الإنذار، وعبس في وجه الأعمى مع أنه ينفع معه الإنذار؛ ولهذا عوتب!

وذكر الفراهي أن مقصد السورة: هو تربية النبي ﷺ والمؤمنين على أن يكفوّا عن إضاعة الوقت مع الذين أصروا على كفرهم بالآخرة، وبهذا بنيت السورة على ثلاث قضايا هي: التشنيع على هذه الفئة، وذكر الدلائل على شناعة استغنائهم، وذكر مآل أمرهم[٤]. وأرى أن هذا القول قريب جدا من المقصد، مع ملاحظة أن النبي ﷺ هو أنموذج للداعية، والمقصود: تربية الدعاة، لكنه هنا قصر التصحيح على مسألة إضاعة الوقت فقط.

---

(١) الفيرزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج١، ص ٥٠١.

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٢١، ص٢٤٩.

(٣) هو سعيد بن محمد ديب حوى، يكنى: أبا محمد، ولد عام ١٩٣٥م، وتخرج من كلية الشريعة، وشارك في أعمال دعوية وسياسية، ألف عشرات الكتب، منها الأساس في التفسير، أصيب بشلل جزئي، ودخل في غيبوبة، وتوفي عام: ١٩٨٩م. ينظر: يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام**، ط١، ١م، دار ابن حزم، لبنان، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٠٧، حوى، سعيد محمد (ت:١٩٨٩م)، **هذه تجربتي وهذه شهادتي**، ط١، ١م، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٦م، موقع الشيخ: سعيد حوى. وترجيحه للمقصد من كتاب: **الأساس في التفسير**، ج ١١، ص٦٣٧١.

(٤) الفراهي، عبدالحميد (ت: ١٣٤٩ هـ)، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ط١، ١م، الدائرة الحميدية، الهند، ٢٠٠٨ م، ص ٢٧٣-٢٧٤.

وأبدع سيد قطب حينما بين أن من الحقائق استهدفها التوجيه في السورة: أن يستمد الناس في الأرض قيمهم وموازينهم من اعتبارات سماوية إلهية بحتة، غير مقيدة بملابسات أرضهم، ولا بمواضعات حياتهم، ولا نابعة من تصوراتهم المقيدة بهذه المواضعات وتلك الملابسات(١). وسيتبين أن هذا جزء أساس من القيمة الأساسية للسورة.

وأشار ابن عاشور أن من أغراض السورة: تحقيق الموازنة بين المصالح من خلال الاستقراء لخفيّات الأمور، كي لا يفوت الاهتمام بالمهم منها(٢). وسيتبين أن هذا جزء من المقصد العام للسورة.

أما الميداني فقد بين أن محور السورة يدور حول تصحيح فكر الداعية بما يلائم قيمة الدعوة، وتوجيه علاج تربوي حول بعض عناصر المنهاج الأمثل والأرشد لحامل الرسالة الربانية؛ تعليماً لحملة الرسالة، دعاة ومعلمين...، تجاه من استجاب للدعوة، وتجاه من لم يستجب لها. وكذلك تصحيح القيم الإنسانية، ووضع الأسس السليمة الإسلامية لأقدار الناس وأوزانهم، والتأكيد على أن قيمة الإنسان بعمله وسلوكه، ومقدار اتباعه لهدي السماء(٣).

ويظهر لي أن هذا القول هو من أجمع الأقوال وأقربها لصوقا بالمقصد، بما سيتبين بعد النظر في نزول السورة ومقاطعها وألفاظها. ووجدت كذلك أن كثيرا ممن كتب في مقصد السورة بعد سيد قطب والميداني، كان قد نقل منهما ما ذكراه(٤).

وقيل أيضا إن من مقاصدها: التركيز على حقيقة دعوة القرآن وكرامتها وعلو مقامها(٥). ولهذا ابتدأت السورة بقصة الأعمى، فإن الصحابي الجليل عبد الله ابن أم مكتوم عرف قيمة القرآن والوحي وهو من انتفع بها، وكذلك عرف قيمة الآخرة والبعث فلذلك أراد التعلم، بخلاف من لم يؤمن بذلك. وهذا رأي قريب، لكنه في حقيقته جزء من المقصد السابق.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦،ص٣٨٢٣.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص١٠٢.

(٣) الميداني، **معارج التفكر**، ج ٣، ص٢١٤.

(٤) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٩، ص٣٨. وألمح إليه الباحث: علي بن حسين صنبع، (١٤٣٠هـ)، **المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، ص١٨٠. وذكرته الباحثة: ابتسام ديب سمور (٢٠١١م)، **منهجيات في الإصلاح والتغيير في ضوء سورة عبس**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص ٦٢. وأشارت إليه الباحثة وسن محمود لطيف (٢٠١٤م)، في بحثها محاور الخطاب القرآني في سورة عبس، **مجلة مداد الآداب**، الجامعة العراقية، مجلد١، (العدد ٧): ص ١١٦.

(٥) عبد القادر، عدنان، **اللسمات الحانية، في مقاصد السور الغانية**، ط١، ١م، دار حامل المسك، الكويت،٢٠١٢م، ص٦٩، **المختصر في التفسير**، ص٥٨٥.

ويتكشف لي أن مقصد السورة يمكن أن يتبلور من خلال الوقوف على ما سبق، ثم النظر في نزول السورة، فقد ذكر المفسرون الاتفاق على مكيتها[١]، ويظهر هذا من خلال موضوعاتها وأسلوبها، وقد جاء في نزولها عن أنس ﷺ: أنه (جاء ابنُ أم مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم أُبيّ بن خلف، فأعرض عنه؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾، قال: فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه)[٢].

يتضح من سبب النزول، أن النبي ﷺ كان في دعوة، وأن مجيء الأعمى كان طلبا للدعوة، ثم إن العبوس كان سببه اعتراضا في طريق الدعوة، كما أن كثيرا من الألفاظ في السورة كانت قد خدمت هذا الجانب، مثل: يزكى، يذكّر، الذكرى، تذكرة، ذكره.

فإذا تقرر ما سبق، ثم نُظر في مقاطع السورة[٣]، فإنه يتبين أن **قضية الدعوة: هي المقصد الأساس في السورة**، من حيث دعوةُ أولئك المتكبرين الذين أعرضوا عنها، فذكّرتهم الآيات بالقرآن الكريم وبنشأتهم ومصيرهم وبعثهم، وجعلت قصة الأعمى مدخلا لذلك. وأيضا من حيث تقويم سلوك الداعي، ووجوب معرفة أن استمداد القيم ومعايير الصواب والخطأ ومقاييس المفاضلة بين الناس من الله ﷻ، فلا بد إذا من تصحيح القيم لتتناسب مع بوصلة الوحي.

---

(١) ذكر أنها في قول الجميع الشوكاني، في **فتح القدير** ،ج٥، ص٤٦٢. وذكر الألوسي أنها مكية بلا خلاف. **روح المعاني**، ج١٥، ص٢٤١ وذكر الاتفاق عليه ابن عاشور في **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص١٠١، وذكر أنه قول الجميع، صديق خان، في **فتح البيان**،ج١٥، ص٧٣. وآياتها اثنتان وأربعون، هذا عند الجمهور، أما عد الشامي فأربعون، والبصري إحدى وأربعون. الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص٢٦٤.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بن همام (ت: ٢١١هـ)، **تفسير عبد الرزاق**، ط١، ٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، (تحقيق: محمود محمد عبده)، ١٤١٩هـ ،ج٣، ص٣٩٢، برقم:٣٤٩٣. وهذه الرواية وغيرها عن عائشة وابن عباس، صححها كل من سليم بن عيد الهلالي و محمد بن موسى آل نصر، في **الاستيعاب في بيان الأسباب**، ط١، ٣م، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٥ هـ، ج٣، ص٤٩٦. وذكروا أن رواية عائشة صححها معظم النقاد. ينظر: ج٣، ص٤٩٥-٤٩٦.

(٣) ويمكن أن تقسم السورة حسب المقاطع الآتية:
الأول: (١-٢): ذكر لقيمة سلبية في الدعوة وهي العبوس.
الثاني: (٣-١٠): نقد لهذه القيمة.
الثالث: (١١-١٦): تصحيح للقيمة.
الرابع: (١٧-٢٢): ذكر موقف الإنسان من التذكره (الدعوة)، وبيان أغلب حالة الناس وهي الكفر.
الخامس: (٢٣-٣٢): ذكر دليل صدق الدعوة.
السادس: (٣٣-آخر السور): ذكر مآل الفريقين يوم القيامة بعد الانذار والدعوة. ويظهر للباحث هنا المناسبة الدقيقة بين بداية المقاطع ونهايتها إذ إن بداية السورة فيها وصف لحالة تظهر على الوجه وهي العبوس، وآخر السورة وصف لحالة تظهر على الوجه وهي الوجوه المسفرة والوجوه التي عليها غبرة. وبهذا يعدّ الاسم دالا على المقصد.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (الشَّق): جمع شُقوق، وهي الصُّدوع، وقيل: هو نصف الشيء[١]، وذكر ابن فارس أنه أصل يدل على انصداع الشيء[٢]. ورأى **المفسرون المتقدمون** أن معنى الآية: ثم فتقنا الأرض فصدعناها بالنبات[٣]، وبين ابن كثير أن المعنى: أسكنا الماء في الأرض، فدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها، فنبت وارتفع على وجه الأرض[٤].

وأما **المتأخرون** فإضافة لما ذكره المتقدمون، فقد بينوا أن شق الأرض بسبب نزول الماء: هي عملية غاية في الدقة والتنظيم؛ لأن التربة تتكون من معادنَ مختلفةٍ شديدة الاحتياج للماء، فالأرض: هي مصدر المعادن الضرورية لحياة النبات، ودون شقها وتحويلها من أرض صخرية لا تنبت الزرع إلى أرض مفتتة قابلة للتشقق، لا يمكن أن تنبت. فإذا صُب عليها الماء قامت بامتصاصه سريعا، مما يؤدي إلى زيادة حجمها، فتهتز وتربو فتنشق بذلك؛ لتفسح طريقا آمنة لساق النبتة المنبثقة من البذرة الميتة المدفونة بالتربة[٥]. ويظهر مما سبق أن المتأخرين قد أضافوا تفصيلات عما ذكره المتقدمون، فالأقوال متممة لبعضها وليس ثمة تعارض بينها.

ثالثا: علاقة مقصد سورة عبس بالإشارة

لما كان قد ترجح لدي أن مقصد سورة عبس: الدعوة من حيث بيان موضوعها، وتحديد مصادرها، فإنه يتكشف من ذلك كمال التكامل بين مقاصد سور: النبأ والنازعات وعبس، حيث أرشدني الدكتور الدقور–حفظه الله– إلى أن سورة النبأ قد أوضحت القوة الدافعة للدعوة وللعمل، وخوفت سورة النازعات من تركه، لتأتي بعد ذلك سورة عبس فتحدد موضوع الدعوة ومصدرها.

---

(١) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٨، ص٢٠٤، الجوهري، **الصحاح**، ج٤، ص ١٥٠٢.

(٢) ابن فارس، **معجم المقاييس**،ج٣، ص١٣١، الزبيدي، **تاج العروس**،ج٢٥، ص ٥١١ .

(٣) ينظر الأقوال في: **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢٢٦، **تفسير الماوردي**،ج٦، ص ٢٠٧، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢١٢، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧٠٥، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص٤٣٩، الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٣١، ص٥٩، **تفسير القرطبي**، ج١٩، ص٢٢١، **تفسير الجلالين**، ص٧٩٢.

(٤) **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣٢٤.

(٥) الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٣، ص٤٩٦، خلاف الغالبي (٢٠٠٢ م)، التربة والماء وأثرهما في إنبات الطعام، **مجلة الإعجاز**، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (عدد١٢)، نسخة إلكترونية، فرغلي، قطب عامر، **عالم النبات**، ط٢٠٠٦،٤م، ١م، كتيب مجلة إعجاز، ص١٢–٢٩. النجار، زغلول راغب، **تفسير الآيات الكونية**، ط١، ٤م، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ٢٠٠٧م، ج٤، ص ٣٣٤.

ولتحقيق هذا المقصد: فقد ذكَرتِ السورةُ صورتين لإشارتين علميتين متكـاملتين، همـا: صورة خلق الإنسان ثم موته فقبره ثم نشره، ولأن الطعام ألصق شيء بالإنسان بعد خلقه، فقـد ذكر بعدها صورة إخراج النبات من بعد إنزال الماء وشـق الأرض. وقـد رأيـت أن لهـاتين الإشارتين تعلقا مباشرا بجانبي المقصد. ولمّا كانت الإشارة الأولى لا تدخل ضمن هذه الدراسة، فإن هذا لا يمنع من الإلماح للعلاقة ولو من طرف.

وبداية فإن عملية شق الأرض، هي في حقيقتها صورة من صور تمهيـد الأرض الـذي ذكر في سورة النبأ، وبهذا تظهر العلاقة بين أول الإشارات المتعلقة بالأرض وبين هذه الإشارة. وأما علاقة الإشارة بمقاصد السورة، فيمكن بيانها من خلال جوانب المقصد:

أما الجانب الأول: فإنه لما بينت سورة عبس صورةَ خلق الإنسان من النطفة، وهي: الماء الصافي القليل[١]، الذي يخرج من الذكر ليستقر في رحم الأنثى، ليخرج منه المولود حيا، أتبـع ذلك بصورة أخرى مشابهة، وهي إنزال الماء من السماء، التي هي بمثابـة الرجـل، لتنـشق الأرض بعد ذلك والتي هي بمثابة الأنثى؛ ليخرج منها النبات حيا، وهو بمثابة المولود.

ثم إن ولادة الناس بصور شتى وهيئات مختلفة، فمنهم القوي والضعيف والدميم والجميـل، والأحمر والأبيض والأسود، يشبه إلى حد كبير خروج النبات بهيئات مختلفة من الأرض، فمنها الحب والعنب والقضب والزيتون...إلخ.

وبذلك فإنه يمتزج هنا الغرض الفني بمقصد السورة، وذلـك بـامتزاج الإشـارة العلميـة الطبيعية بالصورة الإنسانية، فالماء: هو مصدر الحياة على الأرض، فيسقي بذلك بذور الأرض فتنمو، وتخرج النبات المتعدد الألوان، ثم ينمو هذا النبات ويكبر، ويتحوّل مـن صـورة إلـى أخرى، تماما كمراحل نمو الإنسان، حتى يصل إلى نهايته في الهلاك والزوال، "فيتم بذلك تلاحم المشاهد الطبيعية بمراحل نموها المختلفة ونهايتها الفانية، مع المشاهد الإنسانية فـي مراحلهـا ونهايتها أيضا، للتأكيد على فناء المخلوقات"[٢].

ويظهر هنا أن هذه الصور المتعددة: من صب الماء من السماء، ثم شق الأرض، ثم إنبات النبات منها، قد رسمت لوحة فنية حسية غنية بالإشارات العلمية، ودالة على البعث، يقول ابـن القيم: " فدل سبحانه عبادَه بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه علـى الإحيـاء الـذي

---

(١) الجوهري، **الصحاح**، ج٤، ص ١٤٣٤، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٥، ص٣٥٣، العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله (ت: نحو ٣٩٥هـ)، **معجم الفروق اللغوية**، ط١، ١م، (تحقيق: الـشيخ بيـت الله بيـات)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ، ص٥٤٢.

(٢) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٢٢٨.

استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء بنظيره"[١]. وبهذا يتبين التكامل بين جميع الإشارات لخدمة موضوع الدعوة في السورة.

كما تتجلى في هذه الإشارة الدقة القرآنية في اختيار لفظ الشق، والذي يوحي بتشقق الأرض يوم البعث؛ ليخرج منها الناس، وكما أن الأرض تنشق فيخرج منها النبات مختلفا ألوانه، فكذلك يوم البعث، فإن الأرض تنشق فيه، فيخرج الناس مختلفة أحوالهم، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم السعيد ومنهم الشقي...إلخ.

وأما الجانب الثاني للمقصد[٢]: فلما كان من معاني الأرض: الطيّبة الكريمة الزكيّة، وأن فيها دلالة الاتساع والانبساط، فإن كل هذه المعاني في الإشارة ترجح ما تُوصِّل إليه في مقصد السورة، إذ إن هذه من أعظم صفات الداعي، بأن يكون طيبا كريما زكيا، كما هي الأرض، ثم أن يكون واسعا في علمه، وقلبه متسعا لغيره، كما هو اتساع الأرض، فإذا كانت الأرض تنشق فينبثق عنها النبات الحي، فكذلك الداعية، فإنه ينبثق عنه كل ما فيه حياة الروح. وكما أن الماء يشق الأرض فيتخللها، فينشق عنها النبات، فكذلك الداعي: يشق قلوب الناس، لتتروّى بماء الإيمان والرشد.

ويضاف لهذا ما يشير إليه حرف العطف (ثم)، الدال على التراخي، وكأنه يوحي بأنه على الداعي أن لا يستعجل قطف الثمرة وانشراح الصدر، فهي قضية تحتاج لوقت، لكن بعد أن ينشرح الصدر يكون العطاء مباشرة، ولهذا عبّر بعدها بحرف العطف الدال على التعاقب فقال: (فأنبتنا).

ويضاف إلى ذلك ما ذكر بعد الإشارة من أنواع النباتات، والتي تكامل ذكرها مع الإشارة في بناء هذا الجانب من المقصد، قال الله: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ ﴾ [عبس]، حيث إن كل نبتة تحمل صفة من صفات الداعي: فالحب[٣] والعنب[١]

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ط:١٩٦٨م، (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٩٦٨م، ج١، ص١٣٩.

(٢) من حيث تقويمُ سلوك الداعية، ووجوب استمداد القيم ومعايير الصواب والخطأ من الله تعالى.

(٣) الحب فيه صفة التزايد والنمو، فهو قوت وبه قوام الإنسان، ويشمل جميع أنواع الحبوب، وكذلك يشمل نحو سبعة آلاف نوع من النباتات، وهي أهم عائلة نباتية وأكثرها للإنسان والحيوان. ابن عجيبة، أحمد بن محمد (ت: ١٢٢٤هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ط٢، ٨م، (تحقيق: أحمد القرشي)، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٢ م،ج٧، ص٢١٧. وذكر قريبا من هذا الفراهي في **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ص ٢٩٨. وينظر: النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص ٣٣٥، عبد المنعم الهادي ودينا بركة، **عالم النبات في القرآن**، ط١، ١م، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨، ص٥٣.

والقضب[٢]: تحمل صفاتِ النمو والتزايد وتراص الصف والتنظيم. وشجرتا الزيتون والنخل[٣]: تحملان صفات الشموخ والرسوخ والثبات. وكما أن الزيتون فيه الزيت الذي فيه النور، فكذلك الداعي: هو كالنور، إذ يهدي الناس وينير طريقهم.

ويؤخذ من الفاكهة[٤] صفة: الطيب وحسن الخلق، ولين الجانب وحسن المعشر، وترك العبوس والتولي. ويتضح من هذا كيف تكاملت هذه الإشارة مع ما بعدها من إشارات؛ لإتمام بناء هذا الجانب من جوانب المقصد في السورة.

وأخيرا، فإني أرى أن هذه الإشارات قد تكاملت أيضا؛ لإثبات حقيقة أن مصدر القيم من الله ﷻ، فإذا علم الإنسان أن خلْقه بداية: هو من الله ﷻ، وأن مصدر طعامه بعد صب الماء وشق الأرض وإخراج النبات-مختلفا ألوانه-: من الله ﷻ أيضا، وأن مرجع كل هذه الخلائق إليه تعالى، فلا بد أن يدرك من هذا أن مصدر القيم والمبادئ، ومقاييس المفاضلة ومعايير الصواب والخطأ كلها منه ﷻ، وهو سبحانه أعلم بالصواب.

المطلب الرابع: القسم بالأرض ذات الصدع

موضع هذه الإشارة هو قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ [الطارق]، وهي رابع الإشارات إلى الأرض في الجزء الثلاثين، وآخر إشارة علمية في السورة، ولم ترد الإشارة بهذا الوصف في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع. وقد اختيرت الإشارة إلى الأرض بهذا الوصف: دون غيره من الأوصاف؛ لمناسبته لمقصد السورة.

---

(١) يظهر في العنب التنظيم البديع في ترتيب حباته، فالناظر إليها يجد تآلفا وتناغما دقيقا بين حبات العنقود الواحد؛ ليشكل بهذا التناغم تناسقا آخاذا في الشكل الخارجي للعنقود، ثم تجد كل عنقود متناسقا مع العنقود الذي بجانبه في نظام بديع محكم. ثم ينظر للشجرة ذاتها ليلحظ أنها تمتد لتصل إلى عشرات الأمتار، مع أن ساقها دقيق بالنسبة للأشجار الأخرى كالزيتون والنخيل، إلا أنها تصل بظلالها إلى مسافات بعيدة. ويظهر لمن تعامل معها أنه كلما قُلمت تزايدت وطالت. ومن نافلة القول أن يعلم أن أوراقها تتناغم أيضا لتحجب أشعة الشمس عمن يطلب الظل تحتها، فالعنبة شجرة كريمة، سواء بأوراقها: بالطعام أو الظل، أو ثمرها بالطعام حالا أو زبيبا أو عصيرا.

(٢) القضب: لم يذكر في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، ويظهر من مجموع أقوال المفسرين أنه طعام كلما قُضب، فإنه ينمو ويتزايد. تنظر الأقوال في: **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢٢٦، **تفسير ابن عطية**، ج٤، ص١٣٩، الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٣٠، ص٧١.

(٣) الزيتون والنخل: شجرتان معمرتان ودائمتا الخضرة، ومتحملتان للجفاف، ثم هما ثابتتا الساق وقويتا العروق. ينظر: الهادي وبركة، **عالم النبات في القرآن**، ص١٤٩، عبهرة، **الأرض في ضوء القرآن**، ص ١١٨-١١٩، وهبة عوض نبهان (٢٠١٢م)، **النعم البرية والبحرية في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص١٥- ١٧، ص٤٤.

(٤) وهي أصل من فكه: ويدل على طيب واستطابة، والرجل الفكه هو طيب النفس، وسميت الفاكهة بهذا؛ لأنها تستطاب وتستطرف. ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص٣٥٧.

أولا: مقصد سورة الطارق

ذكر المفسرون الاتفاق على نزول السورة بمكة[١]، وقد تعددت أقوالهم حول مقصدها، فذكر الفيرزأبادي: أن مقصودها: القسم على حفظ أحوال الإنسان، والخبر عن حاله في الابتداء والانتهاء، وكشف الأسرار يوم الجزاء. ثم القسم على أن القرآن جزل غير هزل، ثم الخبر بإمهال الكافرين[٢]، وهذا تعداد لموضوعات السورة.

وبين البقاعي أن مقصدها: الاخبار عن إحاطة الله ﷻ وحفظه لكل فرد؛ للمجازاة على الأعمال[٣]. ويظهر من قول الفيروزأبادي، أن قضية حفظ أحوال الإنسان هي من موضوعات السورة، أما البقاعي: فقد اعتبرها المقصد العام. وأوضح سيد قطب أن السور السابقة واللاحقة تبين الوضع المادي للبعث والقيامة، أما هذه السورة فهي تركز على الجانب المعنوي وهو: كشف السرائر المخفية[٤].

وبين ابن عاشور أن أغراض السورة: إثبات إحصاء الأعمال والجزاء عليها، وإثبات إمكان البعث، والتذكير بدقيق صنع الله وحكمته في خلق الإنسان، والتنويه بشأن القرآن، وصدق ما ذكر فيه من البعث، وتهديد المشركين الذين ناوؤا المسلمين، وتثبيت النبي ﷺ ووعده بأن الله منتصر له غير بعيد[٥]، وقريب من هذا ما ذكره المراغي في تفسيره[٦]. وظاهر أن هذا تعداد لموضوعات السورة. واقتصر الزحيلي على مقصد البعث[٧]، وقيل: إن محور السورة العام هو: بيان بعض مظاهر قدرة الله البارزة، حيث إن هذا يتلاءم مع اسم السورة؛ لأن الطارق هو نجم ثاقب: أي بارز وواضح ولا خفاء فيه[٨].

ويتبين لي من الأقوال السابقة، ومن خلال النظر في مقاطع السورة[٩]، وإشاراتها العلمية، أن مقصدها العام هو: **إظهار قوة الله وقدرته البالغة على الحفظ**[١]، ومنها حفظ الإنسان من قبل

---

(١) ذكر الشوكاني في **فتح القدير** أنها مكية بلا خلاف،ج٥، ص٥٠٧، وذكر الألوسي في **روح المعاني** أنه بلا خلاف، ج١٥، ص٣٠٥، وكذلك صديق خان في **فتح البيان**،ج١٥، ص١٧٣، وذكر الاتفاق ابن عاشور في **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص٢٥٧، والميداني في **معارج التفكر**، ج١٣، ص٢٦٩.

(٢) الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج١، ص٥١٢.

(٣) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٢١، ص ٣٧١.

(٤) سيد قطب، **مشاهد القيامة في القرآن**، الشروق، مصر، ص٩٢.

(٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٥٨.

(٦) **تفسير المراغي**،ج٣٠، ص ١١٩.

(٧) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٣٠، ص١٧٢.

(٨) **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ج٩، ص١٠٠.

(٩) يظهر للباحث أن السورة تسير في أربعة خطوط وهي تمثل المقاطع العامة للسورة:
الأول: (١-٤): القَسَم على حفظ الإنسان.

☜

قبل ولادته إلى أن يبعث، وحفظ أعماله منذ تكليفه إلى أن يموت ثم كشفها عند البعث. وبهذا تتكشف لي العلاقة بين مقصد هذه السورة والسور التي قبلها، إذ تلتقي جميعها بموضوع البعث الذي هو دافع للعمل، فتأتي سورة الطارق؛ لتؤكد على قدرة الله ﷻ على حفظ أعمال الإنسان.

وأضاف لي الدكتور الدقور –حفظه الله– أن مقصد السورة له ارتباط بعمل الداعي، فلا تكون قوته ولا يكون ثباته وأثره وتأثيره إلا بعد حفظ الله ﷻ له، وهذا الحفظ ينبغي أن يفعِّل عند الداعي عنصر المراقبة في العمل. والحق، أن هذه إضافة غاية في الأهمية، إذ فيها تحديد لمقصد السورة، مع ربطه بمقصد سورة البروج التي قبله، مع ارتباطه بالعمل والسعي.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (الصَّدْع): هو شقّ في شيء له صَلابة، وبين ابن فارس: أنه أصل يدل على انفراج في الشيء[٢]. وقد تنوعت عبارات **المفسرين المتقدمين** حول مقصود الآية، فقيل: ذات الصدع بالنبات[٣]، أو ذات الأودية، أو الطرق، أو الحرث، أو ذات الأموات؛ لأنهم ينصدعون عنها يوم البعث[٤]. ويظهر أن معظم المفسرين اقتصروا على المعنى الأول.

أما **المتأخرون** فقد بينوا أن لفظ الصدع لا يتوقف على الصدع بالنبات فقط، وإنما يشمل صورا أخرى، مثل: انصداع الصخور اليابسة[٥]، والصدوع العملاقة في الغلاف الصخري

الثاني: (٥–١٠): إقامة الدليل الكوني على حفظ الإنسان.
الثالث: (١١–١٤): القسم على صدق هذا الخبر.
الرابع: (١٥–نهاية السورة): تهديد المكذبين.

(١) وقريب من هذا ذكره أصحاب **المختصر في التفسير**، ص٥٩١.

(٢) الفراهيدي، **العين**، ج١، ص٢٩١، الجوهري، **الصحاح**، ج٣، ص١٢٤١، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٣، ص٢٦٣، الرازي، **مختار الصحاح**، ص١٧٤، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٨، ص١٩٤.

(٣) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٣٦١، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢٤٠، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧٣٧، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٦٦، الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٣١، ص١٢٣، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٧٦، **تفسير الجلالين**، ص٨٠٣.

(٤) تنظر الأقوال في: **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢٤٩، **تفسير القرطبي**، ج٢٠، ص١١، الشوكاني، **فتح القدير**، ج٥، ص ٥١١.

(٥) وهذا التصدع في الصخور ضروري لتكوين الصخور الرسوبية والذي به تتكون مجموعة من المعادن والثروات، وبها أيضا تتكون الينابيع المائية والمكامن البترولية، وبها تبنى الجبال والتلال وبها تبنى الأحواض والأغوار. ينظر: العبيدي، **ومضات إعجازية**،ج٤، ص٢٣، النابلسي، محمد راتب، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن** والسنة، ط٢ ،٢م، دار المكتبي، سوريا، ٢٠٠٥ م ج٢، ص١–٢، الصوفي، **آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية** ج٥، ص٢٥٧، الصعدي، عادل، مقال بعنوان: **والأرض ذات الصدع**، الثلاثاء، ٢٢، يناير ٢٠١٣م، مركز بحوث جامعة الإيمان، موقع الجامعة.

للأرض[١]. وما دام أن دلالة الصدع تشمل ذلك كله، فيترجح لي أن كل ما يطلق عليه صدع، مما يختص بالأرض، فهو داخل ضمن هذا الوصف. ويتبين بذلك أنه ليس ثمة تعارض بين الأقوال، بل هي متممة لبعضها، والله أعلم.

ثالثا: علاقة مقصد سورة الطارق بالإشارة

قبل أن أبرز العلاقة بين مقصد السورة والإشارة، لابد من الوقوف على دلالة الحفظ في السورة، فقد تبين أن للحفظ هنا دلالتين[٢]:

الأولى: الرعاية، بمعنى: أن الله وكّل بالإنسان حفَظَة، يحوطونه ويحفظونه، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد: ١١]. وعلى هذا يمكن أن يكون الحافظ: الله ﷻ، أو الملائكة، أو العقل، أو جهاز المناعة...إلخ.

الثانية: الرقابة، بمعنى: العلم بكل ما يصدر عن المحفوظ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ ﴾ [الانفطار].

وعلى هذا فالحافظ هو: الله وقد جعله على يد الملائكة، وأخبر ابن عاشور أن إقامة هذا الحافظ تستلزم شيئا يحفظه، وهو الأعمال، وهذا يستلزم المحاسبة عليها والجزاء بعد الحياة الدنيا...، فلو أهمل الجزاء لكان إهماله منافيا لحكمة الإله الحكيم، وهذا الجزاء المؤخر يستلزم إعادة حياة الذوات التي صدرت منها الأعمال[٣]، وبهذا ربط ابن عاشور بين مقصد السورة، والعمل، وقضية البعث التي ذكرتها معظم سور الجزء.

وأرى أن دلالة السياق في السورة تشير للمعنى الثاني، وبيان ذلك: أن قوله تعالى بعدها بآيات: ﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ ﴾ [الطارق]، يقصد به كشف ما كتب عليها، وهذا سيكون في الآخرة؛ لأنه قال قبلها: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ ﴾ [الطارق]، وقد أورد ابن القيم عشرة أدلة على أن المقصود

---

(١) وهذه أعظم التصدعات، إذ يصل طولها إلى مئات الكيلو مترات، ولها فوائد عدة من حيث تجدد التربة، وإثراء سطح الأرض بالمعادن النافعة، وبها تتكون السلاسل الجبلية والتي هي أوتاد للقارات. ينظر أنواع الصدوع عند محمدين والفرا، **المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة**، ص١٨٦، وأهميتها عند النجار، **الأرض في القرآن الكريم**، ج٢، ص١٧١-١٧٣، وينظر: يوسف الحاج أحمد، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة**، (موسوعة الاعجاز العلمي)، ط٢، ١م، مكتبة ابن حجر، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٢٤٠-٢٤٤.

(٢) ذكرها الشعراوي مختصرة في: **المختار من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٨٤.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٦٠.

بهذه الآية: رجوع الإنسان بالبعث[١]. ثم إن ذكره سبحانه في سورة البروج للوح المحفوظ، وفي سورة الانشقاق: لصحف الأعمال، وفي سورة المطففين: للكتاب المرقوم، وفي سورة الانفطار: للملائكة الحافظين، كل هذه الدلالات تشير لترجيح المعنى الثاني.

ومع ذلك فإنه لا تعارض بين المعنيين، فيمكن أن يكونا مقصودين، بل ربما كان أحدهما مستلزما للآخر، وعليه سأبين العلاقة بين الإشارة وهاتين الدلالتين، والله الموفق.

أقول: إنه بالنظر في أهمية صدوع الأرض، فإنه تلحظ العلاقة الوثيقة التكاملية بين ورود أول إشارة مختصة بالأرض في هذا الجزء، وبين هذه الإشارة، فقد ذكر المتأخرون أنه بهذه الصدوع تتسع قيعان البحار والمحيطات، وتجدد الصخور، وتكون سلاسل جبلية وجزر بركانية، وزحف القارات وتحجمها، وبسبب هذه الصدوع أيضا تندفع الصهارة الصخرية على هيئة طفوح بركانية؛ لتثري الأرض بالمعادن المتنوعة وتجدد الترب...إلخ[٢]، فيتبين من ذلك أن هذه الأنواع من الصدوع، هي في حقيقتها تسهم في تمهيد الأرض.

وقد وجدتُ أن هذه الإشارة قد تكاملت مع ما ذكر في السورة من إشارات علمية؛ لخدمة المقصد الكلي للسورة. فبعد أن أقسم الحافظ ﷻ بالسماء والطارق على حفظه للناس وأعمالهم، ذكر دليلين على هذا الحفظ:

الأول: من خلال حفظه ﷻ لأصل خلق الإنسان، فإن الماء الدافق الذي خرج من بين الصلب والترائب[٣]، قد حفظه الحافظ ﷻ من مخرجه حتى استقر في الرحم، وحفظه حتى نفخ فيه الروح، ثم حفظه إلى أن شاء أن يخرجه من الرحم فيولد، وأخيرا حفظه إلى أن يبعث من جديد، فما دام أنه ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾، إذن لا بد من حفظه إلى أن يرجع، وهذا الرجوع سيكون يوم تبلى السرائر، ولا يمكن أن تظهر خفايا هذه السرائر إلا إذا حفظت أيضا.

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، **التبيان في أقسام القرآن**، ط١، ١م، دار الفكر، بيروت، ص٦٤.

(٢) العبيدي، **ومضات إعجازية**،ج٤، ص٢٤، متولي، **الموسوعة الذهبية**، ص٢٤٤-٢٤٩.

(٣) تنوعت آراء المفسرين إزاء دلالة هذه الإشارة، فبعضهم رأى أن المعنى: من صلب الرجل وترائب المرأة، ورأى آخرون أن المعنى من صلب الرجل وترائبه. وقد نقل ابن القيم الخلاف ثم رجح الرأي الثاني؛ لأنه سبحانه قال: {يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ}، ولم يقل: يخرج من الصلب والترائب. فلا بد أن يكون ماء الرجل خارجا من بين هذين المختلفين، كما قال في اللبن: "يخرج من بين فرث ودم".ثم قال ابن القيم: وأيضا فإن الذي يوصف بالدفق والنضح إنما هو ماء الرجل ولا يقال نضحت المرأة الماء ولا دفقته. ابن القيم، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ج١، ص١٤٥- ١٤٦. ويبين البار بعد كلام طويل حول مكان إنتاج الماء الدافق في الرجل والبويضة في المرأة، أن الحيوانات المنوية لدى الرجل أو البويضة لدى المرأة إنما تستقي مواد تكوينها من بين الصلب والترائب، كما أن منشأها ومبدأها هو من بين الصلب والترائب. البار، محمد علي، **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**. ط٨، ١م، الدار السعودية، ١٩٩١م، ص١١٤-١٢٤.

ولا يخفى ما في هذه المعاني من دلالات القوة والقدرة، إذ تُستشعَر هذه الدلالات في قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨﴾. فقدرته ﷻ على الإرجاع، تستلزم القدرة على الحفظ. وهنا يلحظ أن الله ﷻ استدل على رقابته للإنسان على رعايته له، فكما أنه حفظه ورعاه منذ ولادته، فهو قادر على حفظ أعماله إلى مماته.

الثاني: قوته وحفظه ﷻ للكون، من خلال عرض صورتين كونيتين:

الأولى: تختص بالسماء، ووصفها بأنها ذات الرجع، ويكفي أن أشير هنا إلى مظهر واحد من مظاهر ذلك الحفظ: وهو حفظ الماء المشترك بين السماء والأرض، فالمطر النازل من السماء تنشق عنه الأرض فتحفظه، ثم تنبت به ما شاء الله أن تنبت، ويحفظ منه ما شاء الله أن يحفظ، ويتبخر الآخر إلى السماء؛ لتحفظه السماء في طبقاتها العليا، ولا تدعه يتصاعد إلى الفضاء ليتبدد[١]، بل يحفظ ويعود على هيئة أمطار فينزل على الأرض.

وبهذا يظهر أن هاتين الإشارتين قد تكاملتا؛ لتعميق حقيقة حفظ الله ﷻ للإنسان، حفظ رعاية ورقابة، وقد أسهمت كل منهما في خدمة مقصد السورة، فهل هذا ما قامت به الإشارة العلمية الأخرى؟

الثانية: تختص بالأرض، ووصفها بأنها ذات الصدع.

وألمِحُ هنا إلى سبب وضع لفظ (الصدع)، والذي يوحي بالقوة والحسم؛ لأن الصدع لا يكون إلا في شيء صلب. ولا يخفى-كما أخبر سيد قطب-التناسق التام بين نفي القوة والناصر عن الإنسان في الآية التي قبلها، وإثبات القوة والحسم لخالق السماء والأرض[٢]. وبهذا فإنه تلحظ الدقة القرآنية، في اختيار اللفظ الدال على الإشارة العلمية؛ لتحقيق مقصد السورة.

فكما أن الحفيظ ﷻ قدر على حفظ هذه التشققات ورعايتها، ثم أقامها بنظام دقيق محكم؛ لرعاية الماء والمعدن في باطن الأرض، ثم حفظ البذرة، فهيأ لها القوانين الطبيعية المناسبة، من تشقق للتربة لتنبت، فهو قادرعلى رقابة كل نفس ورعايتها. ثم إن القادر بقوته على حفظ الماء والبذرة في باطن الأرض، لا يعجزه حفظ الناس وأعمالهم. وبهذا يتبين أن هذه الإشارة قد أسهمت في تقوية ما توصّل إليه في مقصد السورة.

---

(١) في هذا إشارة إلى البيان العلمي لكيفية نزول المطر. ينظر في هذه الكيفية: النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٣٠٣-٣٠٥، يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص٢٦٤-٢٦٨.

(٢) سيد قطب، **مشاهد القيامة**، ص٩٤.

كما يتضح لي ذلك التناسق البديع بين النجم الثاقب، والماء الدافق، والرجع والصدع، فالنجم الثاقب يثقب الظلام بضوئه؛ لينفذ الضوء. والماء الدافق يثقب الرحم؛ ليلقح البويضة[١]، والمطر الذي هو أحد صور الرجع، يتدفق فيثقب الأرض فتتصدع؛ لتخرج النبتة. وكل هذا من صور الحفظ والقدرة النافذة في الخلق.

ولأن مقصد السورة يشير إلى حفظ عمل الداعي، فإن هذه الإشارة توحي بأن على الداعي أن يصدع بما عنده، وأن يصدع القلوب كما تُصدّع الأرض، وبهذا أجد المناسبة اللفظية في أمر الله ﷻ لنبيه ﷺ بأن يبلغ ما عنده، وذلك باختيار الأمر بالصدع، في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[الحجر:٩٤].

أخيرا فإن هذه السورة تدعو الإنسان بأن يراعي عناية الرب ﷻ به، ورعايته وحفظه له، وقد أراه الله من آياته ما يدل على عظيم قدرته في الحفظ، فليحذر السطوة والمخالفة والكيد للمؤمنين، فإنهم أصحاب المنهج الحق باتباعهم للقرآن الكريم، الذي يثقب بنوره ظلمات الجهل والظلم والشرك. وهكذا يلحظ أن هذه الإشارات تتناسق مجتمعة، وتترابط ضمن علاقات تصويرية غاية في الجمال والدقة؛ لخدمة مقصد القوة والقدرة على الحفظ في السورة.

المطلب الخامس: تسطيح الأرض

لم ترد الإشارة بهذا الوصف في القرآن الكريم إلا في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ ﴾[الغاشية]، وهي خامس الإشارات العلمية المتعلقة بالأرض في الجزء الثلاثين، وآخر إشارة في السورة.

أولا: مقصد سورة الغاشية

ذكر المفسرون الاتفاق على مكية السورة[٢]، وقد اختلفت آراؤهم إزاء مقصد السورة، فذكر الفيروزأبادي: أن مقصودها: التخويف بالقيامة، وبيان حال المستوجبين للعقوبة، وذكر حال

(١) ينظر موضوع تلقيح الحيوان المنوي للبويضة: عبد الرزاق، منى رفعت ادعيس(٢٠٠٣م)، **مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح، فلسطين، ص٥٧.

(٢) ذكر الشوكاني في **فتح القدير** أنه بلا خلاف ،ج٥، ص٥٣٠، وكذلك الألوسي في **روح المعاني**، ج١٥، ص٣٢٤، وصديق خان في **فتح البيان**،ج١٥، ص١٩٧. وذكر الاتفاق ابن عاشور في **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٩٣، والميداني في **معارج التفكر**، ج١٣، ص٢٦٩.

المستحقين للمثوبة، وإقامة الحجة على وجود الحق، ووعظ الرسول ﷺ للأمة، وأن المرجع إلى الله تعالى[١]. وهذا القول فيه تعداد لموضوعات السورة كما يظهر.

وبين البقاعي أن السورة شرح لما في آخر سورة الأعلى، من تنزيه الله ﷻ عن العبث، وذلك بإثبات الدار الآخرة، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى، والدلالة على القدرة عليها، وأدل ما فيها على هذا المقصود: الغاشية[٢]. وأوضح الزحيلي ما ذكره الفيروزأبادي[٣]. وقيل: إن محور السورة يدور حول الحديث عن اليوم الآخر، وإثبات قدرة الله ﷻ[٤]. وقيل: إن السورة تركز على تذكير النفوس بمشاهدة قدرة الله في النعيم والعذاب، ودلائل القدرة في الآيات الكونية[٥].

وقبل الترجيح، فإنني أرى ضرورة تذكر أن النبي ﷺ كان يجمع بين هذه السورة، وسورة الأعلى في القراءة أيام الجمع والأعياد[٦]؛ ولعل من أهم أسباب ذلك؛ أن السورتين أمرتا بالتذكير، ففي سورة الأعلى، قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾، وفي سورة الغاشية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

وبناء على ما سبق، ثم بالنظر إلى اسم السورة وموقعها ومقاطعها[٧]، فإنه يترجح لدي أن موضوع التذكير والدعوة: هو المقصد العام للسورة، والقصد: **واجب الأمة في الدعوة، والمتمثل في أمر الرسول ﷺ بالتذكير**، وأجل ما يمكن أن يذكر به هو: الغاشية والبعث.

---

(١) الفيروزأدبادي، **بصائر ذوي التمييز** ،ج١، ص٥١٦، وقريب من هذا ذكره ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٩٤.

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٨، ص٤٠٤.

(٣) الزحيلي، **التفسيرالمنير**، ج٣٠، ص٢٠٣.

(٤) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٩، ص١١٥.

(٥) **المختصر في التفسير**، ص٥٩٢.

(٦) مسلم، بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١ هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، (صحيح مسلم)، ط١، ٨م، دار الجيل، بيروت، مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول، سنة ١٣٣٤ هـ، كتاب الصلاة، باب القراءة في فجر الجمعة وفي الجمعة والعيدين، ج٣، ص١٥، برقم:١٩٨٣.

(٧) السورة تسير في ثلاثة خطوط رئيسة:
الأول: ذكر حقيقة الغاشية وما يكون فيها من نعيم وعذاب.
الثاني: التذكير و الدعوة إلى النظر في خلق الله تعالى وآياته الكونية.
الثالث: الأمر بالتذكير والدعوة. وهذه الخطوط ينبني بعضها على بعضها، فقد أرسل الله النبي ﷺ ليبلغ الناس وينذرهم، ويبين أنهم مبعوثون وسيحاسبون، وأمده الله بحقائق لينظر الناس إليها بعقولهم قبل عيونهم، و لذا ابتدأ الحق بذكر حقيقة الغاشية، ثم نبه إلى ضرورة النظر في ملكوت الله؛ لأن هذا النظر يفضي للإيمان، والنبي ﷺ هو المذكّر بكل ذلك. ينظر: المزيودي، **الاعجاز البياني في القرآن**، ص٤، بتصرف.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

بين أهل اللغة أن (السَّطْح) هو: البَسْط، وذكر ابن فارس: أن أصل(سَطَحَ): يدل على بسْط الشيء ومدّه[١]، فبالإضافة إلى أن التسْطيح يعني البسط، إلا أن فيه معنى المد أيضا.

وقد ذكر **المفسرون المتقدمون** في معنى التسطيح في الآية: دلالات البسط والتمهيد[٢]، وأفاض ابن عطية بالحديث عن كروية الأرض، بقوله: " وظاهر هذه الآية أن الأرض سطح لا كرة، وهو الذي عليه أهل العلم، والقول بكرويتها وإن كان لا ينقص ركنا من أركان الشرع، فهو قول لا يثبته علماء الشرع"[٣]، ورد الرازي هذا القول وبيّن ضعفه؛ لأن الكرة إذا كانت في غاية العظمة، يكون كل قطعة منها كالسطح[٤]. وليس المراد هنا إثبات كروية الأرض من عدمه، وإنما غايتي: إظهار أن من المفسرين المتقدمين من ناقش هذا الموضوع في الآية.

أما **المتأخرون**: فإنهم يتحدثون هنا عن كروية الأرض، وتسويتها وتمهيدها للعيش، وذلك بعد أن كانت وعرة، لا تستقيم معها الحياة[٥]. وبهذا يظهر لي أن أقوال المتأخرين في الإشارة هي ذاتها أقوال المتقدمين، وإنما التعارض بين نفي كروية الأرض وثبوته، وقد أثبته بعض المتقدمين، كما أثبته المتأخرون.

ثالثا: علاقة مقصد سورة الغاشية بالإشارة

إن تسطيح الأرض هو جزء من تمهيدها للعيش عليها، وبهذا تتضح العلاقة بين أول موضع ذكِرتْ فيه الإشارة، وبين هذا الموضع. وقد ابتدأتِ السورة بالتذكير بالغاشية: وهي القيامة–على

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٣، ص١٢٩، الجوهري، **الصحاح**، ج١، ص ٣٧٥، ابن فارس، **معجم المقاييس**،ج ٣، ص٥٣، الرازي، **مختار الصحاح**، ص ٣٢٦، الزبيدي، **تاج العروس**، ج٦، ص٤٧٢.

(٢) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٣٨٩، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٤٦، الزمخشري، **الكشاف**،ج٤، ص ٧٤٧، الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٣١، ص ١٤٥، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٨٧.

(٣) **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص٤٧٥.

(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٣١، ص١٤٥، وقريبا منه السعدي في تفسيره، ص٩٢٢، الصابوني في **صفوة التفاسير**، ونقله عن الألوسي، في **روح المعاني**، ج٣، ص٥٢٦. ويشار هنا إلى أن الرازي كان من أهم من قرر كروية الأرض من القدماء. ينظر مناقشة هذا الرأي عند هند شلبي في **التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق**، ١٠٤.

(٥) شلبي، **التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق**، ص٩٩، النجار، **الحيوان في القرآن الكريم**، ج٣، ص٢٦٧، النجار، **الأرض في القرآن الكريم**، ج٢، ص٦٢٣، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص٤٤٧، العودة، سلمان بن فهد، **إشراقات قرآنية** في جزء عم، ط١ ،٢م، الإسلام اليوم، الرياض، ١٤٣٣هـ،ج١، ص٣٩١.

أشهر الأقوال[١]– ثم ذكّرتْ بحال الفريقين يوم القيامة، وعبّرتْ عن ذلك بحال الوجوه؛ لأنها موطن ظهور الانفعالات، فكل ما يعتمله القلب يُظهره الوجه، فهو يختصر حالة الإنسان وواقعه.

وقبل أن يؤمر النبي– وهو إمام الأمة ﷺ–بالتذكير، قامت الدعوة بالنظر إلى مجموعة من الإشارات العلمية[٢]، وهي في حقيقتها شواهد على الغاشية أيضا، وشملت الدعوة للنظر ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية]. ولكن ما سر **الجمع بين الإشارات الأربع، ولماذا هذا الترتيب؟**

إن العامل المشترك بين هذه الإشارات العلمية، يتمثل في الدعوة للنظر في الكيف، فعلى المخاطب هنا أن ينظر إلى جمله الذي يركبه، ثم يرفع بصره نحو السماء التي تظله، ثم ينساب بصره نحو الجبل الذي يصعده، وأخيرا يطأطئ رأسه إلى الأرض التي تقله.

وقيل: بل إن جميع المخلوقات متساوية في الدلالة على قدرة الخالق، وذكرها جميعا غير ممكن[٣]، ولكنه ذكر هنا الإبل إشارة لعلوم الأحياء وأنواعها، وذكر السماء إشارة لعلوم للفلك وما يحويه، وذكر الجبال والأرض إشارة لعلوم الأرض وما تحويه أيضا.

"وليس الشأن في رفع الشيء وعلوه، فما رفع شيء إلا لحكمة، كما أنه ما خفض شيء إلا لحكمة، فهذه الأرض المبسوطة، لو كانت لها أسنمة كأسنمة الإبل، أو رقابا كرقابها، لما أمكن الانتفاع بها، والسير فيها، فهي مع ارتفاع بعض أجزائها، قد انبسط بعض أجزائها الأخرى؛ لتكون مهادا للناس، وبساطا ممدودا؛ وبهذا تذلل لهم وتستجيب لحركتهم عليها"[٤].

ويتضح هنا أن هذه الإشارات لها تعلق بمقصد السورة من جهتين:

الأولى: من جهة الدعوة التي ذكّر فيها بالغاشية، وأهوالها وحال الفريقين فيها.

الثانية: من جهة الداعي نفسه، وموضعها قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾.

---

(١) ابن قتيبة، **غريب القرآن**، ص ٥٢٥، **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٣٨١، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٤٤، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص٤٧٢، **تفسير القرطبي**، ج٢٠، ص٢٥، وأخبر أنه رأي الجمهور، الألوسي في **روح المعاني**، ج١٥، ص٣٢٤، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٩٤، وينظر: العودة، **إشراقات قرآنية**،ج ١، ص ٣٨٢.

(٢) قال الشنقيطي: "كيف يوجه السؤال إليهم للنظر إلى الكيفية وهي شيء لم يشهدوه ؟ والجواب: هو أنه بالتأمل في نتائج خلق الإبل، ونصب الجبال... إلخ، وإن لم يعلموا الكيف...". الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت: ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان**، (د.ط)،٩م، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٥م، ج ٨، ص٥١٨.

(٣) الإبراهيمي، **لطائف ومعارف القرآن الكريم**، ج٢، ص٧٢.

(٤) الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: ١٣٩٠هـ)، **التفسير القرآني للقرآن**، (د.ط)، ١٦م، دار الفكر العربي، القاهرة، ج١٦، ص ١٥٤٣.

ذكر البقاعي في مناسبة ذكر هذه الآيات بعد التذكير بالغاشية وحال الفريقين فيها: أنه سبحانه أراد أن يذكر المنكرين بقدرته على البعث، وعلى الغاشية وأهوالها، فذكّرهم بما في الكون من عجائب الصنع وعظيم الخلق[١]، ولفت الأنظار إلى التأمل في المشاهد الحسية المحيطة بهم، من عظمة السماء وعلوها، وما فيها من كواكب عظيمة، والأرض وما تشتمل عليه من سهول وبقاع مسطحة، يسهل الانتفاع بها والعيش عليها، والجبال الثوابت الراسخات فوقها لتثبيتها، والحيوانات ذات الأحجام الكبيرة كالإبل...، فمن خلق هذه الأشياء وغيرها، فهو القادر على خلق الناس مرة أخرى، وإعادتهم أحياء للحساب والجزاء[٢].

وبين سيد قطب أن القرآن الكريم ذكر هنا خطين أفقيين، وهما: السماء الواسعة المرفوعة، والأرض المسطحة الواسعة، وذكر معهما خطين عموديين، وهما: الجبال والجمال ذات السنام، وهذه لوحة متناسقة الأبعاد والاتجاهات[٣]. ولما كان معنى تسطيح الأرض قريبا من معنى تمهيدها، فإن العلاقة بينها وبين البعث ذكرت في سورة النبأ. فيظهر لي مما سبق كيف أن الإشارات الأربع، من سماء وأرض، وجبال وجمال، قد تآلفت فرسمت صورة غاية في الإبداع؛ لبناء موضوع التذكير بالبعث في السورة.

أما من جهة الداعي، فقد أشار لي أستاذي الدكتور سليمان-حفظه الرحمن- أنه يُلحظ أن هذه الإشارات قد جاءت؛ لما فيها من صفات تمثل في حقيقتها صفات الداعي، فأشهر صفة للجمل: الصبر، وللسماء: السمو والرفعة، وللجبل: الرسوخ والشموخ والثبات، وللأرض: التمهيد والانبساط. وكذلك هي صفات الداعي. فكما تضافرت[٤] الإشارات في الجهة الأولى؛ لبناء موضوع التذكير، فقد تكاملت هنا؛ لتكوّن صورة فنية غاية في الجمال؛ لبناء الجهة الثانية في المقصد.

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٢٢، ص ١٣، وذكره ابن عاشور في **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٣٠٣.

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت:٢٠١٥م)، **التفسير الوسيط**، ط١، ٣ م، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢ هـ،ج٣، ص٢٨٦٨. ونقله الباحث: عصام أسعد أحمد في رسالته: **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها**، ص١٠٠.

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص ٣٨٩٩.

(٤) كنتُ قد نوقشت بأن هذه الكلمة تكتب بالظاء أم الضاد، فوجدت أن الأزهري قد نقل عن بعض أهل اللغة: أن القول: تضافر القوم على فلان، وتظافروا عليه، وتظاهروا بمعنى واحد، كله إذا تعاونوا وتجمعوا عليه. **تهذيب اللغة**، ج١٢، ص١٠. وذكر ابن مالك (ت: ٦٧٢هـ): أن لفظ (تظافر)، من الألفاظ التي تنطق بالظاد والضاء. ينظر: جمال الدين بن مالك الأندلسي، **الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد**، ط١،١م، (تحقيق: حسين تورال، طه محسن)، مطابع النعمان، النجف، ١٩٧٢م، ص٨٩.

ولأن مقام الحديث هنا عن الأرض، فإن التسطيح والبسط فيها، ينافي الوعورة والضيق والشدة، وهذه الصفة في الأرض تمثل صفة الدعوة والداعي، إذ لا بد في الدعوة من البسط والتمهيد، وكذلك الداعي بحيث يكون متجنبا للشدة والجفاء.

ولهذا لاحظ سيد قطب أن سورة الغاشية تسير في إيقاع وأسلوب هادئ لكنه عميق، وباعث على التأمل والتدبر[١]، الذي يناسب موضوع البسط والتمهيد. والحقيقة أنني أستشعر الهدوء في فواصل الآيات، حيث إن سورة الغاشية اشتملت على ست وعشرين آية، منها أربع عشرة آية انتهت بفاصلة واحدة: وهي الهاء، وهو حرف همس وخفاء، وأما هذه الإشارات فقد انتهت بحرف التاء، وهو حرف همس أيضا[٢]. وبذلك فإنه تتكشف لي الدقة القرآنية في اختيار الإشارة، بحروفها ودلالاتها؛ لتناسب مقصد السورة.

المطلب السادس: القسم بالأرض وما طحاها

لم ترد الإشارة بهذا الوصف في القرآن الكريم إلا في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ [الشمس]. وهي آخر الإشارات المتعلقة بالأرض في الجزء الثلاثين مما يدخل في الدراسة، وهي أيضا آخر إشارة في سورة الشمس.

أولا: مقصد سورة الشمس

ذكر المفسرون الاتفاق على مكية السورة[٣]، واعتبر الفيروزأبادي أن مقصد السورة هو: إلهام الله ﷻ الخلق في الطاعة والمعصية، والفلاح والخيبة[٤]. وبين البقاعيُّ أن مقصودها: بيان أن الله ﷻ متصرف في النفوس، كما أنه متصرف في الأكوان[٥]. وهذا قول دقيق من البقاعي كما سيتبين. وذكر ابن عاشور أن من أغراضها: تهديد المشركين بالعذاب كما حل بالأمم السابقة[٦]. وأوضح الزحليي أن مقصودها: الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي[٧].

---

(١) المصدر نفسه،ج٦، ص٣٨٩٥.

(٢) الداني، عثمان بن سعيد (ت: ٤٤٤هـ)، **التحديد في الإتقان والتجويد**، ط١،١م، (تحقيق: غانم قدوري الحمد)، مكتبة دار الأنبار، بغداد، ١٩٨٨ م، ص١٠٤، و١٠٧.

(٣) نقل الاتفاق ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ) في **زاد المسير** في علم التفسير، ط١، ٤م، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ج٤، ص٤٥٠، وذكر أنه بلا خلاف، الشوكاني في **فتح القدير**، ج٥، ص٥٤٥، والألوسي في **روح المعاني**، ج١٥، ص٣٥٧، وصديق خان في **فتح البيان**، ج١٥، ص ٢٤٩، ونقل الاتفاق أيضا ابن عاشور في **التحرير والتنوير**، ج، ٣٠، ص ٣٦٥.

(٤) الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**،ج١، ص ٥٢٢.

(٥) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٢٢، ص٦٩، وينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص ٣٩١٥.

(٦) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٣٦٦.

(٧) **التفسير المنير**، ج٣٠، ص٢٥٦، وينظر: الإبراهيمي، **لطائف ومعارف القرآن**، ج ٢، ص ٢٤.

كما ذكر سيد طنطاوي أن من مقاصد السورة: تهديد المشركين بأنه سيصيبهم ما أصاب المكذبين من قبلهم، إذا ما استمروا في كفرهم، وبيان مظاهر قدرته ﷻ في خلقه، وبيان حسن عاقبة من يزكي نفسه، وسوء عاقبة من يتبع هواها[١]. وقيل: إن موضوع السورة هو: تأكيد قضية الجزاء، والذي هو عاقبة الابتلاء والمسؤولية في الدنيا[٢]. وقيل: بل مقصد السورة التركيز على إظهار آيات الله في الآفاق والأنفس؛ تزكية للنفوس وزجرا عن العصيان[٣]. وقبل الترجيح، فإنه يمكن لي أن أقسم السورة إلى مقطعين:

الأول: هو جملة القسم، ويظهر أن القرآن الكريم لم يجمع أقساما على شيء في موطن واحد، أكثر من تزكية النفس وتدسيتها في هذه السورة، فقد جمع لها أحد عشر قسما، وقد أدرجت على شكل ثنائيات في الكون: الشمس والقمر، النهار والليل، السماء والأرض، كما يتبين أن بين هذه المظاهر الكونية تكامل وظيفي، غاية في الدقة والانتظام.

الثاني: جواب القسم، على فلاح من زكى نفسه، وخيبة من دساها، وذكر مثالٍ على أمة لم تراع أمر الله التكليفي لها، فتركت العمل، ولم تسر على منهجه ﷻ، فخابت ودست نفسها.

ويترجح لي من خلال النظر في أقوال المفسرين، ومقاطع السورة، والمقسم عليه، ثم النظرة التكاملية في الإشارات العلمية الواردة في السورة، أن مقصدها هو: **بيان أن مظاهر التكامل الكوني دالة على التكامل التكليفي**، فعلى المسلم العامل الذي يدرك الدقة في سير وانتظام أوامر الله ﷻ الكونية، أن يسلتهم منها دقة الأوامر التكليفية، ليكون ذلك سببا في القيام والعمل[٤]، ليزكي بذلك نفسه، لأن الإشارات الكونية ما هي إلا مدرسة للإنسان، فإذا عصت أمة من الأمم وانحرفت عن المنهج وتركت العمل، فسنة الله الكونية تقتضي تطهير الأرض منهم.

وهذا ما حصل مع ثمود قوم نبي الله صالح ﷺ، إذ لما عارضوا الرسالة وتركوا أمر الله والعمل وإنكار المنكر، دمدم الله عليهم أجمعين، مع أن المجتمعين تسعة، والعاقر واحد فقط. وبهذا تتكشف لي حقيقة التكامل بين مقصد هذه السورة مع مقاصد السور السابقة.

---

(١) طنطاوي، **الوسيط**، ج ١٥، ص٤٠٩.

(٢) الميداني، **معارج التفكر**، ج٢، ص٣٠٧.

(٣) **المختصر في التفسير**، ص٥٩٥.

(٤) أشار لبعض هذه المعاني: البستاني، محمود (ت: ١٤٣٢هـ)، **التفسير البنائي للقرآن الكريم**، ط١، ٥م، الآستانة الرضوية المقدسة،١٤٢٤هـ، ج٥، ص٣٥٢، أحمد مصطفى نصير، مقال بعنوان: **دلالات تربوية على سورة الشمس**، شبكة الألوكة، بتاريخ: ٢٠١٣/١٢/٤م.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (الطَّحوَ): شبه الدّحْو، وهو البَسْط[١]، لكن ثمة اختلاف دقيق بينهما، إذ الطّحو فيه معنى البسط مع الامتداد في كل الاتجاهات، بخلاف الدّحو: الذي فيه معنى البسط والتمهيد[٢]، فالطّحو والدّحو: يشتركان في البسط، لكن الطحو فيه معنى المدّ، أما الدّحو: ففيه معنى التمهيد والتهيئة.

وأقوال **المفسرين المتقدمين** تتردد في معنى الإشارة، بين القسم بالأرض وبسطِها، أو بمن بسطها[٣]، أو أنه قسم بالأرض وخلقها أو بمن خلقها، أو أنه قسم بالأرض وتسويتها أو بمن سواها[٤]. أما **المتأخرون:** فقد ذكروا في الآية ما ذكروه في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات]. وبينوا أن المعنى: القسم بالأرض ومدها وبسطها، وبالذي كورها فمدها وبسط سطحها[٥].

وقد تنوعت الآراء إزاء نوع (ما) في الآية، على رأيين[٦]: فبعضهم اعتبر أنها مصدرية بمعنى: والأرض وطحوها، وبعضهم اعتبرها موصوله بمعنى: والأرض ومن طحاها. لكني أرى أن المقصود الأول من القسم: هو كيفية طحوها؛ وذلك لأمور عدة:

أولها: سياق الآيات، إذ إن السورة من بدايتها قسم صريح بأمور كونية، ولم يقسم الله سبحانه فيها بنفسه صراحة.

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٣، ص٢٧٧، ابن فارس، **مجمل اللغة**، ج١، ص٥٩٣، الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣٨، ص ٤٨٢.

(٢) ابن فارس، **معجم المقاييس**،ج ٣، ص ٣٤٨، ج٢، ص ٢٧٥.

(٣) البغوي في تفسيره، ج٥، ص٢٥٨، الرازي في **مفاتيح الغيب** ذكر البسط ،ج٣١، ص ١٧٦، **تفسير القرطبي**، ج٢٠، ص٧٥، **تفسير الجلالين**، ص٨٠٩.

(٤) تنظر الأقوال في: **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٤٥٤، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٨٣، الزمخشري، **الكشاف** –وذكر التسوية فقط– ج٤، ص ٧٦٢، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٨٨، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٤١١.

(٥) شلبي، **التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق**، ص٩٨، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص٤٦١، منصور، **سباحة الأرض وجريانها**، ص ٩.

(٦) الأصبهاني، إسماعيل بن محمد (ت: ٥٣٥هـ)، **إعراب القرآن**. ط١، ١م، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٥ م، ص ٥٢٤، العكبري، عبد الله بن الحسين (ت: ٦١٦هـ)، **التبيان في إعراب القرآن**، (د.ط)،٢م، (تحقيق: علي محمد البجاوي)، الناشر: عيسى البابي، ج٢، ص ١٢٩٠. والغريب أن الباحث بدوي لم يتعرض لهذه السورة في رسالته: **أثر إختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم**، مع أنها تدخل ضمن ما حدده للبحث، ولم يذكر أنه أراد دراسة نماذج فقط! ينظر: بدوي، محمد عبد الفتاح (٢٠١١م)، **أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم**، دراسة تطبيقية على جزء قد سمع وتبارك وعم، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص١٦٩.

ثانيها: مع ظاهرة حشد الأقسام في الجزء الثلاثين، إلا أنه يلاحظ أن الله ﷻ لم يقسم صراحة بنفسه في الجزء بعامة، فيرجح في هذه الآيات دلالات سياق القسم في الجزء بعامة.

ثالثها: قمت باستقراء الآياتِ التي أقسم الله ﷻ فيها بنفسه، فوجدتها قد وردت في سبعة مواضع[١]، وجميع هذه المواضع لم يتقدمها قسم بشيء آخر، وهنا تقدم القسمَ بالأرض وما طحاها، القسمُ بعدة إشارات كونية، فليس من عادة القرآن الكريم أن يتم القسم بأمور مخلوقة، ثم يقسم بعدها الخالق بنفسه!

رابعها: رغم أن (ما) إذا قصد بها العاقل فيقصد منها صفته، لكن بقاءها على أصلها أولى.

ومع ذلك فإن هذا لا يمنع أن يدخل المعنى الآخر ضمن هذا، فطحو الأرض بهذه الهيئة العظيمة، دليل على قدرة من أوجدها، ولهذا أشار ابن كثير إلى أن المعنيين يكملان بعضهما، ولا تعارض بينهما[٢]، والله تعالى أعلم.

ثالثا: علاقة مقصد سورة الشمس بالإشارة

إن طحو الأرض هو جزء من تمهيدها الوارد في أول إشارة للأرض في الجزء، وبذلك تبرز العلاقة بين أول إشارة في الجزء وآخرها. وقبل أن يقسم الله ﷻ في هذه السورة بالعالم الأرضي، أقسم بالعالم العلوي المتمثل بالسماء، وما يظهر فيها من شمس وقمر ونهار وليل، ولما كان مقصد السورة بيان التكامل بين الأعيان والظواهر الكونية؛ والذي بدوره يكون دالا على التكامل التكليفي، ليكون ملهما في القيام بالواجبات، فإنه لاشك أن بين جميع هذه الإشارات الكونية تكاملا غاية في الدقة والانتظام.

أما التكامل الوظيفي بين السماء والأرض فلا يخفى، ومظاهره متنوعة، وقد أشارت سورة الطارق لبعضها في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ ﴾، فالشمس التي في السماء تصدر حرارتها على الماء الذي في الأرض؛ ليتبخر ويرجع إلى السماء؛ ليكون سحبا ثم تمطر على الأرض. ويظهر هنا تضافر الإشارات العلمية؛ لخدمة مقصد هذه السورة.

وكذلك فإن التكامل الوظيفي في خصائص الأرض ذاتها، هو في غاية الدقة والانتظام، وهو شاهد على الدقة الإلهية في الأمور التكليفية، وبين سيد قطب أن هذا الإتقان الذي أبدعته يد الله

---

(١) في سور: [التغابن، آية: ٧]، [سبأ، آية: ٣]، [يونس، آية: ٥٣]، [مريم، آية:٦٨]، [الحجر، آية:٩٢]، [النساء، آية: ٦٥]، [المعارج، آية: ٤٠].

(٢) **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٤١١.

في الأرض، هو الذي سمح بالحياة فيها وفق تقديره وتدبيره، وحسب الظاهر فإنه لو حدث اختلال، ما أمكن أن تنشأ الحياة[١].

إن مظاهر التكامل في الأرض واضحة كالشمس في ضحاها، فقد جعل الله ﷻ الأرض ذات صفات كاملة؛ لتأهيلها لأداء وظيفتها في الكون، فقد أوضح المتأخرون أن طحو الأرض وتثبيتها بالجبال، وموقع الأرض بين الكواكب، ودورانها حول الشمس؛ لتتعاقب فيها الفصول، ثم دورانها حول نفسها، ليتعاقب الليل والنهار[٢]، وبُعدها عن القمر؛ لتتأثر بظاهرتي المد والجزر[٣]، ثم نسبة الحرارة وتوازنها مع الرطوبة، يضاف إلى ذلك نسبة الضغط مع الرياح وسرعتها[٤]، ثم تلك النسب الدقيقة للغازات المختلفة في الأرض، والذي يؤدي اختلالها إلى مشكلات بيئية غاية في التعقيد[٥]، كل ذلك من مظاهر التكامل فيها.

"وإذا كانت الأرض مرتبطة بحركة الكون هذا الارتباط القوي، فمن باب أولى أن ترتبط أيضا بشرع الله المنزل على رسوله، حتى يتم التناسق أيضا بين حركة الإنسان، وحركة الأرض، في هذا التصميم الكوني البديع"[٦]. ويظهر لي أن هذه الإشارة الدالة على التكامل في الأرض، قد جاءت لتكمل خدمة مقصد السورة، ثم إن تضافرها مع غيرها من الإشارات الواردة في السورة، قد أخرجت صورة متناسقة لمقصد التكامل في البناء الكوني. وعلى الإنسان الذي يرى معظم هذه المظاهر الدالة على كمال وتكامل القدرة الإلهية في الكون، أن يتخذ من كل ذلك سببًا لتنفيذ أوامره التكليفية، والتي هي غاية في الكمال والتكامل؛ للقيام بما أوجبه الله ﷻ عليه.

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**،ج٦، ص ٣٩١٧.

(٢) الراجحي، **الأرض والشمس في منظور الفكر الإسلامي، حقائق في مواجهة الأباطيل**، ص٤٥، منصور، **سباحة الأرض وجريانها**، ص٢٤،١٩،١٢.

(٣) وهذه تحدث بسبب جاذبية القمر: وتعني: حركتا ارتفاع وانخفاض ماء البحر أمام معظم سواحل البحار والمحيطات بتتابع يومي منتظم، يتكرر فيه كل منها مرتين. ولكن على الرغم من أن الفترات التي تفصل بين المد والجزر الذي يليه، أو بين المدين أو الجزرين اللذين يحدثان خلال اليوم الواحد، تكون واحدة تقريبًا من يوم إلى آخر؛ فإن أوقات حدوثها تتأخر يوميًّا بمعدل ٥٢ دقيقة خلال الشهر العربي، وهي نفس المدة التي يتأخر بها ظهور القمر كل ليلة منذ مولده في أول الشهر حتى اختفائه في آخره. شرف، عبد العزيز طريح، **المقدمات في الجغرافيا الطبيعية**،(د.ط)، ١م، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ص٢٢٠-٢٢١. وينظر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **معجم الجيولوجيا**، ط٢، ١م، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة،١٩٨٢م، ص٤٠٤. سيد عمارة(٢٠٠٤ م)، **الأرض دائمة الحركة، ودلالة ذلك في القرآن الكريم**، مؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دبي، ٢٢ــ ٢٥، مارس، ص٢-٤.

(٤) فايد، يوسف عبد المجيد، **جغرافية المناخ والنبات**، (د.ط)، ١م، دار النهضة العربية، مصر، ص١٨و٤٠و٧٢، الشيرازي، السيد محمد الحسيني، **فقه البيئة**، ط١،١م، مؤسسة الوعي الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٣٧، وينظر: الجميلي في كتابه **الإعجاز العلمي في القرآن**، ص٦٤.

(٥) محمدين والفرا، **المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة**، ص٣٧٢. وذكر أيضا من مظاهر التكامل الوظيفي: التكامل في التوزيع الجغرافي للنباتات والحيوانات والأمطار والجبال.

(٦) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٢١٨.

وإن من أعظم صور التكامل في الأمور التكليفية: التكامل في قضايا الإيمان، وخاصة ما يتصل باليوم الآخر والبعث. فالمسلم يجد أن الإيمان بالله ﷻ يتكامل مع جميع أركان الإيمان الأخرى؛ لبناء عقيدة المؤمن الكامل. والالتزام بذلك الكمال التكليفي في الدنيا، موصل إلى حسن العاقبة بعد البعث، وترك هذا المنهج في الدنيا موجب للعقوبة في الدنيا، والسخط بعد البعث، كما حصل لثمود. ثم لا بد للمسلم الذي يدرك هذا التكامل بين مظاهر الكون، أن يكون كل ذلك ملهما له لأن يتكامل مع غيره من العاملين للأمة؛ لبناء مقصد الاستخلاف والعمارة في الأرض.

وبهذا أجد العلاقة الوطيدة بين تكامل الإشارات الكونية، وهي من فعل الله ﷻ، وبين تكامل القضايا التكليفية، وهي من قول الله ﷻ وأمره، ولا يمكن أن تتناقض هذه وتلك، أو تتعارض هذه مع تلك. وقد أدركتُ بهذا أن العلاقاتِ التكاملية بين الإشاراتِ المذكورة في سورة الشمس، كانت إحدى الدعائم لتقوية ما ترجح لدي في مقصد السورة، والله أعلم.

وفي ختام هذا المبحث فإنه تتكشف لي تلك العلاقة التكاملية بين الإشارات المتعلقة بالأرض في الجزء الثلاثين، فقد وردت هذه الإشارة في ستة مواضع في الجزء، ولم تتكرر أي من هذه الإشارات، لكنها في مجموعها تؤول في دلالاتها إلى الإشارة الأولى.

فقد ذكرت سورة النبأ المنة بجعل الأرض مهادا، ثم جاءت سورة النازعات لتعطي صورة من ذلك التمهيد: وهي كون الأرض مدحوة بالماء والمرعى، ثم سورة عبس لتذكر صورة أخرى من صور التمهيد: وهو شق الأرض بالنبات.

وقريبا مما ذكرته سورة عبس، جاءت سورة الطارق؛ لتؤكد على صفة أشمل من شق الأرض بالنبات: وهي صفة الصدع في الأرض، وهذا الصدع يعد من تمهيد الأرض أيضا. ثم ما ذكرته سورة الغاشية من تسطيح الأرض، وهو عائد أيضا إلى كونها مهادا، ثم القسم بطحوها في سورة الشمس، وكما تبين أخيرا، فإنه جزء من تمهيد الأرض.

أما العلاقة بين السور التي وردت فيها هذه الإشارة، فقد وردت هذه الإشارة في سورة النبأ والتي كان مقصدها التدليل على البعث، ثم النازعات والتي كان مقصدها هز القلوب والتخويف بشأن البعث، ثم في سورة عبس، والتي مقصدها التذكرة، وأهم ما يذكر به البعث، ثم سورة الطارق التي مقصدها قدرته ﷻ على الحفظ الأنفس والأعمال وكشفها عند البعث.

وبعد سورة الطارق تأتي سورة الغاشية، والتي كان مقصدها بيان واجب الأمة في الدعوة، وأهم ما يدعو إليه الداعي هو قضية الآخرة والبعث، وفي الأخير ذكرت الإشارة في سورة الشمس التي أرادت بيان أن التكامل الكوني، دال على التكامل التكليفي، فيستلهم المؤمن من الكمال الكوني في الأرض، كمال الأمر التكليفي فيها، وأهم القضايا التكليفية: العقيدة وأهمها:

الإيمان باليوم الآخر، والالتزام بها موصل إلى حسن العاقبة عند البعث، وترك هذا المنهج في الدنيا موجب للعقوبة في الدنيا، والسخط عند البعث.

فيتضح لي أن هذه الإشارة قد أسهمت في بناء عقيدة البعث في الجزء، فقد وردت في موطن التدليل عليها، ثم التخويف فالتذكير بها، ثم التأكيد على قدرة الله ﷻ عليها، وبيان واجب الأمة بالدعوة إليها، وأخيرا فلاح من آمن بها وخسارة من كفر. وحيث إن الإيمان بالبعث هو الدافع للعمل، فقد تبين أن الإشارة تبني هذا الجانب لدى المسلم الفاعل، فعليه أن يستلهم من ذلك أن له وظيفة لا بد له من القيام بها. فأهمية الأرض للناس هي ذاتها أهمية الدعوة والعمل، وحاجتهم للأرض هي حاجتهم للدعوة، فكما أن الأرض مبسوطة، فكذلك المجال مبسوط للمسلم أن يعمل ويتحرك ويدعو ويتقدم[١]، والله تعالى الموفق.

(١) الفكرة من أستاذي الدكتور: الدقور-حفظه الله-.

المبحث الثاني: الجبال

ذكر أهل اللغة أن الجبال جمع جَبَل، وهو تجمّع الشيء في ارتفاع[١]، ويعرّف على أنه: سطح طبيعي من سطوح الأرض، مرتفع على نحو بارز عما يحيط به. والجبل: أعلى من التل، وتمتاز جميع الجبال بصغر القمة عن مساحة القاعدة، بخلاف الهضبة، ونادرا ما تكون الجبال على شكل قمم منعزلة، وإنما تنتظم على شكل مجموعات وسلاسل[٢].

وقد ورد لفظ الجبل في القرآن الكريم: تسعا وثلاثين مرة[٣]، مفردا وجمعا، ووجدت أنها شملت الحديث عن خلقها، وفوائدها، ووظائفها، وفنائها[٤]. ومن خلال النظر في الآيات المتحدثة عن الجبال في القرآن الكريم، فقد ذكر المتأخرون أن وظيفة الجبال الأساسية: هي تثبيت الأرض، وأن هناك نوعا من الجبال يلقى فوق سطح الأرض ولا يتكون من باطنها، وأن من الجبال ما يرسو عند الشواطئ كما ترسو السفن[٥]. ولقد وصف القرآن الجبال بالشامخات، وعبر عن كيفية خلقها بالنصب، ولفت النظر إلى الاعتبار بطولها؛ لإبراز ضعف الإنسان، كل هذه أدلة تنبه على كون الجبال المقصودة في القرآن هي الضخمة العظيمة، لا الصغيرة المنفردة[٦].

وعبر القرآن الكريم عن الجبال بلفظ: الرواسي في تسعة مواضع[٧]، وتتمثل العلاقة الدلالية بين (الجبال) و(الرواسي)، في أنَّ القرآن قد يستغني بلفظ (الرواسي) عن الجبال؛ لتماثلهما في الماهية، لكنه إنما يقصد كلا منهما في سياق، ليُعبر عن معنى معين، وهذا ظاهر في أمرين[٨]:

أحدهما: الثبات وعدم الاضطراب، ويتعلق هذا بلفظ: الرواسي.

والثاني: العلو، ويتعلق بلفظ: الجبال. كما أن الجبل يضفي على النفس جلالا وهيبة، ولذا مثّل القرآن الكريم بنزول القرآن على الجبل[٩]، وجعله الله أداة عذاب، كما في حديث الأخشبين[١]،

---

(١) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج١، ص٤٤٦.

(٢) البعلبكي، **موسوعة المورد العربية**، ج١، ص٣٧٥، عبد العزيز، **المقدمات في الجغرافيا الطبيعية**، ص١٩٦، زايد، فهد خليل، **الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم**، ط١، ١م، دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٨م، ص١٦.

(٣) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص ١٦٣، ست مرات بصيغة المفرد، و ثلاثا وثلاثين مرة بصيغة الجمع.

(٤) المواضع بالترتيب: [الغاشية: ١٩]، [النبأ: ٧]، [الأنبياء: ٧٩]، [القارعة: ٥].

(٥) ينظر: زايد، **الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم**، ص١٧.

(٦) هند شلبي، **التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق**، ص١١٤.

(٧) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٣٢٠.

(٨) زنكنة، آلان سمين مجيد (٢٠٠٢م)، **العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ص٢٦.

(٩) قال الله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١].

ومع ذلك فهو مكان اللجوء والأمن والأنس والبعد عن المكدرات[٢]، ولهذا ما كان عبثا أن أرى النبي ﷺ يتحنث في غار على جبل، أو يستأنس بأصحابه الخلّص على جبل، وأن يحب الجبل، وأن يجعله ملاذا من الفتن[٣]. ويظهر من كل ما سبق أن في الجبال دلالات: الصلابة والقوة والشموخ والثبات[٤].

وقد ورد ذكر الجبال في الجزء الثلاثين: في ستة مواضع، وأما ما يدخل ضمن هذه الدراسة، فهي ثلاثة مواضع فقط[٥]:

أولا: في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ ﴾ [النبأ].

ثانيا: في قوله: ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢ ﴾ [النازعات].

ثالثا: في قوله: ﴿ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ ﴾ [الغاشية].

المطلب الأول: الجبال أوتاد

لم ترد هذه الإشارة إلا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ ﴾ [النبأ]، وهي أول إشارة تتعلق بالجبال في الجزء.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن الأوتاد مفردها (وَتِدْ)، وهو ما رُزّ في الحائط أو الأرض من الخشب[٦]، وفائدته التثبيت، ويكثر استخدامه في الخيمة وغيرها. ولفظة الوتد: "تختزن إيقاعا يوحي بسِمَة

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر** من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، **(صحيح البخاري)**، ط١، ٦م، (تحقيق: محمد زهير الناصر)، دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين، ج٣، ص ١١٨٠، برقم:٣٠٥٩.

(٢) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا ﴾ [النحل: ٨١].

(٣) إشارة لحديث: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن). **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب خبير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ج٣، ص ١٢٠١، برقم:٣١٢٤. وحديث: (ليفرن الناس من الدجال في الجبال). **صحيح مسلم**، كتاب الفتن، باب الفرار من الدجال وقلة العرب،ج٨، ص ٢٠٧، برقم:٧٥٠٣.

(٤) وممن أكد هذا المعنى: بنت الشاطئ، عائشة محمد (ت: ١٤١٩هـ)، **التفسير البياني للقرآن**، ط٧، ٢م، دار المعارف، القاهرة، ج١، ص١٥٢، والشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١٥،١م، نشر: مدرسة الإمام علي، قم، ١٤٢٦هـ، ج١٥، ص٢٨٤.

(٥) المواضع الأخرى في: [النبأ: ٢٠]، [التكوير: ٣]، [القارعة: ٥].

(٦) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٣، ص٤٤٤. وقد وردت لفظة (أوتاد) في القرآن ثلاث مرات في سور: ص والنبأ والفجر، مرتين في شأن فرعون ومرة فيما يخص الجبال. قال ابن عاشور: " إن كثرة الجبال الناتئة على ☜

الالتصاق مع القوة، وذلك من خلال اجتماع حرفي التاء والدال، فكلاهما صوت انفجاري"[١]. وجعلُ الجبالِ أوتادا: أي لتثبت بها الأرض كما تثبت الخيمة بالأوتاد.

ومجموع **أقوال المفسرين المتقدمين** تدور حول معنى: أن الله ﷻ ثبت الأرض بالجبال، كي تسكن ولا تميد[٢]. وأما **المتأخرون**، فقد تبين لي أنهم يتحدثون في الآية عن: أنواع الجبال وجذورها[٣]، فيذكرون: أن الوتد يغرس أكثره في باطن الأرض، ويبقى أقله ظاهرا، والجبل كذلك، إذ إنه مغروس أكثره في باطن الأرض، وأما ما يظهر فهو الجزء القليل الباقي، ووظيفته تثبيت الأرض، وقد روي عن النبي ﷺ: (لما خلق الله ﷻ الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها، فاستقرت)[٤]. ومن ذلك يتبين أن هذا الوصف للجبال: هو غاية في الدقة[٥].

ونتيجة لذلك فقد تبين أن التفسير العلمي لهذه الآية، قد أكد أن بعض التشبيهات في القرآن هي: حقيقة، ولذلك فالدلالة تستمر وتتسع لمفاهيم كل عصر[٦]. كما يذكر المتأخرون علاقة الجبال بجاذبية الأرض[٧]، فهي موزعة بدقة على سطح الأرض، مما يساعد على التوازن بين المرتفعات والمنخفضات بحيث لا تميد ولا تضطرب[٨]. وعليه فليس ثمة تعارض.

ثانيا: علاقة مقصد سورة النبأ بالإشارة

وجه الأرض قد يخطر في الأذهان أنها لا تناسب جعل الأرض مهادا، فكان تشبيه الجبال بالأوتاد مستملحا". **التحرير والتنوير**،ج ٣٠، ص١٤.

(١) دعسان، أحمد محمد، **التكثيف البلاغي** في القرآن الكريم، جزء عم دراسة أسلوبية، ط١، ١م، دار المأمون، الأردن،٢٠٠٩، ص٣٢.

(٢) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص١٥١، **تفسير البغوي**، ج٥، ص١٩٩، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص٤٢٣، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص٨، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٠٢.

(٣) العبيدي، **ومضات إعجازية،ج٤، ص٢٨**، متولي، **الموسوعة الذهبية**، ص٢٠٨، علي، **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ص٩٤، النجار، زغلول راغب، **المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم**، ط١٠، ١م، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٩، منصور، **الكون كتاب الله المنظور**، ج٣، ص١٨.

(٤) **مسند أحمد**، ج ١٩، ص٢٧٧، برقم: ١٢٢٥٤، والحديث ضعفه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند، وضعفه الألباني في **ضعيف الجامع** حديث رقم: ٤٧٧٠، لكن الضياء المقدسي حكم بتحسين الإسناد. المقدسي، محمد بن عبد الواحد (ت: ٦٤٣هـ)، **الأحاديث المختارة**، ط٣، ١٣م، (تحقيق: عبد الملك بن دهيش)، دار خضر، بيروت،٢٠٠٠م، ج٦، ص١٥٢، برقم:٢١٤٨.

(٥) أشار لهذا ابن عاشور في **التحرير والتنوير** ج٣٠، ص٧٨، وينظر: هند شلبي، **التفسير العلمي بين النظريات والتطبيق**، ص١١٤، النجار في **الأرض في القرآن**، ج٢، ص ٢١٣-٢١٥، يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص٢٣٨، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج ٤، ص٢٧٧، منصور محمد حسب، **الرواسي الشامخات والماء الفرات**، ط١، ١م، دار الفكر العربي، مصر، ٢٠١٠ م، ص ١٥، الياسري، هاشم عبد الله (٢٠١٣م)، الإعجاز القرآني في آيات الطبيعة، **مجلة دراسات تربوية**، (عدد٢١): ص٢٣٢.

(٦) ينظر: ياسوف، أحمد، **جماليات المفردة القرآنية**، ط٢، ١م، أصلها أطروحة دكتوراه، دار المكتبي، دمشق، ١٩٩٩م، ص٢٨٠.

(٧) الشعراوي، **المختار من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٥٢.

(٨) زايد، **الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم**، ص١٧.

لقد ساق القرآن الكريم هذه الإشارة ضمن مجموعة من الإشارات العلمية الدالة على البعث، ولما ذُكِر دليل تمهيد الأرض، أُتبع بذكر الجبال التي هي أوتاد لهذه الأرض، وقد ظهر لي أن كون الجبال أوتادا: هو إتمام لتمهيد الأرض، فوظيفة الجبال-كما ذكر المتأخرون- تكمن في تحقيق توازن وثبات الأرض، من أجل تيسير الحياة عليها، فهي تعمل على صد الرياح العنيفة؛ لتأمن المخلوقات، وبسبب اختلاف ارتفاع الجبال فإن هذا يحدث تخلخلا في تيارات الرياح والتي لها الأثر البالغ في تخفيف درجات الحرارة العالية(١).

ومن إتمام التمهيد أيضا أن الجبال: هي وسيلة من وسائل تدبير الماء الذي به حياة الناس، فهو وسيلة لحفظ الماء للناس، وذلك بالثلوج وحجز الغيوم من أن تسير بعيدا(٢)، وحفظه عن الإنسان من أن تطغى عليه البحار والمحيطات. كما أنه من خلال الظروف الخاصة لتكوّن جذور الجبال في باطن الأرض، فإن هذا يوفر مجموعة من الثروات الأرضية التي لا يمكن أن تتكون إلا ضمن هذه الظروف(٣).

وبهذا تظهر علاقة جعل الجبال أوتادا بتمهيد الحياة على الأرض، كما تتضح علاقة الجبال بكل ما فيه حياة المخلوقات على الأرض من مياه وثروات، فإذا أراد الله ﷻ أن يغير من حال الأرض بإزالة صفة التمهيد فيها، فإنه سيغير من حال الجبال، فيسيّرها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النبأ]، عندها ستهتز الأرض وتتزلزل، وتكون غير ممهدة للحياة. ومما سبق فإنه تبرز العلاقة التكاملية بين هاتين الإشارتين.

كما أن قوة الإنسان لا تقارن بقوة الجبال وشموخها وثباتها، لكن كل هذه القوى في الجبال ستدكّ، وستذهب الصلابة الحجرية فيها، فتكون في ليونتها كالعهن المنفوش، وكالرمل المتهايل، بل ستصبح الجبال سرابا(٤).

ولهذا شبّهت الجبال مع اختصاصها بالصلابة والقوة، بأضعف ما يكون وأرخاه، وهو الصوف المصبوغ؛ "لأنه ألين ما يكون عند نفشه، وما ذاك إلا لإظهار باهر القدرة، مبالغة في

---

(١) منصور، **الرواسي الشامخات والماء الفرات**، ص ٧-٨.
(٢) الياسري، **الإعجاز القرآني في آيات الطبيعة**، ص٢٤٤.
(٣) شرف، **المقدمات في الجغرافيا الطبيعية**، ص١٩٧، النجار، **الأرض في القرآن الكريم**، ج٢، ص٢١٥. النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص ٢٨٠- ٢٨٣، وينظر الجاويش، محمد إسماعيل، **من عجائب الخلق في الكون العظيم**، (د.ط)،١م، الدار الذهبية، القاهرة، ص١٥١-١٥٤.
(٤) وكل ما ذكر هو إشارة للآيات التالية: [القارعة: ٥]، و [المزمل: ١٤]، و[النبأ: ٢٠]. وللتفصيل، ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٣، ص ٢٨٢.

الرد على من أنكر المعاد الأخروي، وتكذيبا لمن حاك في صدره استبعاد ذلك"[١]. فإذا كانت هذه النهاية المحتومة للجبال العظيمة، فما حال أهل الأرض عندئذ؟ فهل يصعب على من سيدكها ويفنيها، أن يفني الإنسان، ثم يبعثه بعدها!

"إن التغير في الصور الكونية المحسوسة، فيه إيحاء للإنسان بأنّ النعم لا تدوم، وتدفعه إلى المقارنة بين هذه الصور الكونية في الدنيا، وصورتها في الآخرة، وما يصيبها من دمار وفناء"[٢]، وكل المشاهد جاءت لتحقيق المقصد العام في السورة، وبذلك يتكشف لي كيف أن هذه الإشارة قد أسهمت في خدمة مقصد البعث في سورة النبأ.

المطلب الثاني: إرساء الجبال

لم ترد هذه الإشارة بلفظ: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢﴾ [النازعات]، إلا في هذا الموضع من القرآن الكريم، وهي ثاني إشارة تتعلق بالجبال في الجزء، وآخر الإشارات العلمية مما يدخل في الدراسة في سورة النازعات.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (إرْساءَ الشيء) يعني: تثبيت أصله، وبين ابن فارس أن الراء والسين: أصل يدل على ثبات، وكذلك الراء والسين والحرف المعتل[٣]. والرواسي من الجبال: هي الثابتة[٤]، والرُّسوّ: لا يكون إلا للأمور العظيمة الثقيلة، فيقال للسفينة: ترسُو، ولا يقال ذلك للقارب؛ ولذا قال تعالى في آخر السورة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢﴾ [النازعات]؛ لأن أمر الساعة عظيم، ولأنه ثقل مجيئها في السماوات والأرض.

وتدور معظم أقوال **المفسرين المتقدمين** في الآية، حول معنى: تثبيتها في الأرض كي لا تميد[٥]، وهو ما ذكر في الإشارة السابقة. وقد وجدت تنوعا في آراء المفسرين إزاء الضمير في قوله: (أرساها)، فبعضهم يرى أنه يعود إلى الأرض؛ لأن جميع الضمائر التي قبلها تعود إليها،

---

(١) العلوي، يحيى بن حمزة (ت: ٧٤٥هـ)، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ط١، ٣م، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ج١، ص١٥٧. أقول: وإنما خصص تشبيه الجبال بالصوف الملون؛ لأن الجبال كذلك، فمنها البيض والحمر والسود، ولهذا إذا تناثرت الجبال تصبح كالصوف الملون المنفوش.

(٢) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص١٠١.

(٣) الفراهيدي، **العين**، ج٧، ص٢٩٠، ابن فارس، **معجم المقاييس**،ج٢، ص ٣٠٦، وج٢، ص ٣٢٤، الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣٨، ص١٥٠.

(٤) الأنباري، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، ج١، ص ٣٧٢.

(٥) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢١١، **تفسير البغوي**، ج٣، ص٥٤، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٣٤، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٠، ص١٩٠، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣١٦، **تفسير الجلالين**، ص٧٩٠.

فيكون المعنى: وبالجبال أرسى الأرض[١]. ويمكن أن يعود الضمير إلى الجبال، فيكون المعنى: إثباتها على الأرض[٢].

أما **المتأخرون**، فقد ذكر بعضهم أنه سواء عاد الضمير في قوله أرساها، إلى الجبال أو إلى الأرض فإن المعنى صحيح، فالجبال مثبَّتة في الغلاف الصخري، وهي أيضا مثبِّتة له[٣]، كما أنهم يذكرون أن هذه الآية تشير إلى أنواع معينة من الجبال، وهي الجبال الرسوبية والبركانية[٤]، ويبينون كذلك ما ذكر في الإشارة السابقة من تثبيت الجبال للأرض، وحفظ توازنها[٥]. و يظهر من هذا أنه لا تعارض بين الأقوال، بل هي متممة لبعضها، والله أعلم.

ثانيا: علاقة مقصد سورة النازعات بالإشارة

بما أن مقصدي سورتي النبأ والنازعات متقاربان، وبما أن دلالة جعل الجبال أوتادا وإرسائها متقاربة كذلك، فإن ما قيل في العلاقة بين الإشارة الأولى ومقصد السورة، يقال في هذه الإشارة، إلا أنه تبين لي من خلال دلالة السياق في هذه الإشارة، أن فائدة إرساء الجبال، تختلف عن كونها أوتادا.

إن مجيء الإشارة المتعلقة بإرساء الجبال في سورة النازعات بين قول الله تعالى: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ ﴾، وقوله: ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾، يُظهر أن إرساء الجبال له علاقة بالماء والمرعى، حتى يكون هذا كله متاعا للناس ولأنعامهم، فكيف يكون ذلك؟ وخاصة أنني استقرأت الآياتِ فوجدت أن القرآن الكريم كثيرا ما يقرن بينهما[٦]، فما سر هذا الاقتران؟

لقد تقدم في الحديث عن الجبال في سورة النبأ[٧]، أن للجبال مجموعة وظائف، منها: إحداث تخلخل في تيارات الرياح، والتي لها الأثر البالغ في تخفيف درجات الحرارة العالية، والتي تؤثر بدورها في نزول الأمطار والثلوج[٨]، كما سبق أن الجبال وسيلة من وسائل تدبير الماء وحفظه للناس بالثلوج المتراكمة على قممها، ثم حجز الغيوم من أن تسير بعيدا.

---

(١) أبو السعود، محمد بن محمد (ت: ٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود)**، (د.ط)، ٩م، دار إحياء التراث، بيروت، ج٩، ص١٠٢.
(٢) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٥، ص ٤٥٨.
(٣) النجار، **الأرض في القرآن الكريم**، ج٢، ص٢٢٢-٢٢٣.
(٤) النجار، **المفهوم العلمي للجبال**، ص١٩، منصور، **الرواسي الشامخات والماء الفرات**، ص١٨.
(٥) الياسري، **الإعجاز القرآني في آيات الطبيعة**، ص٢٤٢.
(٦) ومن ذلك ما ورد في سور: [الرعد: ٣]، [النحل: ١٥]، [لقمان: ١٠]، [المرسلات: ٢٧].
(٧) صفحة : ٦١.
(٨) الجاويش، **من عجائب الخلق في الكون العظيم**، ص١٥١-١٥٤، متولي، **الموسوعة الذهبية**، ص٢١١.

إن ذوبان الثلوج من على قمم الجبال باستمرار، يشكل ظاهرة من أعجب ظواهر الخلق، فقد بين المتأخرون أنه لولاه، لجفت الأنهار إذا انقضت الأمطار، ولهذا فإن الجبال تعتبر منبعا مناسبا للأنهار[١]، فتزدهر بذلك الحضارات حول مجاريها، ويشير لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النحل].

و للعلاقة الوثيقة بين المطر والجبال، فقد شبه القرآن الكريم السحاب بالجبال، في قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ [النور: ٤٣]، قال سيد قطب:" ومشهد السحب كالجبال لا يبدو كما يبدو لراكب الطائرة وهي تعلو فوق السحب أو تسير بينها، فإذا المشهد مشهد الجبال حقا، بضخامتها ومساقطها وارتفاعاتها وانخفاضاتها"[٢].

وأما علاقة الجبال بالنبات، فقد وجدت آيتين أخريين تشيران –بسياقهما– لوجود علاقة بينهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحجر]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ [ق]، وقد ألمح ابن عاشور من طرف خفي، إلى أن الجبال تفيد في إخراج المرعى، فالجبال خلقت ذات صخور سائخة إلى باطن الأرض، ولولا ذلك لزعزعتها الرياح. وخلقت كذلك تتخللها الصخور والأشجار، ولولا ذلك لتهيلت أتربتها، وزادها في ذلك أنها جعلت أحجامها متناسبة، بأن خلقت متسعة القواعد ثم تتصاعد متضائقة[٣]، بل إن نشوء التربة أصلا كان من تلك الرسوبيات التي تجرفها المياه من سطوح الجبال[٤].

ويظهر من هذا أن للجبال دورا بارزا في حفظ الماء ونشوء التربة وحفظها، والتي بها يقوم المرعى والنبات، ويشهد لكل هذا، ما جاء في دعاء النبي ﷺ عندما دعا لتحويل مسار المطر، قال: (اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال...ومنابت الشجر)[٥].

---

(١) منصور، **الرواسي الشامخات والماء الفرات**، ص ٧-٨.
(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٥٢٢.
(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج ٣٠، ص ٧٨.
(٤) منصور، **الرواسي الشامخات والماء الفرات**، ص١٧.
(٥) **صحيح البخاري**، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، ج١، ص ٣٤٣، برقم: ٩٦٧. الآكام: هي الهضبة الضخمة، وينظر: شرح الحديث، ابن حجر، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢ هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (د.ط)، ١٣م، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج٢، ص٥٠٥.

وجاء في رواية أخرى، تحديد رؤوس الجبال بالدعاء[١]، وكأني به ﷺ قد رعى هذه المعاني في الدعاء. ويمكن بهذا أن يكون هناك موت لأرض، أو إحياء لأخرى بفعل الجبال، وهذه الدلالات تشعر بموت الإنسان وبعثه.

وبهذا تصبح العلاقة واضحة بين ذكر الماء والمرعى قبل الجبال، وبه أستبعدُ القولَ بأن تقديم الماء والمرعى إنما هو لمجرد الاعتناء بأمر المأكل والمشرب فقط[٢]، وبذلك أيضا تتبين العلاقة التكاملية بين الإشارة، وبين نزول الماء وإنبات النبات، في خدمة مقصد تخويف القلوب التي تكذب بالبعث والجزاء في السورة.

ففي ذلك تأكيد على أن الجبال تسهم في استمرارية الحياة، ليس من جانب تثبيت الأرض فحسب، وإنما من جوانب أخرى أكثر اتصالا بحياة الإنسان ومعاشه، وما دام أن لإرساء الجبال هذه المهمة الكونية العظيمة المؤثرة الفاعلة، فكأنها بذلك تحث المسلم على العمل والسعي. ثم أرشدني أستاذي الدكتور الدقور–حفظه الله– إلى أنه ما دام أن السورة جاءت لتحث على العمل وتخوّف من تركه، من خلال عرض هذه المشاهد، فإن القادر على إرساء الجبال بأثقالها وعظمتها، فهو قادرﷻ على إرساء أعمالنا ودعوتنا التي قمنا فيها بصدق وإخلاص.

المطلب الثالث: نصب الجبال

لم ترد هذه الإشارة في القرآن الكريم إلا في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ [الغاشية]، وهو آخر المواضع المتعلقة بالجبال في الجزء الثلاثين مما يدخل في الدراسة.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (نَصْبَ الشيء): يعني إقامته[٣]، وبين ابن فارس أن (نَصَبَ): أصل يدل على هذا المعنى[٤]. وتدور **أقوال المفسرين المتقدمين** حول معنى: أن الجبال أقيمت منتصبة لا تسقط ولا تزول[٥]. واعتبر **المتأخرون** أن نصب الجبال: متمّم لتسطيح الأرض، فما دام أن الأرض مسطحة، فهي بحاجة لتثبيت، ثم بينوا كيفية نصب الجبال، فذكروا أنه يستغرق تكوينها

---

(١) مالك بن أنس (ت:١٧٩ هـ)، **موطأ الإمام برواية ابن القاسم**، ط١، ١م، (تحقيق: محمد بن علوي)، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات، ٢٠٠٤م، ص ٣١٩، برقم: ٤٤٨.

(٢) ينظر: **تفسير أبي السعود**، ج٩، ص١٠٢، ابن عجيبة، **البحر المديد**، ج٧، ص٢٣٢.

(٣) الجوهري، **الصحاح**، ج١، ص٢٢٤، ونقله ابن منظور في **اللسان** عن الجوهري، ج١، ص٧٦٠، والزبيدي في **تاج العروس**، ج٤، ص٢٧٣.

(٤) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٥، ص٣٤٨.

(٥) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٣٨٩، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٤٦، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٤٧، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٧٥، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٤٥، **تفسير القرطبي**، ج٢٠، ص٣٦، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٨٧.

ونصبها ملايين السنين، عبر رحلة شاقة ضاربة في أعماق الزمان[١]. ومن ذلك يتضح أن ليس ثمة تعارض بين الأقوال، والله أعلم.

ثانيا: علاقة مقصد سورة الغاشية بالإشارة

لقد وردت هذه الإشارة في السورة، ضمن مجموعة من الإشارات في معرض بيان واجب الأمة في الدعوة، والإشارة إلى صفات الداعي، ولما كانت قضية البعث- وهي المحفز للعمل- هي موضوع الدعوة في السورة، فإن بيان العلاقة بذلك تتشابه مع ما ذكر في سورتي النبأ والنازعات؛ لتشابه المقصد والإشارة، فإنه ما كان نصب الجبال إلا لجعلها أوتادا ورواسي.

وسبق لي أن بينت العلاقة التكاملية بين هذه الإشارة، والإشارات الأربع المذكورة في السورة؛ لخدمة مقصد الدعوة فيها[٢]. ولا يخفى ذلكم التناسق البديع في الصورة الكونية المرسومة في هذه الإشارات، فذكر الجمال هنا دون سائر الحيوانات، اقتضاها التناسق بين أجزاء الصورة المرسومة، "فالسماء المرفوعة، تقابلها الأرض المبسوطة، والجبال المنصوبة في الأرض المبسوطة، تلائمها الجمال المنصوبة السنام، وهكذا ترسم الصور مشاهد الطبيعة بالمساحات والمسافات والخطوط والأشكال، وتدعو الإنسان إلى تأمل هذه المشاهد المتناسقة التي تدلّ على خالقها المبدع"[٣].

أما علاقة هذه الإشارة بصفات الداعي، فقد تبين أن الجبال فيها دلالة القوة والشموخ والثبات، وهذه من أعظم صفات الداعي، فالقوة المادية والمعنوية في الداعي لها أكبر الأثر في نجاح دعوته، وتشمل هذه القوى: قوة البدن والشخصية، وقوة العلم وتمكنه منه، قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم: ١٢]، فإذا أراد الداعي أن يحيا، فعليه أخذ المنهج بقوة، ثم إن التحلي بهذه الصفة فيه صيانة لجانب الدعوة وتعظيم لها.

كما أن من صفات الداعي: الثبات في دعوته، لا سيما في الملمات والمهمات، ومنه: الثبات في التلقي، "فإن من ثبت نبت"[٤]. وبهذا فإن القوة والثبات صفات رفيعة، تنافي صفات التميع

---

(١) عاطف أحمد، **نقد الفهم العصري للقرآن**، ط٣، ١م، دار العالم الجديد، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٥٦، ونقلته هند شلبي في **التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، ص١٠٨**، النجار، **المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم**، ص٦٥، وموقع فصلت: مقال بعنوان: **وإلى الجبال كيف نصبت**، الإعجاز العلمي في القرآن، حمامة، حسني حمدان، مقال بعنوان: **الجبال في القرآن الكريم**، شبكة الألوكة. تاريخ الإضافة٢٠١٤/٧/١م.

(٢) صفحة: ٤٩.

(٣) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٢١٤.

(٤) أبو زيد، بكر بن عبد الله (ت: ١٤٢٩هـ)، **حلية طالب العلم**، ط١، ١م، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ، ص١٥٣. ومن الأمثلة من القرآن الكريم على قوة وثبات الداعي: [سورة القصص، آية: ٢٦].

والضعف والرضوخ والمهانة والمداهنة، وهذه الصفات أبعد ما يكون عنها الداعي، وعليه فليحذر الداعي أن "يتمندل به الكبراء، أو أن يمتطيه السفهاء، فيتلاين في فتوى أو قضاء، أو بحث أو خطاب...، ثم أن لا يسعَ بالعلم إلى أهل الدنيا، ولا يقف به على أعتابهم، ولا يبذله إلى غير أهله وإن عظم قدرهم"[١]، فشموخه وعزته في الحق، تمنعان مثل هذه الصفات.

ومن هنا يتبين أن الإشارة المتعلقة بنصب الجبال، قد جاءت لتكمل خدمة مقصد واجب الدعوة في السورة، من حيث موضوعها، ومن حيث الإشارة إلى صفات الداعي التي اشتملت عليها الإشارة، ثم لتتكامل مع الإشارات الأخرى في تحقيق هذا الجانب من المقصد.

ويلمح بعد دراسة المبحث، أن الجزء الثلاثين قد ذكر ثلاث حالات للإشارة العلمية المتعلقة بالجبال، وهي: كونها أوتادا، ثم إرساؤها، وأخيرا نصب هذه الجبال. ويضاف لها: فناء الجبال، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾[القارعة]، ويلحظ هنا أن الإشارات الثلاث الأولى تعود إلى دلالة تثبيت الأرض بالجبال، كي تستقر عليها الحياة. وبهذا تتبين العلاقة بين الإشارات.

وقد تبين لي من هذه المواضع أن القرآن الكريم قد ربط بينها وبين الأرض والماء في أكثر من موضع، ففي سورة النبأ: ذكر الأرض المهاد، والجبال الأوتاد، ونزول الماء الثجاج. وفي سورة النازعات: ذكر دحو الأرض، وإرساء الجبال، وإخراج الماء. وأما في سورة الغاشية: فقد ذكر تسطيح الأرض، ونصب الجبال، وذكر الماء بإشارتين: الأولى ظاهرة: في قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾[الغاشية]، والثانية خفية: في تخصيص الإبل بالذكر؛ لأنها تختزن الماء[٢].

وقد بدا ذلك التنوع في الأسلوب القرآني في ذكر هذه الإشارة، فقد جاءت في سورة النبأ بصيغة المتكلم: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾، وفي سورة النازعات بصيغة الغائب: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾، وفي سورة الغاشية بصيغة المبني لما لم يسم فاعله: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩﴾. وظهر لي أيضا أن أول موضعين متعلقين بهذه الإشارة، قد ذُكِرَا ضمن مقصد البعث الذي هو الدافع للعمل والدعوة، وآخر تلك الإشارات ذُكرت في مقصد واجب الأمة في العمل

(١) المصدر نفسه، ص١٩٢.
(٢) أشرت لجوانب من هذه العلاقات، عند حديثي عن الإشارة المتعلقة بتسطيح الأرض، صفحة: ٤٩.

والدعوة ثم التخويف من تركه، وموضوع تلك الدعوة: هو البعث. وبذلك تظهر لي العلاقة التكاملية بين مقاصد السور التي ذكرت هذه الإشارة العلمية.

المبحث الثالث: الماء

بين أهل اللغة أن أصل الماء من (الْمَوَه)، وتصغيره: (مُوَيْهٌ)، ويجمع على (أمْوَاهٍ)[١]. وقيل في تعريفه: أنه جوهر سيال، يضاد النار برطوبته وبرودته. وقيل: هو جسم لطيف بسيط شفاف يبرد غلة العطش، به حياة كل نامٍ[٢].

ويعد الماء المادة الوحيدة على سطح الأرض التي توجد بحالات ثلاث: سائلة وغازية وصلبة، ويتميز بالحركة ليس فقط من مكان لآخر، بل من حالة لأخرى. فماء البحار يتحول بالحرارة إلى بخار ماء (حالة غازية)، وربما تحول هذا البخار إلى ثلج (حالة صلبة) إذا ما ساقت الريح السحب إلى مناطق باردة[٣].

وذكر المتأخرون أن الماء يغطي ثلاثة أرباع الأرض، وهو بذلك يؤثر تأثيرا بالغا على الحياة عليها، فهو يساعد على بقاء درجات الحرارة فوق سطح الأرض، ضمن معدل ثابت، ويصونها من التقلبات العنيفة، ولولا ذلك لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى قلة النشاط الإنساني عليها[٤].

وقد ورد الماء بتصريفاته في القرآن الكريم: ثلاثا وستين مرة[٥]، وجدت من خلالها أنه شمل الحديث فيها عن معظم جوانب الماء: من إيجاده ونزوله وإخراجه وجريانه على هيئة ينابيع[٦]، ثم إسكانه في باطن الأرض، ثم القدرة على إذهابه أو غوره في الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المؤمنون].

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٤، ص ١٠١، الجوهري، **الصحاح**، ج٦، ص ٢٢٥٠، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٥، ص ٢٣٠، الرازي، **مختار الصحاح**، ص ٣٠١، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص ٥٤٣.

(٢) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٢٩٤.

(٣) محمدين والفرا، **المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة**، ص٢١٣، العبادسة، **الماء في القرآن الكريم، دراسة موضوعية**، ص٣، العبيدي، **ومضات إعجازية**،ج٦، ص٥.

(٤) المويل، كمال، **آيات الطبيعة في القرآن**، ط١، ١م، دار الكتب العربية، ١٩٩٥، ص٤٩.

(٥) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٦٨٤. وفيه إشارة إلى أن الماء الذي به حياة الأبدان قد ورد: ٦٣مرة، ومحمدا ﷺ الذي به حياة الأرواح عاش: ٦٣ سنة.

(٦) ينظر المواضع التالية: [النازعات: ٣١]، [الزمر: ٢١].

وتشير الآية إلى أن نزول الماء إذا زاد وطغى أدى للهلاك، وإذا غار وذهب أدى للهلاك أيضا، وهذه صورة مخيفة، تعرض في السياق للتهديد والتخويف، فالله ﷻ: هو الذي جاء بالماء، وهو القادر على إذهابه، ولكنّ رحمة الله بعباده، جعلت الماء متجمّعا في جوف الأرض للاستفادة منه[١]، فالماء ينزل بقدر من السماء، ولو أنزل كلّه لحدث الدمار والهلاك للأرض، ولكن يد الله الحافظة تمسك بمياه السماء، فلا ينزل إلا بقدر معلوم.

وكذلك فإن التكيف للحياة والبقاء لا يكون إلا بأن تسيل الأودية بقدرها، بغير زيادة تهدد بإغراق، ولا نقص يهلك بإعطاش، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾ [الرعد: ١٧]. وبهذا فالماء سبب للحياة، كما أنه يمكن أن يكون سببا للهلاك.

وقد وجدت أن هذه الإشارة قد وردت في الجزء الثلاثين: أربع مرات، لكن ما يدخل ضمن الدراسة: ثلاثة مواضع[٢]، وهي:

أولا: في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ [النبأ].

ثانيا: في قوله تعالى: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ ﴾ [النازعات].

ثالثا: في قوله تعالى: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [عبس].

المطلب الأول: نزول الماء الثجاج من المعصرات

لم ترد الإشارة بهذا التعبير إلا في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ [النبأ]، وهذا أول مواضع ذكر الماء في الجزء الثلاثين، كما أن في الآية لفظتين لم تردا في القرآن الكريم إلا فيها، وهما: المعصرات، وثجاجا. فما معنى الإشارة، وما علاقتها بمقصد سورة النبأ؟

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن أصل (المُعصِر): هي الجارية التي بلغت الحيض ولم تَحِضْ بعد، وهي من (العَصْر)، ويعني: الضغط على الشيء حتى يتحلّب[٣]. وبينوا أن (المُعْصِرات) هي:

---

(١) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٢٢٩.

(٢) ينظر [الطارق: ٦].

(٣) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص٢٧٥، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٥٧٧، الزبيدي، **تاج العروس**، ج١٣، ص ٦٥.

السحب[١]، وفسرها بعضهم: بالرياح؛ لأنها تعْصِر الماء[٢]. وقد وجدت تنوعا في آراء **المفسرين المتقدمين** حول تحديد دلالة المعصرات، فقيل: هي السماء، وقيل: الرياح، وقيل: السحاب[٣]. وأما الثّجّاج، فالثّجّ: أصل يدل على صبّ الشيء، وفيه دلالة الشدة في الصّبّ والكثرة فيه[٤]، وهذا اللفظ مناسب للفظ المُعصرات.

وأما أقوال **المتأخرين:** فتدور حول بيان أنواع السحب والأمطار، فيذكرون أن المُعصِرات: هي نوع خاص من السحب، وتسمى: الركامية، وهي التي تنزل الماء الثجاج الذي قد يستمر إلى عدة أيام دون انقطاع[٥]. كما يبينون هنا نسب الماء على الأرض، وتركيبته، وتفكيك جزيآته، وأنه يتكون من جزيء حارق، وجزيء محترق، وكلاهما مهلك للحياة، فإذا اتحدا: كوّنا الماء الذي به ضرورة الحياة. ويذكرون أيضا فوائد الماء والأمطار[٦].

ومن المفسرين من يرى أن كل ما يساعد على إنزال المطر، فهو من المعصرات، فهناك معصرات رياحية وسحابية، وحتى الشمس تعد من المعصرات؛ لأنها تساعد على إنزال المطر. كل تلك الظواهر والإشارات تعصر فتخرج الماء الثجاج[٧]. والذي يترجح في هذه الإشارة، ما رجحه شيخ المفسرين: من أن المقصود بالمعصرات: السحب؛ لأن الأغلب من نزول الغيث من السحاب دون غيره، ثم بسبب اختيار حرف الجر (من)، دون (الباء).

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج١، ص ٢٩٥، ورجحه الأزهري في **تهذيب اللغة**،ج٢، ص١٢، وينظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص ٤٦٧، ابن منظور **لسان العرب**، ج٤، ص٥٧٧، الكفوي، **الكليات**، ص٨٧٦، ونقل ترجيح الأزهري الزبيدي في **تاج العروس**، ج١٣، ص٦٥، لجنة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **(المعجم الوسيط)**، (د.ط)، ٢م، دار الدعوة، مصر، ج٢، ص ٦٠٥.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**،ج٢، ص١٢. ومن مرجحاتهم: قراءة شاذة رويت عن ابن الزبير وابن عباس والفضل بن عباس وعبد الله بن يزيد وقتادة: (وأنزلنا بالمعصرات). ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ط ١، ١م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٩م، ج٢، ص٣٤٧.

(٣) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص١٥٤، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ١٨٤، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٠٠، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٦٨٦، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٢٤، الرازي في **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١١، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٠٣.

(٤) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج ٥، ص٢٠٢، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج ١، ص٣٣٣، والكفوي، **الكليات**، ص ٣٣٠، و**المعجم الوسيط**، ص٩٤.

(٥) العبيدي، **ومضات إعجازية،ج٦، ص١٥**، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص ٢٩٣، الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج١٣، ص١٠٥-١٠٧.

(٦) الأهدل، عبد العزيز سيد، **من إشارات العلوم في القرآن الكريم**، ط١، ١م، دار النهضة الحديثة، بيروت، ١٩٧٢م ص٧١- ٧٦، المويل، **آيات الطبيعة في القرآن**، ص ٤٩، العبادسة، **الماء في القرآن الكريم**، ص١، الغريري، عبد الله، **آيات الكون وأسرار الطبيعة**، (د.ط) ١م، دار المحجة البيضاء، لبنان، ص ١٨٦.

(٧) الصادقي، محمد، **الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن** والسنة، ط٢، ٣٠م، مؤسسة الأعلمي، لبنان، ١٩٧٧م، ج٣٠، ص٣٠-٣١.

ثانيا: علاقة مقصد سورة النبأ بالإشارة

إن إنزال الماء من السماء: هو جزء من تمهيد الأرض للمخلوقات، كما أن صورة إنزال الماء من السماء، هي صورة مقترنة ببناء السماء، وكأن الحياة على الأرض تتوقف على خيرات السماء، وهنا تذكير بأن حياة الناس مرتبطة بالسماء وما ينزل منها.

ثم من ناحية أخرى فإنه تبين أن القرآن الكريم قد أوجد علاقة وطيدة بين الماء والحياة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء]، فبالماء تحيا الأرض والمخلوقات، وكما جعل الإسلام الماء أداة للحياة المادية فقد جعله أداة للحياة المعنوية، فبالوضوء والتطهر يبقى المسلم في حياة، وغسل الميت بالماء؛ ليكون قريبا من الحياة، والشهيد لا يغسل؛ لأنه حي، وبهذا يمكن أن يوصل للعلاقة بين الماء والتراب، في الوضوء والتيمم، " فالحياة بدأت من الطين الذي هو تراب وماء، فكان التطهر بأحدهما التماسا للحياة من أحد طرفيها"(١). وكما أن الماء هو مصدر الحياة في الدنيا فقد جعله الله مصدرا للحياة في الآخرة، فمن شرب من ماء حوض النبي ﷺ شربة، لن يظمأ بعدها أبدا(٢).

وكثيرا ما تؤكد الآيات على أن الماء سبب للإحياء(٣)، فلا غرو بعد ذلك أن أجد سورة النبأ –والتي مقصدها التدليل على البعث والقيامة–مذكرة بالماء الذي به الحياة. كما لا تخفى العلاقة بين الشمس–السراج الوهاج– وبين إنزال الماء من السماء(٤)، فبحرارة الشمس يتبخر الماء الذي في الأرض، فتتكون المعصرات التي بها ينزل الماء. ومن هنا فإنه تتأكد لي حقيقة التكامل بين الإشارات في سورة النبأ، لخدمة مقصدها.

كما يُلمح من دورة الماء في الحياة: البعث الأخروي، فالماء المالح الأجاج نفعه قليل، فهو كمثل الأموات، لكن الله ﷻ بقدرته يهيئ له دورة كونية، فيسلط عليه حرارة الشمس، فيعود إلى الأرض ماءً طهورا، فكما أنه سبحانه أخرج من الماء المالح ماء عذبا سائغا شرابه، فهو قادر على أن يخرج من الميت إنسانا كاملا.

---

(١) الأهدل، **من إشارات العلوم في القرآن الكريم**، ص٨٢.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، **السنن**، ط٢، ٥م، مكتبة مصطفى البابي، مصر، ١٩٧٥م، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، ج٤، ص ٦٢٩، برقم:٢٤٤٤، وصححه الألباني. ينظر: الهامش.

(٣) من ذلك سور: [الحج، آية:٥]، [الفرقان، آية: ٤٩]، [فصلت، آية:٣٩].

(٤) الشعراوي، **المختار من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٥٨، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص٢٨٨، منصور، محمد حسب، **الماء لغز الحياة**، ط١، ١م، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٠م، ج٢، ص١٤.

وبإنزال الله ﷻ لهذا الماء الثجاج من المعصرات، يُخرج سبحانه الحَبّ والنبات والجنات من الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ]، والحق أن هذه الإشارة من أعظم الإشارات في القرآن الكريم للاستدلال على موضوع البعث[١]، وهي صورة واضحة في بيان قدرة الخالق على إعادة الخلق، قال الله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج].

إن القادر على إنبات البذرة بإنزال الماء عليها، قادرﷻ على إعادة خلق الإنسان وإخراجه وبعثه. وإن وصف الأرض بالميتة وإحياء المطر لها، "يهيئ الأذهان لقبول فكرة الحياة بعد الموت. فحين يرى مشهد السحاب في السماء، وتصطبغ مشاهد الطبيعة المصورة بأنداء الرحمة الإلهية، ثم يوصف الماء بالطهر، فإن ذلك يزيد الصورة روحانية وشفافية"[٢]. فالماء الطهور: يغسل وجه الأرض ويحييها بعد موات، ويسقي المخلوقات، فصورته نازلا من المعصرات في هذه الإشارة تحمل دلالات تتناسق مع مقصد السورة.

ويظهر هنا التناسب الدقيق في اختيار اللفظة الدالة على المقصد، إذ لم يقل: (لينبت بها حبا ونباتا)، بل وضع الكلمة الأشد التصاقا بموضوع البعث، وهي: الإخراج.

وبما أن الإشارة المتعلقة بالنبات: هي آخر الإشارات العلمية ذكرا في سورة النبأ، وهي غير داخلة في هذه الدراسة، فإن هذا لا يمنع من الإشارة لعلاقتها بأول الإشارات ورودا، فقد ذكر المتأخرون أن للنباتات دورا كبيرا في تخليص البيئة من الغازات الضارة، كما تقوم بتلطيف البيئة من تأثيرات الرياح والحرارة والرطوبة، وتزود التربة بالمواد النافعة لخصوبتها، وتحميها من الانجراف بتثبيت الرمال فتقلل ظاهرة التصحر، وتعمل على صد الرياح العاتية فتحمي بذلك المحاصيل[٣]، وعلى هذا فإن إخراج الحب والنبات والجنات الألفاف يعد من تمهيد الأرض للمخلوقات، فهذا من أسرار العلاقة بين أول الإشارات وآخرها.

---

(١) وقد كثر ورودها في القرآن، من ذلك سور: [الأعراف: ٥٧]، [الروم: ٥٠]، [يس: ٧٨-٨٠]، [فصلت: ٣٩]، [الزخرف: ١١]، [ق: ٩ - ١١]. ينظر في هذا الموضوع: جواهر محمد سرور باسلوم (١٤٠٨هـ)، **النبات في ضوء القرآن الكريم والسنة**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، ص٧١٩-٧٥٩، الهلالات، راجي محيسن (٢٠١٢م)، **آيات إحياء الموتى في سورة البقرة دراسة موضوعية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، ص٢٩.

(٢) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٢٢١.

(٣) الشعراوي، **المختار من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٦١، وهبي، صالح، **البيئة من منظور إسلامي**، ط١، ١م، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٤م، ص ١٣٣-١٣٤.

فإذا تقرر ما سبق، فإنه يتبين أن سورة النبأ لما أرادت تحقيق مقصد البعث في الآخرة، حشدت له مجموعة من الأدلة والبراهين فيما يختص بالعالم الدنيوي المشاهد، ثم انتهت السورة بتحقيق ذلك المشهد في الآخرة، فتحقق بذلك الأثر الفكري والنفسي، فيشعر الإنسان بعد ذلك بقرب الآخرة، من خلال الاتصال بين المشهدين في التصوير. وبذلك فإنه يتكشف لي أن الإشارة المتعلقة بإنزال الماء الثجاج من المعصرات، قد أسهمت بموقعها وألفاظها في خدمة مقصد التدليل على الإيمان بالبعث في السورة.

المطلب الثاني: إخراج الماء من الأرض

وردت هذه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات]. ولما لم تُفصل الإشارة عما قبلها، فهذا دليل على أن إخراج الماء والمرعى هو من دحو الأرض، فالإشارة هنا متصلة تمام الاتصال بدحو الأرض، وقد أشرت في المطلب المتعلق بدحو الأرض[١] إلى العلاقة بين مقصد السورة وهذه الإشارات المتكاملة.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

تدور **أقوال المفسرين المتقدمين** حول الإشارة، على أنها بمعنى تفجير الأنهار والعيون وإخراج النبات منها[٢]، وبين الزمخشري أن قوله: (دَحَاهَا) بمعنى: بسطها ومهدها للسكنى، ثم فسر التمهيد بما لا بدّ منه في تأتّي سكناها، من تسوية أمر المأكل والمشرب؛ وإمكان القرار عليها، بإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال وإثباتها أوتادا لها، حتى تستقر ويستقر عليها[٣].

وذكر ابن كثير كلاما جديرا بالاهتمام، إذ بين أن الدحي: هو إخراج ما كان مودعا في الأرض، فلما اكتملت صورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية، دحيت بعد ذلك الأرض، فأخرج ما كان مودعا فيها من المياه، فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها[٤]، وأهمية هذا الكلام ترجع لسببين:

الأول: أن ابن كثير أزال بهذا الكلام التعارض الظاهري بين ما خلق أولا.

الثاني: أنه أشار إلى أن بداية إيجاد الماء كانت مما كان مودعا في الأرض، وهذا جزء مما قاله **المتأخرون**. فقد ذكروا أن كل ماء الأرض قد أخرج في الأصل من داخلها، ولا يزال خروجه

---

(١) صفحة: ٣٢.

(٢) **تفسيرالطبري**، ج٢٤، ص٢١٠، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٣٤، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص٤٧.

(٣) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٦٩٧، ونقله الرازي في **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص٤٧.

(٤) **تفسير ابن كثير**، ج١، ص ٢١٥.

مستمرا بالثورات البركانية المتعاقبة، والتي يتصاعد منها بكثرة غاز ثاني أكسيد الكربون، وهو لازمة من لوازم عملية التمثيل الضوئي، التي تساعد في بناء خلايا النبات وأنسجته[١]؛ ولهذا ذُكر بعدها إخراج المرعى. ويبدو من هذا أنه لا تعارض بين الأقوال.

ثانيا: علاقة مقصد سورة النازعات بالإشارة

لقد ترجح لدي سابقا أن سورة النازعات تركّز على هزّ القلوب التي تكذب بالبعث والجزاء، وذلك من خلال عرض مشاهد الموت والقيامة والبعث، والأدلة عليها[٢]، كل ذلك للحث على العمل والتخويف من تركه، ويدل هذا المقصد على أن السورة قائمة على معاني القوة والشدة، ولفظ الإخراج هنا يدعم هذه المعاني. وهنا يتكشف مدى دقة التعبير القرآني في ذكر الإشارة العلمية؛ ليتم بذلك خدمة المقصد. ولا يخفى ما في صورة إخراج الماء وإنبات النبات، من إشعار بالبعث.

إن وجود الماء والنبات والمرعى في هذا العالم الفسيح، يعدّ لسانا معجزا من ألسنة تسبيح المخلوقات للخالق سبحانه وتقديسه، وبذلك فهو من جملة بديع قدرة الله في المخلوقات، والعاقل المتأمل في صنعها وتكوينها، يقوي فيه عقيدة الإيمان بالخالق وباليوم الآخر والبعث. "وإذا كان عالم النبات صفحة في كتاب الله المنظور، فإنه يُشهد فيه صورة الحياة، في حركتها وانتقالها، وفي مراحلها وأطوارها"[٣]، وفي جمالها وبديع ألوانها وأشكالها.

كما أن مشاهد حركة الرياح والسحاب، ونزول المطر والنبات، كلها تدل على القدرة الإلهية، فهي مشاهد مترابطة ومتناسقة الأجزاء، يعتمد بعضها على بعض، في تكوين لوحة فنية، "وهي لوحة غنية بالحقائق التي تطلّ من خلال هذه المشاهد الطبيعية، عن طريق الإيحاء أحيانا، والتصريح بها أحيانا"[٤]، وأهم تلك الحقائق: حقيقة البعث والقيامة، والتي كان يعبر عنها القرآن الكريم تصريحا بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[الأعراف:٥٧].

ولما جاءت هذه السورة لتحث على العمل والسعي وتخوّف من تركهما، ذكرت بهذه الإشارة؛ لتشير إلى حتمية إشراق ضحى دعوة الساعي، لإزالة الغطش والظلمة، فالهمة الصادقة

---

(١) ينظر مجموع هذه الأقوال: العبادسة، **الماء في القرآن الكريم**، ص٢٢٦، العبيدي، **ومضات إعجازية**،ج٦، ص٢٩، النجار، **الأرض في القرآن الكريم** ،ج ٢، ص١٣٦، الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج٥، ص٢٩٦، حسب، **الأمطار والبحار**، ج١، ص٢٢.

(٢) صفحة: ٣٠.

(٣) قنيبي، حامد صادق (١٣٩٩هـ)، مملكة النبات: كما يعرضها القرآن ويصفها، **مجلة الجامعة الإسلامية**، المدينة المنورة، ط١١، عدد٣، ص ١٠٧.

(٤) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٢٢١.

الواعية: سيخرج ماؤها، ثم تزهر وتورق وتنبت؛ ليحيا بها الناس[١]. وبذلك يظهر أن هذه الإشارة قد تكاملت مع غيرها من الإشارات؛ لتكمل خدمة المقصد الكلي للسورة، والله أعلم.

المطلب الثالث: صب الماء

لم ترد الإشارة بهذا اللفظ إلا في قوله تعالى: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [عبس]، وهي الإشارة الثالثة المتعلقة بالماء في الجزء الثلاثين، ويجدر في البداية بيان معنى الإشارة ودلالاتها.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (الصَّبَّ): هو نزول المطر من أعلى إلى أسفل، وفيه معنى الإفاضة بدفعة واحدة[٢]. وتدور **أقوال المفسرين المتقدمين** في الإشارة: على أنها بمعنى إنزال الغيث من السماء، وصبه كثيرا متتابعا على الأرض[٣]، ويتضح هنا أن صب الماء: يدل على الكثرة.

وقرئ (إنا) بالكسر: على الاستئناف، و(أنا) بالفتح[٤]: على البدلية من الطعام، أو على تقدير لام العلة، أي: لأنا صببنا الماء صبّا[٥]. وقد أنتجت القراءتان معنيين متكاملين[٦]، فعلى البدلية: تفيد أن سبب الطعام هو من صب الماء، وعلى الاستئناف: كأنها جواب لمن يسأل: فيم التفكر.

أما **المتأخرون** فقد بينوا أن الماء قد خرج أولا من الأرض، بدليل قوله: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ ﴾ [النازعات]، فحديثهم عن الإشارة يشمل: كيفية تكون الأمطار، وفوائدها، وكمياتها، وتخزينها[٧]، وهذا -بلا شك- ليس بينه وبين ما سبقه تعارض.

---

(١) أرشدني لهذا المعنى: الدكتور الدقور-حفظه الله-.

(٢) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج ٣، ص٢١٨، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٥١٥، العسكري، **الفروقات اللغوية**، ص٢٧٩، المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٥٧، الكفوي، **الكليات**، ص ٥٤٤.

(٣) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢٢٦، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٠٧، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢١١، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٣٩، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص٥٩، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٢٣.

(٤) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص٣٩٨.

(٥) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٠٥، محيسن، **الهادي شرح طيبة النشر**، ج٣، ص٣٣٤.

(٦) ينظر: صابر محمد أحمد (٢٠٠٨)، تفسير **القرآن بالقراءات القرآنية العشر**، من سورة التغابن إلى سورة الناس، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص١٨٦-١٨٧، وينظر: بدوي، **أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم**، ص١٣٧-١٣٨.

(٧) الخطيب، أحمد شفيق، **موسوعة الطبيعة الميسرة**، ط١، ١م، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م، النابلسي، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن** والسنة، ج٢، ص٨٣، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص٣٣٢، الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج١٣، ص١٢٦-١٢٩، حسب، **الأمطار والبحار**، ج١، ص١٤، وص١٩.

ثانيا: علاقة مقصد سورة عبس بالإشارة

إن تصوير الإشارات الكونية في القرآن الكريم، كان لإبراز مجموعة مقاصد، فمشاهد حركات الرياح والسحب، ونزول الأمطار، وخروج النبات، كلها تدل على القدرة الإلهية، في مشهد مترابط ومتناسق، فيعتمد بعضها على بعض في تكوين لوحة فنية غاية في الجمال؛ لإبراز هذه المقاصد. وإن المراد من هذه اللوحة في سورة عبس، بناء مقصدين:

الأول: تذكير المنكرين بالبعث، ودعوتهم للإيمان به، وبهذا الجانب من المقصد تتشابه العلاقة بين الإشارة ومقصد سورة عبس، بالعلاقة بينها وبين مقصدي سورتي النبأ والنازعات.

والثاني: تقويمُ سلوك الداعي، ووجوب استمداد القيم ومعايير الصواب والخطأ، ومقاييس المفاضلة بين الناس من الله ﷻ. ولا يخفى أن الإيمان بالبعث: هو دافع للعمل والدعوة والتأثير، وهنا تتبين العلاقة بين جانبي المقصد.

ولما أراد القرآن الكريم في سورة عبس أن يحذر من مسلك الكبر والتعالي، ذكّر بأصل خلق الإنسان من نطفة، ثم في آخر الصورة أشار إلى قضية البعث، فقال: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [عبس]. وحسُن بعد ذلك أن يعطيَ دليلا على البعث فذكر صورة إخراج النبات من الماء، وبعدها أشار إلى البعث والآخرة، فقال: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [عبس].

ويظهر أيضا التناسب بين الحالتين، فإن صورة خروج الإنسان من نطفة: هي ذاتها صورة خروج النبات من الماء، ثم إن الأرض بالنسبة لماء السماء، هي كالأنثى بالنسبة للذكر، وكما تخرج الشجرة من البذرة في الدنيا، يخرج الإنسان من عجب الذنب في الآخرة. و يتبين من ذلك تكامل هذه الإشارات جميعها لخدمة مقصد السورة.

أما الجانب الآخر من المقصد: فإنه بالماء عموما تقوم حياة المخلوقات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء ٣٠]، ولولاه لما كان في الأرض حياة، والمؤمن الداعي العامل المؤثر: هو بمثابة الماء، فبه يحيي الله القلوب، وقد أشار النبي ﷺ لهذا المعنى بقوله: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير...)[1]، فيجب على المسلم أن يكون كالغيث الكثير المصبوب على قلوب الناس. فكما أن الماء به حياة المخلوقات، فكذلك الداعي به حياة القلوب.

---

(١) جزء من حديث في **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ج١، ص ٤٢، برقم: ٧٩.

ومن اللفتات المباركة لأستاذي الدكتور الدقور–حفظه الله– أنه تعالى قال: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا ﴾ ، ولم يقل: (منها) مع أن النبات يخرج من الأرض، لأنه مطلوب من الداعي صبُّ الماء في قلوب الناس، واحتوائهم على اختلافهم؛ ليتحقق الإنباتُ فيها، فتكون عامرةً بذكر الله. وكأنه سبحانه يطمئن الداعي بأن جهده لن يضيع، حاله في إنزال الدين على القلوب، حال نزول الماء للإنبات.

وكما تتنوّع في الأرض أصناف الزروع والثمار، بعد نزول ماء السماء عليها–وهو ماء واحد– تأكيدا على قدرة الله في تنويع الآثار مع وحدة الأصل، فكذلك يلحظ التنوع في خلق الإنسان من ماء واحد أيضا، باختلاف ألوانهم وأشكالهم. وكما يختلفون في الدنيا فإن اختلافهم قائم في الآخرة أيضا، بين محسن ومسيء، وناج وخاسر. وكون الماء هو مصدر حياة النبات والإنسان، فإن القيم مصدرها الوحي. وبهذا تتضح لي حقيقة أن هذه الإشارة قد تكاملت مع غيرها من الإشارات في سورة عبس؛ لبناء مقاصد السورة، والله تعالى أعلم.

وفي ختام المبحث، فإنه قد تكشف لدي أن الإشارة المتعلقة بالماء في الجزء الثلاثين، قد وردت في سور ورد فيها الحديث عن البعث، فمشهد نزول الماء على الأرض الميتة وخروجه منها، ثم عرض صور الحياة على الأرض بعد نزول الماء وخروجه كل ذلك يعمق في الذهن فكرة الحياة والموت؛ ليكون بعد ذلك مهيأ لقبول مبدأ البعث.

ولما كان الماء به حياة الأبدان، فإن البعث به إعادة حياة الإنسان، ولما كان الإيمان بالبعث: محفزا للعمل والدعوة، فإن الداعي العامل به حياة القلوب، وبهذا أجد التكامل في مواضع ذكر هذه الإشارة في الجزء الثلاثين، والله تعالى الموفق.

الفصل الثاني: الإشارات العلمية المتعلقة بالأعيان العلوية (السماوية)، ويحوي أربعة مباحث:

المبحث الأول: السماء

المبحث الثاني: الشمس

المبحث الثالث: القمر

المبحث الرابع: القسم بالخنس والطارق

سأتناول في هذا الفصل: العلاقة بين مقاصد السور والإشارات العلمية المتعلقة بالأعيان العلوية، وتشمل: السماء، والشمس، والقمر والخنس والطارق. وسأخصص مبحثا لكل إشارة.

المبحث الأول: السماء

إذا تأمل القارئ تصوير الطبيعة في القرآن الكريم، فإنه يلاحظ كثرة ارتباط ذكر السماء بالأرض، ويرجع ذلك إلى أن السماء تحيط بالأرض، فيراها الإنسان دائما، كما أنها تتسم بالضخامة والاتساع والجمال، مما يؤثر في حس الإنسان. "فهذه الصورة الكونية المرسومة للسماء والأرض، تشغل مساحة واسعة في المكان، كما تحتل مكانة واسعة في الحس والشعور"(١)، يقول تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر].

ذكر أهل اللغة أن السماء من (السُّمُوّ)، وهو: الارتفاع، وأخبر ابن فارس أنه أصل يدل على عُلُوّ، ولذا يقال: سموتَ، أي: عَلَوْتَ(٢)، فكل ما علاك فهو سماء(٣). ويظهر من ذلك أن لفظ: السماء يدل على علو وارتفاع(٤). بل ويضرب المثل بالسماء؛ لعلوها وسعتها(٥). والسماء هي: منطقة فضائية مرئية من الأرض، تحتوي على الغلاف الجوي: وهو تلك الكتلة الغازية التي تمتد مئات الكيلومترات فوق الأرض(٦). وقد ورد ذكر السماء في القرآن في ثلاثمائة وعشرة مواضع(٧)، ووروردها كان بدلالات متعددة(٨)، لكن يبدو أنها جميعا لا تخرج عن معنيين:

---

(١) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص ٢٠٢.

(٢) الفراهيدي، **العين**، ج٧، ص ٣١٨، الأزهري، **تهذيب اللغة**،ج١٣، ص ٧٨، ابن فارس، **معجم المقاييس**،ج ٣، ص٩٨، ابن فارس، **مجمل اللغة**،ج١، ص ٤٧٢، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص ٣٩٧.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ)، **أدب الكاتب**، (د.ط)، ١م، (تحقيق: محمد الدالي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٨٥.

(٤) الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣٨، ص ٣٠١.

(٥) الميداني، أحمد بن محمد (ت: ٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، (د.ط)،٢م، (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد)، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٣١٧.

(٦) **الموسوعة العربية العالمية**،ج١٣، ص٩٠.

(٧) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص ٣٦٢-٣٦٦.

(٨) وأهمها أنها قد تأتي دالة على ذلك البناء المحكم، كما في [سورة النازعات، آية: ٢٧]، أو دالة على العلو، كما في [سورة إبراهيم، آية: ٢٤]، أو دالة على الغيم والسحاب، كما في [سورة البقرة، آية: ١٩]، أو دالة على ☜

فإما أن تكون واحدة السماوات، وإما أن تكون لكُل ما علاك، فتشمل السماوات وغيرها[١].

وتبين لي أن حديث القرآن الكريم حول السماء: قد شمل أصلها وخلقها، وبنائها ورفعها وسعتها وتسويتها سبع سماوات وزينتها، ثم الحديث عما يرى فيها من كواكب ونجوم، وما يتبعه من ليل ونهار، وفجر وصبح وضحى، وعصر وشفق وليل، وأخيرا الحديث عن نهايتها[٢]. وظهر لي من مواضع ورود السماء في القرآن الكريم، أنها تدل على العظمة والاتساع[٣] كما دلت على الارتفاع والسمو. فيتضح أن في السماء دلالات: الارتفاع والاتساع والعظمة.

وبهذا "تتواصل صور السماء في السياق القرآني مترابطة لرسم صورة متكاملة لها على شكل بناء ضخم متقن الصنع، وإن صورتها وهي كالسقف المرفوع، لها دلالتها العظيمة على قدرة الله سبحانه"[٤]، وقد قارن القرآن الكريم بين خلق الإنسان وهذه الإشارة؛ ليشعره أن خلقه أهون وأصغر من هذه المشاهد التي يراها فوقه، يقول الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨﴾ [النازعات].

وقد قابل القرآن الكريم بين السماء والأرض في نحو مائة وأربعين موضعا[٥]، وأفاد هذا التقابل الخلافي بينهما تأكيد غايات ومقاصد عدّة منها[٦]: بيان آيات الله ﷻ، وإظهار إبداعه، والتأكيد على مُلكيتها لله تعالى، وبيان تسبيحهما له، ثم بيان المُحاججة والغيب، والربوبية...، إلى غير ذلك من المقاصد.

المطر، كما في [سورة هود، آية: ٥٢]، أو دالة على الطبقة الأولى في الغلاف الجوّي للأرض، كما في [سورة الروم، آية: ٤٨]. وقد ذكر لها ابن الجوزي خمسة أوجه. ينظر: ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر**، ص٣٥٨. وعمري، حسين يوسف راشد، **معالم قرآنية في الفيزياء والكون**، بحث منشور في موقع جامعة مؤتة، قسم الأبحاث والمشاريع.

(١) السامرائي، فاضل بن صالح، **التعبير القرآني**، ط١، ١م، دار الكتب، بغداد، ١٩٨٧م، ص٤٢.

(٢) ومواضع ذلك على الترتيب: [فصلت: ١١]، [النازعات: ٢٧]، [الذاريات: ٤٧]، [البقرة: ٢٩]، [الحجر: ١٦]، [إبراهيم: ٤٨].

(٣) من المواضع التي تؤيد هذا المعنى ما ورد في سور: [الذاريات: ٤٧]، [النازعات: ٢٨].

(٤) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٢٠٥، بتصرف.

(٥) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص ٣٦٢-٣٦٦.

(٦) ينظر: زنكنة، **العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم**، ص١٠٥-١٠٨.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن لفظ السماء قد يأتي بالإفراد أو الجمع، أما لفظ الأرض فلا يأتي في القرآن الكريم إلا بالإفراد، ومن أهم علل ذلك: الانتفاع[١]، وقد تأتي السماء مع الأرض في سياق أو لا تأتي،" وذلك لاختصاص كل موضع بما يقتضيه؛ لأن السياق في سور القرآن ونظام الآيات والفواصل ووحدة المعاني، يتطلب التغاير والاختلاف، فلا يصلح تعبير مكان تعبير آخر، فيلزم الإفراد في مكانه ولا يصلح غيره، أو يلزم الاقتران في مكانه ولا يصلح غيره"[٢].

ووجدت بالاستقراء أن الإشارة العلمية المتعلقة بالسماء في الجزء الثلاثين قد وردت: ثلاث عشرة مرة، وأما ما يدخل ضمن الدراسة فهي: سبعة مواضع في ست سور، ويظهر أن معظمها قد ورد بصيغة القسم[٣]، وهي:

أولا: قوله تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾ [النبأ].

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النازعات].

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾ [البروج].

رابعا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ ﴾ [الطارق].

خامسا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ ﴾ [الطارق].

سادسا: قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ ﴾ [الغاشية].

سابعا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾ [الشمس].

---

(١) فلفظ السماوات جاء بالجمع؛ لأن منافعها متعددة، ففي كل سماء فيها ساكنوها من الملائكة، وكذلك تتمايز كل سماء عن الأخرى، بخلاف الأرض؛ لأن الانتفاع الظاهر هو فيما على ظهرها فقط و هو مستقر الإنس و الجن، ولم يرد أنه يسكن في غير هذه الطبقة أحد من المكلفين. ثم إن جمع الأرض تقيل. وقد أشار لقضية الانتفاع: الألوسي في **روح المعاني**، ج١، ص٤٢٩.

(٢) ينظر: النجماوي، أحمد صالح (٢٠٠٣ م)، **السماء والأرض في القرآن الكريم، دراسة دلالية للألفاظ والتراكيب**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الموصل، العراق، ص٦٤.

(٣) جميع المواضع التي أقسم الله فيها بالسماء والأرض في القرآن الكريم، هي مواضع مكية؛ لأن السور المكية عالجت موضوعات العقيدة والبعث، فكانت تخبر بالقسم لتأكيد الخبر، والدلالة على أهمية المقسم به. وأما المواضع الأخرى فهي: [النبأ:١٩]، [النبأ:٣٧]، [التكوير:١١]، [الانفطار:١]، [الانشقاق:١]، [البروج:٩].

المطلب الأول: بناء السماء

يتضح أن الإشارة المتعلقة ببناء السماء قد وردت في الجزء: ثلاث مرات، في ثلاث سور، ولهذا قمت بالجمع بينها في مطلب واحد، ويبدو أن من حِكم كثرة ذكر بناء السماء في الجزء: أن بناء السماء باق دون تبديل أو تغيير إلى قيام الساعة، إذ لم يسقط منها شيء، وهذا بخلاف الأرض، فهي دائمة التبدل والتغير، سواء بعواملها الكونية، أو بفعل الإنسان، فهي كالفراش الذي يبسط ويطوى ثم ينقل.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر معظم **المفسرين المتقدمين** أن المقصود بالموضع الأول من هذه الإشارة: هي السماوات السبع، والمعنى: أنها محكمة قوية الخلق(١).

أما المتأخرون، فإن بعضهم يؤكد على أن المقصود: السموات السبع، وينفي قدرة الإنسان اليوم على إدراك حقيقتها(٢)، وخالف آخرون، فاعتبروها الكواكب السبعة السيارة(٣). والذي أراه أن هذا قول ضعيف؛ لأنه لا يمكن أن تنحصر الكواكب بهذه السبعة فقط، ثم إنه قال بعدها: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النبأ]، فذكَرَ الشمسَ، وهي من السبعة، ثم إنها نجم وليست كوكبا.

ويرى آخرون أن المقصود هنا: طبقات الغلاف الجوي للسماء!(٤) ولا يخفى أن هذا القول بعيد؛ فهو مخالف للقرآن الكريم؛ لأنه يذكرها سبعا، وهؤلاء اختلفوا في عد الطبقات! ثم إنه مخالف لأحاديث معراج النبي ﷺ إلى السماوات(٥)، وكيف يمكن مع هذا فهم قول الله تعالى: ﴿

---

(١) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص١٥٢، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٠٠، الزمخشري، **الكشاف**،ج٤، ص٦٨٦، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٢٤، الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٣١، ص١٠، **تفسير القرطبي**، ج١٩، ص١٧٢، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٠٣.

(٢) ينظر: الجميلي، **الإعجاز العلمي في القرآن**، ص٢١، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج، ص١٤٤-١٥١، الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج٣، ص٧٧-٨٠.

(٣) نسب لمحمد عبده. ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين (ت: ١٣٣٢هـ)، **محاسن التأويل (تفسير القاسمي)**، ط١ ،٩م، دار الكتب العلميه، بيروت، ١٤١٨هـ، ج٩، ص٣٩٠، وقال به ابن عاشور في **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٣، وأخبر أنها زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر.

(٤) النابلسي، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، ج٢، ص٣، المدرسي، محمد تقي، **من هدي القرآن**، ط٢، ١٢م، دار القارئ، ٢٠٠٧م، ج١١، ص٤٥٩، متولي، **الموسوعة الذهبية**، ص١٩. وتنظر: الأقوال والردود عند السقا، **التفسير والإعجاز العلمي في القرآن** الكريم، ضوابط وتطبيقات، ج١، ص٣٧٤-٣٧٥. وينظر: عدد الطبقات عند شرف، **المقدمات في الجغرافيا الطبيعية**، ص٢٤٢.

(٥) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج، ج٣، ص١٤١٠، برقم: ٣٦٧٤. ثم إن مكان احتراق الشهب هو دون السماء، والغلاف الجوي كله تحت السماء، فكيف تكون السماوات هي طبقات الجو. ثم إن تفسير السماوات بطبقات الجو يجعل السماوات السبع لاشيء بالنسبة للكون. ينظر: محمود فضل عياد ☜

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان]، فهل البروج والشمس والقمر موجودة في طبقات الغلاف الجوي؟ ولذا فإنني أعتقد أن الرأي الأول: هو الحق في هذه الآية، وهو الموافق لقول المفسرين المتقدمين.

كما يذكر بعض المتأخرين صورا من بناء السماء الدنيا، مثل ما تحويه السماء من كواكب ونجوم، ويذكرون أبعادها، وسطوعها وحركتها ومسيرها، والغازات المحيطة بالأجرام، وطبقات السماء[١]، وتوسع البناء الكوني، أو ما يسمى بالنسيج الكوني، وكيف أن المجرات وتجمعاتها تشكل نسيجاً مترابطاً كالخيوط المحبوكة[٢]، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾ [الذاريات]، إلى آخر تلك الصور.

ثم تنوعت كذلك الآراء إزاء موقع: (بناها)، في سورة النازعات، على قولين[٣]:

الأول: مستأنفة، ولا محل لها من الإعراب، والمعنى: أن الله يبين أنه هو من بنى السماء؛ لأن العظيم يدل على وجود أعظم منه[٤]. وكأنه جواب عن سؤال: من بنى السماء؟ فيقال: بناها الله.

والثاني: في محل نصب على الحال لخبر محذوف، وتقديره: أأنتم أشد خلقا، أم السماء أشد خلقا حال كونه بناها؟ والمعنى على هذا: أن الله ينكر على منكري البعث، فيقول لهم: إن خلق السماء بلا عمد وبهذه الضخامة أشد من خلقكم، أفيعجزني إعادتكم[٥].

وأما ورود الإشارة بصيغة القسم في سورة الشمس، فقد تنوعت الآراء إزاء نوع (ما) فيها، فقيل: موصولة، وقيل: مصدرية[٦]. وقد تبين لي أن اعتبارها مصدرية أولى[٧]، وأشار ابن كثير

(٢٠١٤م)، **السماوات والأرض بين الفهم الإسلامي والعلم الحديث**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص٤.

(١) ينظر: اللجنة العلمية بهيئة الإعجاز العلمي (٢٠٠٠م)، مقال بعنوان: الأرض فراشاً والسماء بناء، **مجلة الإعجاز**، (عدد٨): نسخة إلكترونية، إدريس الأشقر (٢٠٠٣م)، مقال: السماء بناء وزينة، **مجلة الإعجاز**، (عدد١٤)، نسخة إلكترونية، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٨٦، النابلسي، موسوعة **الإعجاز العلمي في القرآن** والسنة، ج٢، ص١٥، الجسر، نديم، **قصة الإيمان**، بين الفلسفة والعلم والقرآن، طبع في لبنان، (بلا مكان وتاريخ الطبع)، ص ٣٠٤، الصادقي، **الفرقان في تفسير القرآن**، ج٣٠، ص٢٥-٢٨.

(٢) الكحيل، عبد الدائم، **أسرار الكون بين العلم والقرآن**، نشر: موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنَّة، ط١، ٢٠٠٦ م، ص١٩، وينظر: الكحيل، عبد الدائم (٢٠٠٦م)، بحث بعنوان: **النسيج الكوني**، مقدم للمؤتمر الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الكويت، نسخة الكترونية.

(٣) العكبري، **التبيان في إعراب القرآن**،ج٢، ص١٢٧٠، وينظر: بدوي، **أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم**، ص١٣٠-١٣١.

(٤) الواحدي، **التفسير البسيط**، ج٢٤، ص٥٣.

(٥) ينظر في هذا المعنى **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣١٦.

(٦) العكبري، **التبيان في إعراب القرآن**، ج٢، ص١٢٩٠.

(٧) صفحة: ٥٤.

إلى أن المعنيين مكملان لبعضهما، ولا تعارض بينهما[١]، فيكون المعنى: أنه قسم بالسماء ومن بناها بهذا الإحكام والاتقان[٢]، وحول هذا المعنى ترددت أقوال **المفسرين المتقدمين**، وأضاف بعضهم معنى: والسماء وما في بنائها من ملائكة ونجوم[٣].

وأما **المتأخرون** فلا تكاد أقوالهم تخرج عما ذكره المتقدمون، ويذكرون صورا متنوعة في بنائها[٤]، كما ذكر في آيات سورة النبأ والنازعات. وأخلُص مما سبق: أن لفظ السماء يشير إلى معاني العلو والرفعة والاتساع والضخامة، وأن السبع الشداد: هي السماوات السبع، والمقصود ببناء السماء وتسويتها: اتقان وإحكام وإتمام خلق كل ما يحويه العالم العلوي، والمقصود بالقسم بالسماء وما بناها، أي: وبنيانها.

ثانيا: علاقة مقاصد سور: النبأ والنازعات والشمس بالإشارة

أراد القرآن الكريم أن يستدل في سورة النبأ على إثبات البعث، بذكر بناء السماوات السبع الشداد، وقد تكاملت هذه الإشارة الكونية العلوية مع غيرها من الإشارات العلوية والأرضية؛ لبناء هذا المقصد في السورة، فيظهر أنه بعد أن استدل الله ﷻ في الآيات بالعالم الأرضي، المتمثل في الأرض والجبال والناس، وأتبعها بالليل والنهار، ذكر بعدها موطنهما، فقال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبأ].

ولم يصف القرآن الكريم السماوات بأنها شداد، إلا في هذا الموضع، وقد رجح السامرائي[٥]: أن صيغة (فعلاء)، تختص بالجوانب المعنوية، و(فعال)، تختص بالأمور المادية، وذلك مثل: أشداء وشداد، فقد ذكر القرآن الكريم في وصف المؤمنين: أنهم أشداء على الكفار،

---

(١) ينظر: **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٤١١.

(٢) رجح الرأي الأول: الطبري في **تفسيره**، ج٢٤، ص٤٥٣، والبغوي، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٥٨، والرازي في **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٧٥، ورجح القرطبي الرأي الثاني، **تفسير القرطبي**، ج٢٠، ص٧٤. ولم يذكر الباحث النجماوي إلا الرأي الأول فقط. النجماوي، **السماء والأرض في القرآن الكريم، دراسة دلالية للألفاظ والتراكيب**، ص ١٤٢.

(٣) **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٨٢.

(٤) ينظر: العمري، حسين يوسف (٢٠٠٢)، بناء السماء والمادة المظلمة دراسة مقارنة بين الفلك والقرآن، **مجلة مؤتة للبحوث والدّراسات** (سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مجلد ١٧، (العدد ٦)، ص٢١١ – ١٨٧ ، ورجح النجار الرأي الأول؛ لأنه يتضمن الثاني، ينظر: **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٢٥٦، النجار، **مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي**، ص٢٨٤، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص٥٠٥، المدرسي، **من هدي القرآن**،ج١٢، ص٢١١، الكحيل، عبد الدائم، **روائع الإعجاز في الكون**، كتاب إلكتروني، نشر موقع الكحيل، ٢٠٠٩م، ص٦٧.

(٥) هو: فاضل بن صالح بن مهدي السامرائي، ولد في سامراء عام ١٩٣٣م، نال شهادة الدكتوراه في اللغة العربية عام ١٩٦٨م، له كتب عديدة في البلاغة في القرآن الكريم واللغة عموما، منها كتاب: على طريق التفسير البياني. ومعاني النحو. ينظر في ترجمته: موقع إسلاميات، والموسوعة الحرة (الويكيبيديا).

رحماء بينهم[١]، وفي وصف السماوات: بأنها شداد[٢]. وبهذا تتكشف الدقة القرآنية في اختيار اللفظ الدال على الإشارة العلمية.

والحق أن بناء السماوات بهذه الهيئة البديعة المحكمة، هو من أعظم الأدلة على قدرته ﷻ على البعث، وقد أشار القرآن الكريم لهذا المعنى في أكثر من آية[٣]، ومنها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ ﴾ [يس: ٨١].

وقد بين ابن عاشور، أن الآية عطفت هذا التقرير على الاحتجاجات المتقدمة من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [يس: ٧٧]، وذلك أنه لما تبين الاستدلال بخلق أشياء على إمكان خلق أمثالها، ارتقى في هذه الآية إلى الاستدلال بخلق مخلوقات أعظم، على إمكان خلق ما دونها[٤]. وبهذا فإنه يتضح لي أن هذه الإشارات العلمية، تصّاعد لخدمة مقاصد السور الواردة فيها.

إن السماوات السبع الشداد: هي من أعظم الخلق، بل إن خلقها أعظم من خلق الناس، لكنها عند النفخ في الصور ستتفتح وتتشقق وتنفطر وتصبح واهية[٥]، فإذا كان هذا ما سيحصل لهذا الخلق العظيم، فعودة الإنسان إلى الحياة بعد موته أهون، قال الله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ [الروم: ٢٧]. وبذلك يظهر أن الإشارة المتمثلة ببناء العالم العلوي، قد أكملت الإشارات المتمثلة بالعالم الأرضي؛ لخدمة مقصد البعث في سورة النبأ.

كما أن العلاقة بين بناء السماوات ومقصد سورة النبأ، قريبة جدا لما ورد من إشارة لبناء السماء في سورة النازعات، التي تركّز على هزّ النفوس المكذبة بالبعث والجزاء، إلا أنها جاءت هنا مقارنة بخلق الناس. والحديث عن بناء السماء في النازعات هو جزء من الحديث عن بناء السبع الشداد في سورة النبأ، وبذلك تتجلى العلاقة بين ورود الإشارة في السورتين.

ولما لم تُفصل الآيات في سورة النازعات بالعطف، دلّ ذلك على أن رفع سمكها وتسويتها، هو جزء من بناء السماء. ثم لما كان من مقصد السورة: الحث على عمل الإنسان وسعيه، فقد

---

(١) [سورة الفتح، آية: ٢٩].
(٢) السامرائي، فاضل صالح، **معاني الأبنية في العربية**، ط٢ ،١م، دار عمار، الأردن،٢٠٠٧م، ص١٤٦.
(٣) [الإسراء، آية:٩٩]، [ق، آية:٩-١١].
(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٣، ص٧٨.
(٥) ينظر سور: [الحاقة: ١٦]، [النبأ: ١٩]، [الانفطار: ١].

ظهر أن القرآن الكريم كثيرا ما يقرن بناء السماء وتكوينها، ببناء الإنسان وتكوينه، ومن ذلك قسمه سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾[1][الذاريات]، على اختلاف أقوال الناس، وقسمه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾[الشمس]، على اختلاف الأنفس، وقسمه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ [البروج]، على تدافع المؤمنين والكفار، وقسمه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾[:الطارق]، على حفظ الأنفس[2]. والغاية من هذا ليُعلم أن السماء ببنائها وارتباط أجزائها، مثل الإنسان في ترابط أجزائه، سواء كفرد بأعضائه أو كجماعة.

وبذلك تبرز العلاقة الوثيقة بين السماء والإنسان، وربطهما في سياق واحد في أكثر من موضع من القرآن الكريم، فبناء السماء مشعر ببناء الإنسان وعمله. ثم إن القدرة على إيجاد السماء بهذا الاتقان، دليل القدرة على إعادة بعث الإنسان. ومن هنا يظهر ترابط الإشارات وتفاعلها في تحقيق مقصد السورة.

وبعد ذلك فإن ألفاظ سورة النازعات توحي بمعاني القوة والقدرة الإلهية، ولهذا لما اغتر المشركون بقوتهم وقدرتهم وأنكروا البعث، ردهم الله إلى شيء من مظاهر قوته ﷻ[3]، فاختار منها الأقوى والأعظم، وابتدأها بأعظمها وأدلها على القدرة، فقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧﴾ [النازعات]، فهذه الصورة توحي بضآلة خلق الإنسان إلى جانب هذه الصورة الكونية الضخمة؛ لتحقيق المقصد منها. وهنا أيضا تظهر الحكمة من تقديم ذكر العوالم العلوية على السفلية في السورة.

وبعد ذلك فإن الله ﷻ لم يغفل جانب التكامل في بناء السماء، فذكره في سورة الشمس، التي أرادت من ذكر هذا التكامل: الوصول لبيان حقيقة التكامل في الأمور التكليفية؛ ليكون دافعا في التزامها والعمل بها. ومظاهر التكامل الكوني واضحة في السورة، كما هي الشمس في ضحاها.

---

(١) ذكر ابن فارس أن (حبك): أصل يدل على إحكام الشيء في امتداد واطراد. يقال بعير محبوك القرى، أي قويه. ومن الاحتباك الاحتباء، وهو شد الإزار. **معجم المقاييس**، ج٢، ص١٠٤.

(٢) أقسم الله سبحانه بالسماء دون أن تقترن بالأرض في ثلاثة مواضع، [سورة الذاريات، الآية ٧]، و[سورة البروج، الآية ١]، و[سورة الطارق، الآية ١]، وأقسم بهما مجتمعتين مقترنتين في موضعين: [سورة الطارق، الآيتان ١١ – ١٢]، و[سورة الشمس، الآيتان ٥ – ٦]، فلم يقسم بالأرض في القرآن إلا والسماء معها مقدمة ومفردة، ولم يقسم بالسموات (بالجمع) أبدا؛ لأنه أراد السماء مطلقة، ولم يرد التنصيص على سماء معينة. ينظر: النجماوي، **السماء والأرض في القرآن الكريم**، ص١٣٨.

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص ٣٨١٦، وينظر قريبا من هذا المعنى: عثمان، **سورة النازعات وبيان أهدافها**، ص ١٢٩.

ثم إنه كما كانت آخر إشارة للأرض في الجزء هي في هذه السورة، فإن آخر إشارة للسماء كانت في هذه السورة أيضا.

أقول: إن بناء السماء شاهد على قدرة الخالق سبحانه، وإن ذلك النظام والحساب الدقيق بين أفلاكها شاهد على حكمته سبحانه. وكما أننا نرى السماء بهذا الإتقان وهذا البناء المحكم والتناسق البديع، ثم هذا الحساب الدقيق لمدارات النجوم والأفلاك والمجرات فيها، فهذا دليل على أن الإنسان يخضع لحساب دقيق على أقواله وأفعاله، فيعلم أن هناك من يحصيها عليه ويسجلها ويعدها بين يدي المولىﷻ، ثم يحاسبه عليها بعد البعث، وبهذا تتكشف الصلة الوثيقة بين جميع الإشارات وصلتها بموضوع البعث العام في هذا الجزء.

لقد ذكرت سورة الشمس مجموعة من الإشارات المتكاملة في وظيفتها الكونية، ولا يخفى التكامل بين السماء والأرض، سواء في دورة نزول الماء، أو في حفظ السماء للأرض من الأشعة الساقطة عليها[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

ثم إن صور التكامل تظهر حتى في الوظيفة الشرعية (الروحية)، فالسماء: هي محل الملأ الأعلى وصدور الوحي. والأرض: هي محل نزول الوحي، والسماء حافظة لمن هم على الأرض من الشياطين وسرقاتهم، ثم إن الأرض تحتضن أبدان الانبياء، أما السماء فتحتضن أرواحهم. ولهذا فإنني أجد من ذلكم المظهر من مظاهر التكامل في الكون، سببا لتنفيذ الأوامر التكليفية المتكاملة، وبهذا يتبين تضافر الإشارات في سورة الشمس؛ لخدمة مقصد السورة الكلي.

ولأن الحديث مختص ببناء السماء وتكاملها، فإن التكامل الوظيفي في السماء ذاتها أمر في غاية الدقة والانتظام، فإذا كان الإنسان يدرك ذلك التكامل في وظائف جسمه، فكيف بمن خلقها أعظم من خلقه! فمن الصوَر التي ذكرها المتأخرون للتكامل في خلق الإنسان، أن الله ﷻ جعل جسم الإنسان قادرا على الوفاء بحاجاته، فهيأ له الإمكانات التي لا عيش دونها، وحمى هذه الإمكانات بوسائل حماية غاية في الدقة؛ فالمخ داخل تجويف عظمي صلب، والنخاع الشوكي داخل فقرات لتوفير الحماية، والعين داخل حلقة...، وإذا مرض الإنسان تعاونت مختلف أجهزة الجسم لمواجة الموقف.

---

(١) ينظر: حميد، فوزي، **الجغرافية القرآنية**، ط١، ١م، دار الصفدي، دمشق، ١٩٩٣م، ص١٤٨، المدرسي، **من هدي القرآن**، ج١١، ص٤٥٩، مكي، مجد بن أحمد، **المعين على تدبر الكتاب المبين**، ط٢، ١م، مؤسسة الريان، بيروت ٢٠١٠م، ص٥٩١، النعيمي، قسطاس إبراهيم، مقال بعنوان: **الإعجاز العلمي** في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، بتاريخ: الإثنين، ٧ ، يناير، ٢٠١٣، **موقع جامعة الإيمان**.

ومن ذلك أن الحمى–مثلا– التي تجعل أعضاء الجسم تتكامل وتعمل بسرعة أعظم، بحيث تتم جميع العمليات الحيوية بمستوى أكثر كفاءة، بسبب ما يفرزه الجسم من هرمونات وخلايا دم أكثر، فتؤدي هذه الهرمونات إلى القضاء على الجراثيم الضارة(١).

فإذا كانت هذه صورة مصغرة للتكامل الوظيفي في جسم الإنسان، فكيف بذلك التكامل في السماء، والتي تحوي نجوما وأقمارا، وليلا ونهارا، وسحبا تتراكم، وكسفا تسقط، وأمطارا تهطل، ورعدا وبرقا...، وبالإشارة لكل ذلك جاءت الآية الكريمة في قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧﴾ [الذاريات]، بمعنى: أنها ذات ترابط محكم في كل جزئية من جزئياتها(٢).

فالناظر للسماء بهذه النجوم والكواكب يرى الأعداد الهائلة، والأحجام الضخمة، وتفاوت الأشكال والكتل، وسرعة الدوران حول المحور، وسرعة الجري في المدار، وتباعدها وتطورها واندثارها، وكل هذه الأجرام تسبح في عالم فسيح، وتسير بخطوط ثابتة، تتبع لمجراتها، وهذه المجرات بتكامل أجرامها تسبح بحسبان، و تتبع هذه المجرات لحشود مجرية، والتي تتبع لعشرات الآلاف من المجرات ...إلخ، ويمسك ذلك كله مجموعة من قوى الجذب في الكون(٣)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ۝٤١﴾ [فاطر].

وكل هذا الانتظام والتكامل في السماء: هو دليل على تكامل أمر الله ﷻ التكليفي في الأرض، فمن قام به وسعى: وصل إلى مرتبة العلو والفلاح بعد البعث، أو انحدر إلى أسفل سافلين بتركه لأمر الله ﷻ، فيكون ممن خاب، فدسى نفسه في الضلال.

وقد أرشدني الدكتور الدقور إلى أنه ما دام أن الشمس تشير إلى دلالات الوضوح، فإن أهم قيمة يمكن أن تشير لها السورة: هي وضوح العمل، ثم إن ورود الإشارة المتعلقة ببناء السماء في هذه السورة، تشير إلى بناء الإنسان لعمله ومشروعه وفق منهج الله تعالى.

وأخيرا فإنه لا تخفى الدقة القرآنية في اختيار لفظ البناء في هذه الإشارة، إذ إن موضوع البناء يخدم المقصد أكثر مما يخدمه موضوع رفع السماء أو غيره. فإذا تقرر ما سبق، فإنه

---

(١) الجاويش، **من عجائب الخلق في جسم الإنسان**، ص١٤٦–١٤٧، ١٦٣، وينظر: البار، **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، ص٣٥٢.

(٢) هذا المستفاد من أقوال المفسرين المتقدمين، وذكره: النجار في **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص ٣١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣١٣–٣٢٠، علي حسن موسى، **بدائع السماء**، ط١، ١م، (د. دار طبع)، دمشق، ٢٠٠٧، ص٢١.

يظهر لي أن الإشارة المتعلقة ببناء السماء في هذه السورة، قد أسهمت بشكل واضح، في خدمة مقصد السورة الكلي، والله أعلم.

ويلحظ في ختام هذا المطلب عدةَ أمور:

أولا: سورة النبأ ذكرت بناء السماوات السبع[١]، وأما سورتا النازعات والشمس فقد ذكرتا بناء السماء فقط.

ثانيا: سورة النبأ أشارت للسماوات بوصفها ولم تذكرها صراحة كما جاء في سورتي النازعات والشمس.

ثالثا: سورة النبأ ذكرت بناء السماوات بعد ذكر العالم الأرضي، بخلاف سورتي النازعات والشمس.

رابعا: سورة النازعات ذكرت هذه الإشارة في معرض المقارنة بين بنائها وخلق الإنسان.

خامسا: سورة النازعات فصلت في بناء السماء مالم تفصله سورتا النبأ والشمس.

سادسا: سورة الشمس ذكرت بناء السماء بصيغة القسم، بخلاف سورتي النبأ والنازعات.

المطلب الثاني: القسم ببروج السماء

لقد أورد القرآن الكريم الإشارة بهذا المعنى ثلاث مرات[٢]، ولذا قيل: كل ما في القرآن من ذكر البروج فهو الكواكب، إلا في قوله: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، فإن المراد بها: القصور الطوال الحصينة[٣]. وسميت مواضع الكواكب بروجا؛ لأنها للكواكب كالمنازل الرفيعة لمن يسكنها[٤]. وأما في الجزء الثلاثين فلم ترد إلا في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١﴾ [البروج]، وهي ثالث إشارة تختص بالسماء في الجزء.

أولا: مقصد سورة البروج

لقد وجدتُ أن معظم المفسرين الذين تحدثوا عن مقصد سورة البروج، ذكروا أنه يدور حول: بيان حال المؤمنين والكافرين، فقد ذكر ذلك الفيروزأبادي، والبقاعي، وأضاف سيد قطب: أن السورة توحي بالضخامة. كما أشار لهذا المقصد الكلي ابن عاشور، وذكره أبو السعود. وبين

---

(١) ورد وصف السماوات بأنها سبع سماوات، في تسع آيات من القرآن الكريم، وهذا الموطن الأخير منها، عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٣٦٤-٣٦٦.

(٢) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص١١٧.

(٣) الكفوي، **الكليات**، ص ٢٢٥، مكرم، عبد العال سالم، **المشترك اللفظي في الحقل القرآني**، ط٢، ١م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ، ص٢٣٤.

(٤) ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، ص٥٧.

الميداني أن السورة تدور حول معالجة الله للطغاة، الذين يفتنون المؤمنين، وأضاف الزحيلي: أن السورة أبرزت جانبا مهما من جوانب العقيدة وهو: التضحية في سبيل الإيمان(١).

وقد تبين أن السورة مكية بالاتفاق(٢)، ثم إنها نزلت في أوج الصراع بين الفئة المؤمنة القليلة، وبين الفئات الكافرة، ثم إن السورة أخبرت عن واحد من أشد الصراعات التي قامت بين الحق والباطل، وهو: صراع أصحاب الأخدود مع الظلمة.

والحق أن التاريخ "لا يكاد يعرف قوما ابتلوا بألوان البلاء، وفتنوا بأشد الفتنة، مثل ما عرف ذلك لأصحاب محمد ﷺ فقد عذّبوا عذابا تنوء به الجبال، وأوذوا في سبيل عقيدتهم ودينهم أشد الإيذاء، ولا سيما العبيد والضعفاء منهم"(٣). وفي مثل هذه الظروف العصيبة ينزل القادر ﷻ هذه السورة على النبي ﷺ ؛ ليسليه والمؤمنين الذين معه، ويعطيهم أنموذجا لقوم ابتلوا بأفظع أنواع الابتلاء، لكنهم ثبتوا على إيمانهم، فنصر الله مبدأهم، ودحض الشرك وأهله.

ويترجح لدي من خلال النظر في هذه الأقوال، وفي اسم السورة الدال على العظمة والشموخ، ثم إجالة النظر في قصة أصحاب الأخدود الواردة في السورة(٤)، والتي تدل على الثبات والقوة والشموخ أمام الباطل، وكذلك من خلال ألفاظ ودلالات العظمة والقوة المتكررة فيها(٥)، ومعاودة النظر في مقاطعها(٦): أن مقصد السورة: هو **تسلية المؤمنين العاملين، وتبشيرهم بعد الثبات بالنصر**؛ لاستمدادهم القوة من الله ﷻ، ثم إن هذا الثبات لا يبرز إلا بالتعرض للابتلاء والصبر عليه، فهو سبيل لرفع درجات المؤمنين.

---

(١) ينظر: الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج١، ص٥١٠، البقاعي، **نظم الدرر** ج ٢١، ص ٣٥٢، **تفسير أبو السعود**، ج٩، ص١٣٦، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٨٧٣، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٣٧، الطباطبائي، **تفسير الميزان**، ج٢٠، ص٢٤٨، الميداني، **معارج التفكر**، ج٢، ص٣٤٩، الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٣٠، ص١٥٢، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**،ج ٩، ص٨٧، **المختصر في التفسير**، ص٥٩٠.

(٢) ذكر الشوكاني في **فتح القدير** أنه بلا خلاف، ج٥، ص٤٩٨، والألوسي في **فتح القدير**، ج١٥، ص٢٩٤، وصديق خان في **فتح البيان**،ج١٥، ص١٥٥، وذكر الاتفاق ابن عاشور في تفسيره،ج٣٠، ص٢١١.

(٣) أبو شُهبة، محمد بن محمد (ت: ١٤٠٣هـ)، **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، ط٨،٢م، دار القلم، دمشق، ١٤٢٧ هـ، ج١، ص٣٣٩-٣٤٠. بتصرف بسيط، وينظر: البشير، إبراهيم محمد (٢٠١١م)، **سورة البروج دراسة تحليلية موضوعية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ص١٣.

(٤) **صحيح مسلم**، كتاب الرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود، ج٨، ص٢٢٩، برقم٧٦٢١.

(٥) من ألفاظ القوة في السورة: البروج، قتل، العزيز، مُلك، عذاب جهنم والحريق، بطش، شديد...إلخ.

(٦) يمكن للباحث بعد النظر في السورة أن يقسمها إلى مقاطع:
الأول: (١-٩): ذكر ما فعله أصحاب الأخدود بالمؤمنين.
الثاني: (١٠-١١): ذكر مآل الفريقين.
الثالث: (١٢-١٦): ذكر قدرة الله على تحقيق المآلين.
الرابع: (١٧-١٨): ذكر شاهد على قدرة الله.
الخامس: آخر آيتين: إيراد السبب في ذكر خبر أصحاب الأخدود.

وقد أكد لي هذا المعنى الدكتور الدقور–حفظه الله–، وذلك بأن المسلم العامل لابد أن يتعرض لضغوطات وابتلاءات، فجاءت السورة لتبرز قيمة الثبات في العمل والدعوة. فالسورة قدمت هذه القيمة بخطين اثنين، الأول: أن طريق الدعوة إلى الله ﷻ ليس ممهدا ومفروشا بالورود، والآخر: أن حركة الدعوة والعمل تكون بالثبات عليه.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (البُرُوج): جمع بُرْج، وهو واحد من بُرُوج الفلك الاثني عشر(١)، وبين ابن فارس: أنه أصل يدل على ظهور وبروز. وقيل: هي الحصون، أو الكواكب العظام(٢). ومجموع أقوال **المفسرين المتقدمين** تدور حول: أن الآية قسم بالسماء ذات القصور التي فيها حرس السماء، أو الكواكب والنجوم، أو الخلق الحسن، أوالمنازل: وهي اثنا عشر منزلا(٣).

وبعد أن بين الطبري الأقوال رجح أن المعنى: والسماء ذات منازل الشمس والقمر...، وهي منازل مرتفعة عالية في السماء، فمسير القمر في كل برج منها يومان وثلث، فذلك ثمانية وعشرون منزلا ثم يستتر ليلتين، ومسير الشمس في كل برج منها: شهر(٤). كما ذكروا هنا أن النبي ﷺ:(سئل عن السماء ذات البروج، فقال: الكواكب، وسئل عن ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١] فقال: الكواكب، وسئل عن البروج المشيدة، فقال: القصور)(٥). وقد ظهر لي أن معظم المفسرين يرجحون هذا القول(٦).

وأما **المتأخرون**، فقد بينوا أن البروج هي: تجمعات للنجوم، تصورها الناس منذ القدم على هيئة معينة، كوسيلة من وسائل التعرف المبدئي عليها، وأعطوها أسماء محددة، تباينت من حضارة لأخرى، ولكنهم أجمعوا على تقسيمها إلى اثني عشر برجا بعدد الشهور. ثم ذكروا أن

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٣، ص٢٤٠، الأزهري، **تهذيب اللغة**،ج١١، ص٤٠، الجوهري، **الصحاح**، ج١، ص٢٩.

(٢) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج١، ص٢٢٦، ابن فارس، **مجمل اللغة**،ج١، ص١٢٣، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٢١٢.

(٣) ذكر الماوردي الأقوال جميعها، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢٤٠، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٦٠، وينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٩، ص١٢٦، و ج٣١، ص ١٠٦، **تفسير القرطبي**، ج١٩، ص٢٨٣، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٦٣.

(٤) **تفسير الطبري**، ج ٢٤، ص٣٣٢.

(٥) رواه مقاتل، أبو الحسن بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، **تفسير مقاتل**، ط١، ٥م، (تحقيق: عبد الله محمود شحاته)، دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٣هـ، ج ٢، ص ٤٢٦ أقول: ومقاتل لم يوثق في رواياته. ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ط١، ٤م، (تحقيق: علي محمد البجاوي)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣ م، ج٤، ص١٧٣.

(٦) رجحه البغوي في تفسيره، ج٣، ص٥٢، والزمخشري في **الكشاف**،ج٤، ص٧٣٠، ونسبه ابن عطية في تفسيره للجمهور، ج٥، ص٤٦٠، **تفسير الجلالين**، ص٨٠٠.

هذه البروج ليست عشوائية، بل هي طرق ثابتة للكواكب السيارة بحيث لا تحيد عنها، وهي في غاية الاتقان[١]. ولم ألحظ في أقوال المتأخرين ما يخالف أقوال المتقدمين، ويتضح لي من خلال النظر في المعاني اللغوية وأقوال المفسرين، أن وصف السماء بذات البروج: فيه دلالة العظمة والعلو، وعلى اختلاف الدرجات والمنازل.

ثالثا: علاقة مقصد سورة البروج بالإشارة

ابتدأت السورة بالقسم؛ لمناسبته للموقف والحال، واختير القسم بالعالم العلوي، الدال على العظمة والاتساع، فإذا كانت قد ضاقت الأرض بالمؤمنين الفاعلين، فما عند الله أوسع. واختير أهم وصف يدل على القوة والعظمة في السماء، فإذا كانت النار قد أضرمت للمؤمنين، بخطوطها التي هي كالبروج في الأرض، فقد أوجد الله ﷻ بروجا أعظم في سمائه الواسعة، ومن قدر على ذلك، فهو على نصر المؤمنين قدير.

ثم بعد ذلك أقسم باليوم الموعود[٢]، وكأن المعنى: إذا صُنع بكم ما صنع في يوم واحد من أيام الأرض، فإن عندنا يوما كألف سنة مما تعدون، ستبعثون فيه، ويجازى فيه الكل. ثم أقسم بالشاهد والمشهود، فإذا كان هؤلاء على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، فإن في اليوم الموعود، هنالك كل نفس معها سائق وشهيد، كما أنه يوم تشهد عليه أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون. وبذلك يظهر لي أن هذه الإشارة، قد تكاملت مع باقي آيات القسم[٣]؛ لخدمة مقصد السورة.

ولأن السورة قائمة على معاني الثبات والقوة، فإن السماء فيها قد وصفت بالبروج؛ لأنه وصف دال بحروفه على هذه المعاني، فالباء: صوت شفوي مجهور شديد، والراء: حرف فيه شدة، يحتاج لتتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعا سريعا وقويا. والجيم: حرف قوي شديد

---

(١) الجميلي، **الإعجاز العلمي في القرآن**، ص٣١، سمير عبد الحليم، **الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني**، (الموسوعة العلمية) ط١، ١م، مكتبة الأحباب، دمشق،٢٠٠٠م، ص٢١، النجار، **السماء في القرآن الكريم**،ج١، ص٣٢٩- ٣٣٠، يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص٣٠٣.

(٢) هو يوم القيامة باتفاق أهل التأويل، كما ذكره ابن عاشور في **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٣٨.

(٣) وقد ربط ابن القيم بين هذه الإقسام بقوله: "فأقسم بالعالم العلوي وهي السماء ومافيها من البروج التي هي أعظم الأمكنة وأوسعها، ثم أقسم بأعظم الأيام وأجلها قدرا...، ثم أقسم بما هو أعم من ذلك كله، وهو الشاهد والمشهود، وناسب هذا القسم ذكر أصحاب الأخدود الذين عذبوا أولياءه وهم شهود على ما يفعلون بهم، والملائكة شهود عليهم بذلك والأنبياء وجوارحهم تشهد به عليهم، وأيضا فالشاهد: هو المطلع والرقيب والمخبر، والمشهود: هو المطلع عليه المخبر به المشاهد". ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، ص ٥٧. ونقل بعض هذا الكلام السبحاني، ولم ينسبه لابن القيم! ينظر: السبحاني، جعفر محمد، **الأقسام في القرآن**، ط١، ١م، مطبعة الاعتماد، قم، ١٤٢٠هـ، ص١٤٦.

ومجهور، ويسمى صوتا انفجاريا[١]، وبهذا تتكشف لي الدقةُ القرآنية في اختيار الإشارة، واختيار اللفظ الدال عليها؛ وذلك لمناسبتها لمقصد السورة.

وكما أن الصورة التي تعرضها البروج: هي صورة تجمَع بين الضخامة والدقة والسعة والزينة، فيمكن أن يضاف لها صفة الحفظ والحراسة، ولعل اختيار هذه الإشارة في هذا الموضع؛ لأن في السماء حرسا اتخذوا مواقع لرصد حركات الشياطين، وهذا ينسجم مع سياق السورة الذي يجري فيه الحديث عن الطغاة وجرائمهم بحق المؤمنين، "فإذا تحصن الطغاة ببروجهم الأرضية، فإن للسماء بروجا لا يستطيعون مقاومة جنودها"[٢]. أقول: فكما حشد ويحشد أصحاب الأخدود جموعا عظيمة، وجنودا ومشاهد مروعة، فقد حشد الله ﷻ في السماء بروجا أعظم، وهي أشد هولا وروعة.

ثم إن البروج هي آية الدفاع، حيث كان أهل البلد يدافعون من البروج المبنية على سور البلد عن بلدهم، قال سبحانه: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]، فأقسم سبحانه بالسماء ذات البروج، مبينًا أنه كما يدفع بالبروج عن السماء كيد الشياطين، كذلك يدفع عن إيمان المؤمنين الداعين الفاعلين كيد الشياطين وأوليائهم.

إن الذي أوجد هذه البروج بما تشمله من كواكب ونجوم غاية في العظمة والضخامة، والذي أوجد المسافات الشاسعة بينها، وأوجد فيها من عظيم الصناعة وباهر الحكمة الإلهية، لا يصعب عليه أن يدبر شؤون الناس والعباد، فيثبت سعي المؤمنين وينصرهم. ولما كانت البروج دالة على اختلاف المنازل والدرجات، فإنها تشعر باختلاف درجات الناس ومنازلهم، واختلاف أعمالهم وسعيهم، وهذا ما بينته سورة الليل، كما سيتبين.

فالقسم بهذه الإشارة على عمل الناس، كأنه يشير إلى درجاتهم ومنازلهم، وعليه فسورة البروج: هي سورة الصعود والصمود، فكما أن البروج عالية في السماء، فيجب أن يرفع الداعي همته ونظره إلى العلو، ولذلك أقسم بعدها باليوم الموعود؛ لأن هدف المسلم يجب أن يتعلق بالقيم

---

(١) القارئ، عبد العزيز بن عبد الفتاح، **قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود**، ط١، ١م، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت)، ١٩٧٥م، ص٧٠، الحمد، غانم قدوري، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ط٢، ١م، دار عمار، عمان، ٢٠٠٧م، ص ٢٨٤، و٢٢٥، ٢٦٩، ٢٤٠ -٢٤١.

(٢) المدرسي، **من هدي القرآن** ،ج١٢، ص١٢٠.

الكبرى، وأهمها الآخرة، وإن هذه البروج باختلافها وتنوعها، تشابه اختلاف ظروف الأمة، فهي تتبدل من تسليط لتمكين، ويوحي بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ [١][البروج].

إن هذه الحادثة لم تستغرق سوى ساعات أو أيام فقط، وهي بالنسبة لعمر الدنيا ومضة عابرة، "وهذا من شأنه أن يجعل نظر المسلم الداعي للمصيبة متوازنا، فبقدر ما يتألم منها، فإنه يتصورها في سياقها، فلا تعجزه هذه الحادثة أن يدرك مقاصدها وأسرارها، فلا يجعلها حجر الزاوية في شعوره وتفكيره وفهمه ومنهجيته"[٢].

ومما سبق فإنه يتبين أن هذه الإشارة بهذا الوصف، قد جاءت لتعمق حقيقة اختلاف أحوال المؤمنين، وترجح مقصد تبشير المؤمنين العاملين بالعاقبة الحسنة، وأنهم إن ثبتوا على البلاء، فإن الله ﷻ بقوته وقدرته يدافع عنهم، والله تعالى أعلى وأعلم.

المطلب الثالث: القسم بالسماء ذات الرجع

وردت هذه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ [الطارق]، وقد سبقها القسم في أول السورة بالسماء أيضا، في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾﴾ [الطارق]، ولورودهما في سورة واحدة، فقط جمعت بينهما في مطلب واحد. ولا يوجد سورة في القرآن الكريم أقسمت بالسماء مرتين، إلا هذه السورة. كما لم يصف القرآن الكريم السماء بأنها ذات الرجع، إلا في هذه السورة.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

لما أقسم الله ﷻ بالسماء، فإنه يشير بذلك إلى بنائها وإحكامها وحسنها وقدرة خالقها، قال الرازي: "اعلم أنه تعالى أكثر في كتابه ذكر السماء والشمس والقمر؛ لأن أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة"[٣]. أما وصف السماء بأنها ذات الرجع، فقد ذكر أهل اللغة: أن الرّجْع أصل: يدل على رَد وتَكْرَار، وعَوْد الشيء عند انتهاء غايته إلى مبدئه[٤]. وإنما عبر

(١) جعل ابن عباس معنى الآية عاما. ينظر: **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٦٢.
(٢) العودة، **إشراقات قرآنية**، ج١، ص٢٩٠-٢٩١.
(٣) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١١٧.
(٤) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٢، ص٤٠٧، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص١٧٥.

بالرجع دون الرد؛ لأن الرد لا يكون إلا لشيء تكرَه حاله[١]. كما ذكروا أنه يقصد بالرجع في هذه الآية: المطر[٢]؛ لأن السماء تبتدئ بالمطر، ثم ترجع به في كل عام.

وقد تنوعت آراء **المفسرين المتقدمين** إزاء هذه الإشارة، على معان عدة: فبينوا أنها إما بمعنى: ذات المطر، أو ذات السحاب[٣]، أو ذات أرزاق الناس، أو ذات الرجوع إلى ما كانت، أو ذات النجوم الراجعة كالشمس والقمر، أو ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد[٤]. وأضاف الزمخشري: أنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض. أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعاً وأوبا ، ليرجع ويؤوب. وقيل: لأنّ الله يرجعه وقتاً فوقتاً[٥]. وقول الزمخشري غاية في الأهمية، إذ بين فيه صورة من صور الرجع، وكيفية ذلك الرجع، وهذا بعض مما ذكره المتأخرون كما سيأتي.

وذكر الرازي أن الرجع ليس اسما موضوعا للمطر، لكنه سمي رجعا على سبيل المجاز، وقد حسُن هذا المجاز لعدة وجوه، منها: كأنه من ترجيع الصوت: وهو إعادته ووصل الحروف به، كما أنهم أرادوا التفاؤل فسموه رجعا ليرجع[٦]. وهذه الصورة التي ذكرها الرازي، من الأهمية بمكان، إذ اعتبرها المتأخرون إحدى المعاني المهمة للإشارة.

ويبدو أن معظم المتقدمين قد ذكروا أن الرجع بمعنى المطر، وأما ما أضافه الرازي، فإنه من باب ذكر سبب اختيار لفظ الرجع، وليس من باب أن هذه صورة من صور الرجع.

وأما **المتأخرون** فقد ذكروا أنه ما دام أن السماء: هي كل ما يقابل الأرض من العالم العلوي، وأن الرجع: بمعنى الرد والإرتداد، فيعني هذا أن المقصود: السماء ذات الإرتداد، بمعنى: أن كثيرا مما يرتفع إليها من الأرض ترده إلى الأرض ثانية، وأن كثيرا مما يهبط عليها

---

(١) الدوري، محمد ياس خضر (٢٠٠٥م)، دقائق **الفروق اللغوية في البيان القرآني**، أطروحة دكتوراه، منشورة، جامعة بغداد، العراق، ص ١٨٩.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١، ص٢٣٤، الجوهري، **الصحاح**، ج٣، ص١٢١٧، ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ)، **المخصص**. ط١،٥م، (تحقيق: خليل جفال)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج٢، ص٤٣٦، الفراء، يحيى بن زياد (ت: ٢٠٧هـ)، **معاني القرآن**، ط١، ٣م، (تحقيق: أحمد النجاتي)، الدار المصرية، مصر.، ج٣، ص٢٥٥.

(٣) هذا قول عامة المفسرين، بل ذكر الواحدي أنه قول جميع المفسرين، وهذا مردود؛ لأن من المفسرين من ذكر غير هذا. **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٤٠، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٣٧، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٦٦، الواحدي، **الوسيط**، ج٤، ص ٤٦٧، وذكر أن هذا قول عامة المفسرين: القرطبي في تفسيره، ج٢٠، ص١٠، وذكر أبو حيان أنه قول الجمهور، أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط**، (تحقيق: صدقي جميل)، دار الفكر، لبنان. ١٤٢٠هـ،ج ١٠، ص ٤٥٣، **تفسير الجلالين**، ص٨٠٣.

(٤) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٣٦٠، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٤٨، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣٧٦.

(٥) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٣٧، ونقله الرازي في **مفاتيح الغيب**،ج٣١، ص١٢٢.

(٦) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٢٢.

من أجزائها العلى، يرتد ثانية منها إلى المصدر الذي هبط عليها منه[١]، فالرجع هنا يعدّ من الصفات الأساسية للسماء.

وبعضهم ذكر أن هذه الآية تشير إلى موضوع الجاذبية في الكون؛ لأن النجوم لا يمكن أن ترجع إلى مكانها إلا بفعل الجاذبية[٢]. ويظهر من هذا كله أنه ثمة دلالات متعددة يصح إطلاقها على وصف السماء بأنها ذات الرجع، فسواء قيل: إن الرجع: هو المطر أو الملائكة أو الكواكب أوالنجوم أو غيرها، فهو صحيح، ولا تعارض بين الأقوال، ويمكن كذلك أن توجد دلالات أخرى ما دام أن اللفظ يحتمل، ولهذا فلا يبدو لي وجود تعارض بين أقوال المتقدمين والمتأخرين.

ثانيا: علاقة مقصد سورة الطارق بالإشارة

لما كان مقصد سورة البروج: تسلية المؤمنين العاملين وتثبيتهم على الحق، وأن هذا الثبات لا يظهر إلا بالتعرض للابتلاء والصبر عليه، فهو سبيل لرفع درجاتهم، جاءت بعدها سورة الطارق؛ لتؤكد على أن الله ﷻ بقوته قادر على حفظ المؤمنين وأعمالهم.

ولبناء هذه المقاصد، فقد ذكرت السورة الإشارات بصيغة القسم؛ للتحقيق والتشويق[٣]، فذكّرت بالسماء أولا، ثم خصصت السماء بوصفها بذات الرجع. وقد كان من التناسب اللطيف أن ترد هذه الإشارة في سورة مقصدها الحفظ، فقد جعل الله السماء سقفا محفوظا للأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ﴾ [الأنبياء: ٣٢]. ولذلك يحفظ الله بها الأرض من الطوارق، وقد جعلها الله سبحانه سقفا محفوظا؛ كيلا تتساقط النيازك والشهب على الأرض، وحتى تحمي

---

(١) العبيدي، **ومضات إعجازية**،ج٣، ص٦٣-٧٦، النجار، **السماء في القرآن الكريم** ،ج ١، ص ٢٩٣-٣٠٨، وينظر: يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص٣٥٣-٣٥٥، النابلسي، موسوعة **الإعجاز العلمي في القرآن** والسنة،ج٢، ص١. ونقل متولي ما قال النجار، ينظر: متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم**، ص ٢١. وقد ذكروا صورا متعددة من الرجع، منها: أن النجوم خلقها الله بالدخان الكوني تمر بدورة حياة طويلة ثم ترجع إلى دخان، ومنها الرجع الإهتزازي للهواء أي: الأصوات وصداها، وكذلك الرجع المائي الذي ذكره المفسرون، والرجع الحراري إلى الأرض عن طريق الغلاف الغازي، ومنها أيضا رجع الغازات والأبخرة والغبار، والرجع الخارجي للأشعة فوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون. وأشار آخرون بأن من صور الرجع: رجع الشمس والقمر؛ لأنهما يسيران ثم يرجعان إلى مكانهما.

(٢) ذكر ذلك النابلسي في موسوعة **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، ج٢، ص٧. وردّ مرهف السقا هذا القول بالأدلة، ورجح تفسير النجار لها. ينظر: السقا، **التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ج١، ص٢٠٣-٢٠٦.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص ٢٥٨.

الأرض ومن عليها من الأشعة الضارة الساقطة من الفضاء[١]. وبهذا تبرز العلاقة من جهة اللفظ بين القسم بالسماء وبين مقصد الحفظ في السورة.

إن اختيار القسم بالسماء في بداية السورة، له عظيم الصلة بمقصدها، إذ إن هذه السماء باتقانها وبنائها المحكم وتناسقها البديع، وهذا الحساب الدقيق لمدارات النجوم والأفلاك والمجرات فيها، دليل على أن الإنسان يخضع لحساب دقيق على أقواله وأفعاله، فهناك من يحصيها عليه ويسجلها ويعدها بين يدي الله ﷻ.

وذكر الميداني: أن السماء محيطة بالأرض، والنجوم فيها كثيرة نافذة من ثقوب ستارة الليل إلى الأرض، وكل نفس محاطة بالعلم الرباني الذي لا يخفى عليه منها خافية، وعليها مراقب ثاقب لحجبها يراقبها في خلواتها، وحتى داخل سرائرها ومكنوناتها، وكل هذا سيكشف يوم تبلى السرائر[٢]. وبذلك تظهر علاقة هذه الإشارة برقابة الله ﷻ للإنسان. ثم ليعلم الإنسان، أنه كما دبّر الله ﷻ أمر السماء وشأنها بنجومها وأفلاكها، فكذلك هذه النفوس على الأرض لها من يديرها ويدبر شؤونها.

وحينما ينظر الإنسان إلى متانة بناء السماء، بعلوها واتساعها، وكيف جعلها الله ﷻ سقفا محفوظا، "وزرع في أرجائها مراجم للقوى الشيطانية التي تسعى لإفساد النظام فيها، فإنه يطمئن إلى اليد العظيمة التي تمسك السماوات والأرض أن تزولا، ويعرف أنه في كنف رب عظيم، يحفظه من طوارق السوء، وجعل حفظة يحرسونه من الأخطار المحدقة به، فلن يصيبه إلا ما فيه حكمة الرب سبحانه"[٣]. وبذلك تظهر علاقة الإشارة برعاية الله للإنسان، كما يتبين أن الدلالات جميعها قد تكاملت لخدمة مقصد القوة والحفظ في السورة الكريمة.

---

(١) أقول: هذا على معنى التناوب بين اسم الفاعل واسم المفعول، فمحفوظ هنا: بمعنى حافظ. ودليله: إمكانه في اللغة، وعدم استحالته في الدلالة، وتأكيد العلم الحديث لمعناه. وينظر في الإشارة: العبيدي، **ومضات إعجازية**، ج٣، ص٦٥، المدرسي، **من هدي القرآن**، ج١١، ص٤٥٩، مكي، **المعين على تدبر الكتاب المبين**، ص٥٩١، زايد، **الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم**، ص٤٩.

(٢) الميداني، **معارج التفكر**، ج٣، ص ٢٥٩.

(٣) المدرسي، **من هدي القرآن** ،ج١٢، ص ١٣٧، بتصرف بسيط. وقد بين قبلها أن الإنسان حينما يرتفع إلى أفق التدبر في آيات الله في السماء، فإنه يقترب من معرفة الحقائق الكبرى، بينما الذي يعيش في زنزانة مشاكله اليومية، وهواجس نفسه ووساوس قلبه، فانه يحرم التفكر في الآفاق، ويحرم بالتالي بلوغ الحقائق، ولعل هذا من أهداف القسم في القرآن الكريم، وهو الارتفاع بالإنسان إلى آفاق الحقائق، بعيدا عما يحيط بفكره من قضايا خاصة لا تنفك تستقطب اهتماماته المدرسي، **من هدي القرآن**، ج١٢، ص١٣٤.

أما القسم الآخر بالسماء في السورة، فقد كان في حال وصفها بأنها ذات الرجع، واختيار لفظ الرجع هنا مناسب لما ذكر قبلها من قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨﴾ [الطارق][١]، ويظهر أن جواب القسم كان: التأكيد على صدق القرآن الكريم في إخباره بقضية الحفظ، ولذا فإنه سواء حددت العلاقة بين هذه الإشارات والقرآن الكريم، أو بينها وقضية الحفظ، فإن المؤدى واحد.

فإن كان المقصود بالرجع: رجع الماء فقط–وهذا ما عليه معظم المفسرين المتقدمين– فالعلاقة ظاهرة؛ لأن السماء تحفظ الأبخرة المتصاعدة من ماء الأرض في طبقاتها العليا، بسبب سقوط حرارة الشمس على الماء في الأرض، ثم يرجع أخرى إلى الأرض، فتحفظه الأرض على هيئات مختلفة، وهكذا[٢]، وبهذه الصورة من صور الحفظ يكون حفظ الحياة والمخلوقات.

وقد بين ابن عاشور جانبا من تلك العلاقة، فذكر أن الكلام افتتح بالقسم تحقيقا لصدق القرآن في الإخبار بالبعث، وفي غير ذلك مما اشتمل عليه من الهدى، ولذلك أعيد القسم بالسماء، وذكر من أحوالها ما له مناسبة بالمقسم عليه: وهو الغيث الذي به صلاح الناس، فإن إصلاح القرآن للناس كإصلاح المطر[٣].

وبهذا فقد اتضح أن الإشارة قد أسهمت بشكل بين في خدمة مقصد القوة و القدرة على الحفظ في السورة. ولا يخفى التكامل بين هذه الإشارة مع الأرض، وبين خلق الإنسان، فالسماء ينزل منها الماء إلى الأرض، ثم يرجع متبخرا إليها ثانية، والبذرة التي في الأرض يخرج منها النبات، ثم يعود بذرة أخرى فترجع إلى الأرض، وهذه الدورة تمثل دورة حياة الإنسان، فقد خلق من الأرض وعاش عليها، ثم يعود إليها.

فكما أن الإنسان لا يولد إلا بثنائية الرجل والمرأة، فإن الحياة لا يمكن أن تستقيم إلا بثنائية السماء والأرض، فبالماء الدافق من الرجل والمرأة تنبثق حياة الإنسان، وبرجع السماء وصدع الأرض تنبثق حياة النبات، وكما حفظ الله ﷻ الإنسان قبل ولادته، بل قبل أن يقذف في رحم أمه، كذلك هو قادر على حفظ الإنسان وأعماله.

وأخيرا، فقد أرشدني الدكتور الدقور–حفظه الله– أنه لما كانت السماء دالة على العلو، فإنها تشير بذلك إلى أن المسلم العامل دائما يبحث عن العلو في صفاته وأعماله، ولما كان الرجع دالا

---

(١) أرجح هنا ما رجحه ابن القيم، من أن المقصود من الآية: إنه على رجع الإنسان يوم القيامة لقادر، وليس رجع الماء الدافق إلى العضو؛ لعدة أدلة: أهمها: السياق، فقد قال بعدها: يوم تبلى السرائر. وقد استدل ابن القيم على هذا بعشرة أدلة. ينظر: **التبيان في أقسام القرآن**، ص٦٤.

(٢) في هذا إشارة إلى التفسير العلمي لكيفية نزول المطر. ينظر في هذه الكيفية: الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٣٧، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٣٠٣–٣٠٥، يوسف، **الإعجاز العلمي**، ص٢٦٤–٢٦٨.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٦٦.

على أثر العمل في السماء، فإن هذا يوحي بأن الله ﷻ حافظ لأثر عمل الداعي. ومما سبق فإنه تتجلى تلكم التكاملية بين جميع الإشارات العلمية، والتي تفاعلت فيما بينها في السياق الذي وردت فيه، لتحقق مقصد القوة والحفظ في سورة الطارق.

المطلب الرابع: رفع السماء

وردت هذه الإشارة بهذا المعنى في القرآن الكريم: أربع مرات[١]، وأما في الجزء الثلاثين فلم ترد سوى مرتين، في قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النازعات]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ ﴾ [الغاشية].

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (رفْعَ السَّمْك) يأتي بمعنى: رفع السماوات؛ لأن المسموكات: هي السماوات، فلفظ (السَّمْك)، يدل على العُلوِّ. والمعنى: جعل مقدار ارتفاعها من الأرض، أو ثخنها الذاهب في العلو رفيعا[٢]. ومجموع أقوال **المفسرين المتقدمين** تدور حول معنى: أن الله ﷻ رفع السماء عالية، وجعلها محكمة البناء ومستوية، لا فيها عيب ولا خلل، ومكللة بالكواكب في الليلة المظلمة. وأضاف الرازي: أن امتداد الشيء إذا أخذ من أعلاه إلى أسفله سمي عمقا، وإذا أخذ من أسفله إلى أعلاه سمي سمكا[٣].

وأما **المتأخرون**، فقد ذكروا أن السّمْك هو: الرفع في الفضاء، وهو إشارة إلى تلك المسافات الفلكية المذهلة، والتي تقدر بعشرات البلايين من السنين الضوئية، وهذا دليل على أن السماء بناء محكم، وليست فراغا كما يظن عامة الناس. كما أنه دليل على سعة السماء[٤].

كما ذكروا أن ارتفاع السماء بهذا القدر يعد ملائما لطبيعة خلق الإنسان وعيشه على الأرض، ودون هذا الارتفاع تستحيل الحياة على الأرض؛ فضغط الهواء الناشئ عن هذا

---

(١) مرتان في جزء عم، وثالثة في [سورة الرعد، آية: ٢]، ورابعة في [سورة الرحمن، آية:٧].

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١٠، ص٥١، الجوهري، **الصحاح**، ج٤، ص ١٥٩٢، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٣، ص٧٥، الكفوي، **الكليات**، ص٥١٨.

(٣) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢٠٦، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٠٨، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، ١م، (تحقيق: صفوان عدنان الداودي)، دار القلم، دمشق، ١٤١٢ هـ، ص٤٢٦، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٦٩٧، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٣٤، الرازي في **مفاتيح الغيب**،ج٣١، ص٤٥، **تفسير القرطبي**، ج١٩، ص٢٠٣، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣١٦، **تفسير الجلالين**، ص٧٩٠، وتعدية فعل رفع إلى السمك للمبالغة في الرفع، من باب قوله: شعر شاعر، وليل أليل...إلخ. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص ٧٥.

(٤) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص١٢٥، ٥٩٢، النجار، **مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي**، ص٢٨٣. متولي، **الموسوعة الذهبية**، ص٣٤، العمري، **بناء السماء والمادة المظلمة دراسة مقارنة بين الفلك والقرآن**، ص٢١١ – ١٨٧.

الارتفاع يتناقص كلما صعد الإنسان إلى الطبقات العيا للسماء، وهذا من شأنه أن تنفجر بسببه عروق الإنسان بسبب اختلاف الضغط الداخلي للجسم عن الضغط الخارجي[١]، وقد أشار القرآن الكريم لهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. و يظهر هنا أن أقوال المتأخرين متمّمة لما ذكره المتقدمون.

ثانيا: علاقة مقصدي سورتي: النازعات والغاشية بالإشارة

إن رفع سَمْك السماء هو جزء من بنائها، ولما أرادت سورة النازعات هز النفوس التي تكذب بالبعث، كان البدء بالعالم العلوي، ومن أخوف ما يشاهد فيه: ارتفاعه وسموه. وتظهر لي هنا مناسبة دقيقة بين ذكر رفع السماء، وبين تجبر الطغاة واستبعادهم للبعث، وذكر فرعون، ففرعون تجبر وطغى، وطلب من هامان أن يبني له صرحا مرتفعا لعله يبلغ ارتفاع السماء، فيطلع إلى إله موسى عليه السلام[٢] فناسب أن يذكّر الله ﷻ في هذه السورة بارتفاع السماء وعلوها؛ ليؤكد على قدرته وعظمته. فهذه الإشارة العلمية جاءت في موضع التحدي؛ لتذكر كل من تخلق بأخلاق الطغاة، أن الله ﷻ أعلى وأكبر.

إن ارتفاع السماء: هو عامل مساعد للحياة، وإن اختلال هذا الارتفاع سيؤدي على اختلال في الحياة-كما ذكر المتأخرون-ولذا فإن من أعظم صور الانهيار الكوني: انهيار السماء، وبها بدأ الله ﷻ في سورة الانفطار والانشقاق، وناسب أن يكون جواب الشرط في آية الانفطار هو قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الانفطار]، وهو مشير إلى البعث كما يظهر.

ويتضح هنا كيف ناسبت الإشارة إلى رفع السماء في سورة النازعات مقصد السورة في هز النفوس التي كذبت بالبعث، وتذكيرها بتحقق وقوعه.

وقد جمعت السورة بين بناء السماء ورفع سمكها، ثم إظلام الليل فيها وإخراج الضحى، ولا يخفى ما في صورة مجيء الظلمة بالليل من إشعار بالموت، وما في صورة إخراج الضحى من إشعار بإعادة الحياة، ثم دحو الأرض بإخراج الماء والمرعى منها، وهذه كلها صور مركبة متكاملة موحية بالبعث. فيتبين من ذلك التكامل بين هذه الإشارة والإشارات الأخرى في السورة لخدمة مقصدها.

---

(١) الجميلي، **الإعجاز العلمي في القرآن**، ص٤٤، عبد الحليم، **الموسوعة العلمية**، ص٤٨، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٣٨٩. المزيودي، **الإعجاز البياني في سورة الغاشية**، كتاب الكتروني، ص٣٣.
(٢) [سورة القصص، آية: ٣٨]، [سورة غافر، آية: ٣٦].

ولما كان سبب مقصد هز القلوب للإيمان بالبعث في السورة: الحث على العمل، والتخويف من تركه، فإن رفع السماء في السورة، مشعر برفع الهمة للعمل والدعوة. ولهذا كانت الإشارة الأخرى لرفع السماء: في سورة الغاشية والتي كان مقصدها: واجب الأمة في القيام بالدعوة، وقد تصدرت الإشارات العلمية بالاستفهام وفعل: (ينظرون)؛ لأن النظر من مفاتيح الإدراك بالعقل، وأقواها إثباتا[١]. ولا أرى ضرورة لإعادة سبب الجمع بين الإشارات المذكورة في السورة، وبيان تكاملها في خدمة مقصدها[٢]، لكن يمكن أن يضاف إلى ما سبق، أن لرفع السماء تعلقا بالإشارات الأخرى، فالسماء المرفوعة بالنسبة لها: هي كالإبل بالنسبة للحيوان، وكالجبال بالنسبة للأرض المسطحة.

"ولأن أول ما يلفت النظر إلى الإبل هو: قاماتها العالية ورقابها المرفوعة، فقد ناسب بعد ذلك أن يلفت النظر إلى السماء وعلوها الشاهق الذي لا حدود له، وكذلك ناسب أيضا أن يلفتوا إلى الجبال، وقد مدت رقابها فوق الأرض كأنها رقاب الإبل، أو أسنمتها..."[٣].

وقد تبين أن لهذه الإشارة تعلقا بموضوع الدعوة من جهة، وبصفة الداعي من جهة أخرى، فلما تقرر أن موضوع الدعوة في السورة هو: موضوع البعث، فإنه بهذا السياق يتكامل مع ما ذكر في سورة النازعات. لكن ما الفرق بين رفع سمك السماء، ورفع السماء؟

وجوابا عن هذا السؤال، فقد ألمح ابن عاشور إلى أن المقصود من رفع السمك: هو الارتفاع، سواء اتصل المرفوع بالأرض أو لم يتصل[٤]، وبهذا يظهر أن المقصود من رفع السماء في هذه الآية، هو ارتفاعها مقارنة بالأرض.

وأما تعلق هذه الإشارة بجهة الداعي، فقد تبين لي أن كل واحدة من الإشارات تحتوي على صفات تشابه صفات الداعي، ومن أعظم صفات السماء: السمو والارتفاع، وهذه صفة الداعي، فهو سام بعقله وروحه وأخلاقه. فسمو الداعي بنفسه يعني: الترفع عن كل ما يعيبها[٥] ويجلب لها الذلة والمهانة، سواء بقول أوفعل، كما أن من السمو أن يتنازل الداعي أحياناً وربما ينسحب! لأن بقاءه سيخدش قيمته مع من لا يقدرون القيم.

---

(١) دعسان، **التكثيف البلاغي**، ص٩١.
(٢) صفحة: ٤٩.
(٣) الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج١٦، ص ١٥٤٣.
(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٨٥.
(٥) الرحيلي، عبد الله، **الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها**، ط١، ١م، مطبعة سفير، ص١٧٢.

ثم إن السمو: يعني الترفع عن الخوض في التفاهات[١]، أومجالسة السفهاء، وبهذا فإن السمو: هو صفة رفيعة، تنافي صفات الهبوط والسقوط، والانحطاط والسفول، وهذه الصفات أبعد ما يكون عنها الداعي.

والعلو في السماء مشعر بعلو الهمة لدى الداعي، وهي من أعظم السجايا؛ لأن الهمّة هي الباعث على العمل، ومن الناس من تكون همته عالية علو السماء، ومنهم من تكون همته قاصرة دنيئة سافلة، تهبط به إلى أسوأ الدرجات[٢]. فهمة الداعي متولدة من همّه، الذي لا بد وأن يبني لديه المهمّة الفاعلة المؤثرة.

وبهذا فإنه تبرز لي الدقة القرآنية في اختيار اللفظ الدال على الإشارة، إذ إن لفظ البناء أو الرجع في السماء، لا يخدم موضوع الدعوة كما تخدمه هذه الإشارة، ويتبين أن الإشارة جاءت لتبني مقصد واجب الدعوة والعمل، ولتتكامل مع الإشارات الأخرى في السورة، لبيان صفات الداعي، والله تعالى أعلم.

وقد تبين لي بعد دراسة هذا المبحث، أن الجزء الثلاثين قد ذكر مجموعة حالات للسماء: وهي بناء السماء وبروجها ورجعها ورفعها. فبناء السماء: دالّ على قدرة الله ﷻ في إيجادها. وبروج السماء: دالّ على النظام والدقة في خلقها، ورجع السماء: دالّ على فوائدها. ورفعها: دالّ على عظمتها واتساعها.

وقد أكمل الجزء الحديث عن هذه الإشارة ببيان نهايتها وفنائها، فقد ذكر تفتحها وتفطرها وانشقاقها[٣]، وبهذا يظهر لي التكامل في حديث القرآن الكريم حول هذه الإشارة في الجزء.

ويشار هنا إلى أن الجزء الثلاثين قد اشتمل على أربع سور كل منها افتتحت بذكر السماء، وهي: سورتا البروج والطارق، وسورتا الانفطار والانشقاق. وقد تبين لي أن السور الأربعة تتحدث عن قوة الله وقدرته، ولذلك اختار القسم بالسماء؛ لأنها موطن العظمة في البناء والتكوين، واختار القسم بالبروج لضخامتها، واختار القسم بالطارق: الذي هو نجم ثاقب؛ لقوته، إذ لا يثقب الثاقب إلا بقوة. ومن مظاهر القوة: القدرة على إفناء هذا الخلق العظيم، الذي هو أعظم من خلق الناس، فذكر انفطار السماء وانشقاقها. وبهذا تتبين العلاقة بين السور الأربعة المشتملة في بداياتها على ذكر السماء.

---

(١) ينظر ما قاله الرافعي، مصطفى صادق (ت: ١٣٥٦هـ)، **السمو الروحي الأعظم**، ط١، ١م، (تحقيق: وائل ابن حافظ)، دار البشير، ص٣١.

(٢) الشريف، محمد حسن، **الهمة طريق إلى القمة**، ط٣، ١م، دار الأندلس، السعودية، ١٩٩٥ م، ص١٣.

(٣) ينظر سور: [النبأ: ١٩]، [التكوير: ١١]، [الانفطار: ١]، [الانشقاق: ١].

كما تبين من خلال دراسة المبحث، أن جميع الإشارات المتعلقة بالسماء في الجزء، هي في حقيقتها عائدة إلى بناء السموات الذي ذكر في أول موضع في الجزء، ولذلك فإن أول موضع لهذه الإشارة يعدّ شاملا لجميع المواضع الأخرى، وبذلك تظهر العلاقة بين جميع الإشارات.

وقد تم في الجزء تقديم الإشارة المتعلقة بالسماء على الأرض في جميع المواضع، إلا موضعا واحدا، في سورة النبأ، ويشار إلى أن الإشارة لم ترد في السورة صراحة بل وردت بوصفها. ولهذا مجموعة حكم: فالأرض أكثر لصوقا بالإنسان، وهي التي منها خلق وعليها سكن، وفيها يموت ويدفن ومنها يبعث، وهي أكثر التصاقا بموضوع البعث، وسورة النبأ ذكرت هذه الإشارة للتدليل على البعث، من باب تعداد النعم على الإنسان. لكن السماء أشد تخويفا، وأكثر إبداعا، فلما كان ذلك كذلك: قدمت الأرض، وأخرت السماء بوصفها.

ثم توصلت إلى التكامل بين مقاصد السور التي وردت فيها الإشارات، فإنه لما قامت سورة النبأ على إثبات البعث بالأدلة والبراهين؛ لأنه الدافع للعمل، ذكّرت ببناء السماوات، ثم جاءت سورة النازعات لتهز النفوس المنكرة للبعث؛ لتخوف من ترك العمل، فذكرت ببناء السماء ورفعها، فأتم بذلك مقصدُ سورة النازعات مقصدَ سورة النبأ.

ولما أرادت سورة البروج بيان ثبات الحق في وجه الباطل، وتعالي المؤمنين العاملين بالحق؛ لاستمدادهم القوة من الله ﷻ، جاء القسم في أولها بالسماء ذات البروج، ثم جاءت بعدها سورة الطارق؛ لتؤكد على قدرة الله وقوته في رعاية ورقابة الناس وحفظ أعمالهم.

ولما أرادت سورة الغاشية بيان واجب الأمة في الدعوة والعمل، والإلماح إلى تكامل شخصية الداعي، وتوفر صفات الكمال البشري فيه، ذكّرت بمجموعة من الإشارات العلمية؛ لخدمة مقصد ذلك التكامل، وكان من ضمنها التذكير برفع السماء، ثم جاءت سورة الشمس، فأتمت ذلكم المقصد، ببيان التكمال الوظيفي بين الآيات الكونية، والذي يدل تكاملها على تكامل التكاليف الشرعية التي يدعو إليها الداعي، فمن التزمها وزكى نفسه بها فنتيجته الفلاح، ومن دساها وأعرض عنها، فنتيجته الخيبة والخسران، وظهور هذه النتائج لا يكون إلا بعد البعث. وبذلك تتكشف حقيقة التكامل بين الإشارات العلمية المتعلقة بالسماء في الجزء، وحقيقة التكامل بين مقاصد تلك السور التي وردت فيها الإشارة.

المبحث الثاني: الشمس

ذكر أهل اللغة أن الشمس: هي العين الموجودة في السماء، وأصلها من (شَـمَسَ)، ويـدل على تلوّن وقلة استقرار، وسميت الشمس شمسا؛ لأنها غير مستقرة، فهي دائمـة التحـرك[١]. وتعرف على أنها: النيّر الأعظم، وهي كتلة ملتهبة معلقة في الفضاء، وبينها وبين الأرض مسافة تقدر بـمائة وخمسين مليون كيلومتر[٢]. كما أن الشمس: هي النجم الرئيس الذي تـدور حولـه الأرض وسائر كواكب المجموعة الشمسية[٣]، وهي مصدر الطاقة (الضوء والحرارة) الـرئيس للأرض؛ لقيام الحياة فيها[٤]. ويظهر أن في الشمس دلالات الوضوح والبيان والكشف.

وقد ذكرت الشمس في القرآن الكريم صراحة: ثلاثا وثلاثين مرة، وبوصـفها مـرتين[٥]. وبعد أن استقرأتُ مواضع ورودها وجدت أنها شملت الحديث عن تحركاتها وانتقالاتها، وتوهجها والتهابها، ثم عظمتها، وأخيرا نهايتها[٦]. وسميت سورة في الجزء باسمها، ولم يقسم الله بالشمس إلا في هذه السورة، وقد ذكرت في الجزء ثلاث مرات، وأما ما يدخل ضـمن الدراسـة ففـي موضعين[٧]:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ﴾ [النبأ].

الثاني: في قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ ﴾ [الشمس].

---

(١) الفراهيدي، **العين**،ج٦، ص٢٣٠، الأزهري، **تهذيب اللغة**،ج١١، ص٢٠٦، ابن فارس، **معجـم المقـاييس**، ج٣، ص ١٦٥.

(٢) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٢٠١، و٢٧٩، و٤٣١، وينظر: الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج ١، ص٢٠٩-٢١٥، الغريري، **آيات الكون وأسرار الطبيعة**، ص ٥٤.

(٣) وقريبا من هذا كان تعريف ابن سينا، الحسين بن عبد الله (ت: ٤٢٨هـ)، **تـسع رسـائل فـي الحكمـة والطبيعيات**، ط١، ١م، مطبعة هندية، مصر،١٩٠٨ م، ص ٩٠، وعرفها بهذا البعلبكـي، **موسـوعة المـورد العربية**، ج٢، ص. ٦٩٢، وينظر: **المعجم الوسيط**،ج١، ص ٤٩٤.

(٤) الخطيب، **الموسوعة العلمية المعاصرة**، ص ٢٤١، محمدين والفراء، **المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئـة**، ص٧٨، وينظر: عماشة، أشرف أحمد (٢٠٠٣م)، **الكون والرؤية العلمية في القرآن الكريم**، رسالة ماجـستير، غير منشورة، جامعة المنوفية، مصر، ص٩٦.

(٥) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص ٣٨٧.

(٦) ينظر في تحركاتها سور: [إبراهيم آية:٣٣]، [لقمان آية:٢٩]، [يس آية:٣٨]، وفي توهجها سـور: [يـونس آية:٥]، [الفرقان آية:٦١]، [نوح آية:١٦]، وعبادتها سور: [الأنعام آية:٧٨]، [النمل آية:٢٤]. ونهايتها: [سـورة القيامة آية:٩]. قال الشهرستاني: وعبدة الشمس يسمون الدينيكيتية، وزعموا أن الشمس ملك من الملائكة، ولهـا نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات السفلية، وهي ملك الفلـك فتـستحق التعظـيم والسجود والتبخير والدعاء. محمد بن عبد الكريم (ت:٥٤٨ هـ)، **الملل والنحل**، (د.ط)،٢م، (تحقيق: محمد سيد كيلاني)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ،ج٢، ص ٢٥٧.

(٧) الموضع الآخر في سورة [التكوير آية:١].

المطلب الأول: السراج الوهاج

لم يجمع القرآن الكريم للشمس بين هاتين الصفتين إلا في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النبأ]، ولا بد لذلك من دلالة، وستتبين من خلال الوقوف على العلاقة.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

بين أهل اللغة أن (السِّرَاج)، من سَرَجَ: وهو أصل يدل على الحُسْن والزينة والجمال، وسمي السراج بهذا؛ لضيائه وحُسنه[١]، وسميت الشمس: سراجا؛ لحسنها وبهائها. والسراج: المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل[٢]. ويتبين هنا أن (السراج): يختص بالضياء والنور.

وقد ورد وصف (سراجا) في القرآن الكريم أربع مرات[٣]، ووجدتُ أن جميع هذه المواضع جاءت وصفا للشمس، إلا في سورة الأحزاب، فقد كانت وصفا لمحمد ﷺ أو القرآن[٤]، ويبدو أنه تشبيه له بالشمس؛ لأن الله ﷻ جلى به – أي النبي ﷺ أو القرآن– ظلمات الضلالة والكفر، كما تُجلي الشمس ظلمة الليل، وأنار به البصائر المظلمة بالجهل والكفر كما أنار بالسراج ظلمات الليل. فمحمد ﷺ والقرآن: سراج، والله ﷻ: نور، ولن يصل الإنسان إلى النور إلا بطريق السراج.

وأما لفظ (الوهاج)، فأصله من الوَهَج، وهو: حَرّ النار والشمس وتوقدهما[٥]، وقد ذكر الرازي الاختلاف في معنى الوهاج: فقيل: هو متعلق بشدة الحرارة، وقيل: متعلق بشدة الضوء[٦]. وكلا الصفتين موجودتان في الشمس. ولم ترد اللفظة في القرآن الكريم إلا في هذه السورة[٧]، فذكر القرآن هاتين الصفتين للشمس، هو جمع لها بين صفتي الضوء والحرارة.

---

(١) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٣، ص١٢٢، وينظر قريبا من هذا المعنى: الأزهري، **تهذيب اللغة**،ج١٠، ص٣٠٨، الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، ص١٩٣.

(٢) الفراهيدي، **العين**، ج٦، ص٥٣، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١٠، ص٣٠٨، وابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٢٩٧.

(٣) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص ٣٤٨.

(٤) ذكر الخلاف الواحدي في **التفسير البسيط**، ج١٨، ص٢٦٦. والسراج حقيقته: المصباح الذي يستضاء به وهو: إناء يجعل فيه زيت وفي الزيت خرقة مفتولة تسمى الذبالة تشعل بنار فتضيء ما دام فيها بلل الزيت. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص٢٢.

(٥) الفراهيدي، **العين**، ج٤، ص٦٦، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٦، ص ٨٨، الجوهري، **الصحاح**، ج١، ص٣٤٨، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٦، ص١١٣، **المعجم الوسيط** ،ج٢، ص١٠٥٩.

(٦) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٠.

(٧) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٧٦٨.

والمتأمل في أقوال **المفسرين المتقدمين** يجدها تدور حول معنى: أن الله ﷻ جعل للمخلوقات شمسا وقادة مضيئة متلألأة[١]. أما **المتأخرون:** فيدور كلامهم حول مكان الشمس، وبُعدها عن الأرض وطاقتها، ومساحتها، وفائدتها، وأن جميع ما يحدث في الأرض من أنشطة كله يعتمد عليها[٢].

ويتبين لي أن أقوال المتأخرين لا تعارض أقوال المتقدمين، وإنما هي مكملة لها، وقد ذكر البوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الفرقان]، أن هذه الآية تصف كلًا من الشمس والقمر بمعنيين لهما سطح قريب يفهمه الناس كلهم، ولهما عمق يصل إليه المتأملون والعلماء، ولهما جذور بعيدة يفهمها الباحثون المتخصصون، والآية تحمل بصياغتها هذه الدرجات الثلاث للمعنى، فتعطي كلًا حسب طاقته وفهمه، دون أن يكون أيّ تعارض بينهم[٣]. وفي هذا تأكيد لما توصلت إليه من عدم التعارض.

ثانيا: علاقة مقصد سورة النبأ بالإشارة

تسوق الآيات الكريمة من سورة النبأ مجموعة من الإشارات العلمية؛ للتدليل على موضوع البعث والقيامة، وثامن هذه الإشارات ما كان متعلقا بالشمس، في قوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ﴾ [النبأ]، ولما ذكر الله ﷻ : بناء السبع الشداد، ذكر بعض ما فيها من عجائب خلقها، وأعظمها شأنا: الشمس، فهي من بناء السماء، والتعبير عنها بالسراج، مناسب للتعبير عن السماوات بالبناء، "فالدنيا بيت وسراجه الشمس بالنهار، والقمر بالليل"[٤].

ثم إن التعبير عن الشمس بالسراج الوهاج: هو تذكير لما تؤديه الشمس من وظيفة في حياة المخلوقات، ولا يمكن أن تؤدى هذه الوظيفة إلا بعد مجموعة من الممهدات في الأرض، والبناء المحكم الدقيق في السماء، ولذلك اقتصر على ذكر السراج الوهاج؛ لأن الآيات جاءت في سياق الحديث عن تذكير الإنسان بمظاهر التيسير والتمهيد والبناء في الكون.

---

(١) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص١٥٢، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص١٨٤، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٠٠، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٦٨٦، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٢٤، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٠، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣٠٣.

(٢) علي، **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ص٩٣، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص ٢٠١، و٢٧٩، و٤٣١، وينظر: الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج ١، ص٢٠٩-٢١٥.

(٣) البوطي، **من روائع القرآن**، ص١١٥.

(٤) ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج ٧، ص٢١٧.

وقد جاءت الكناية بهاتين الصفتين للاستدلال بالصفة على الموصوف، وهي بذلك أدعى للتفكير وإدراك المقصود. وأرى أنّ ذِكر السراج الوهاج بعد بناء السماء: هو من باب ذكر المخلوقات العظيمة التي قدر المبدع سبحانه على إيجادها، وموطن هذا النجم العظيم: هو تلك السماء الشديدة، فيقال: أليس من أوجد هذه الكتلة الهائلة بضوئها وحرارتها، ثم هو قادر سبحانه على تكويرها وإفنائها، أليس ذلك بقادر على بعثكم من بعد موتكم؟

وما دام أن جميع أنشطة المخلوقات على سطح الأرض تعتمد على طاقة الشمس، فهي بالنسبة لسكان الأرض أبهى وأهم نجوم الكون. وذكر المتأخرون أن كل الكواكب تتحرك في مداراتها تحت تأثير جاذبيتها، ومن أشعتها تنبعث الطاقة التي هي مصدر كل حركة وحياة على سطح الأرض(١).

كما ذكروا أن الله ﷻ جعل في الشمس سر الحياة، فالحرارة والضوء يطردان الأمراض وينعشان كل حي، ولا أدل على هذا مما يشاهد من فتك الأمراض بمن يكون بمنأى عن ضوئها وحرارتها، والجراثيم لا تتوالد إلا حيث يحتجب عنهما السكان، ويبتعدان عن المكان(٢)، فذهاب الشمس بضوئها وحرارتها: هو موت للحركة والأنشطة في الحياة. ولذا كان من أهم أمارات الساعة اختلال نظام الشمس، وطلوعها من مغربها.

ثم إن التعبير عن الشمس بالسراج الوهاج، هو وصف غاية في الدقة؛ لأن الشمس: مصدر الضوء والحرارة، بخلاف القمر الذي يعكس ضوءها(٣)، ولذلك وصف الله ﷻ القمر بأنه منير. وبهذا تتبين الدقة القرآنية في اختيار اللفظ الدال على الإشارة العلمية.

وقد أسهمت صيغة (سراجا وهاجا)، في تحقيق صفة التوقد والحرارة للشمس مع صفة الضياء، وبذلك فقد جعل المعنى المكنى عنه مختفيا خلف صورة لا يكاد يوصل إليها إلا من خلال هذه الصفات، وهو بحد ذاته أبلغ وأجمل من التعبير المباشر(٤)، وبذلك فقد أسهم هذان الوصفان اللذان كنيا بهما عن الشمس، في خدمة مقصد البعث في سورة النبأ.

ولا أغفل هنا عما تحدثه الشمس من ظل على الأرض، فهو مشعر بقدرة الله ﷻ على البعث، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ

---

(١) جودة، حسنين، وعيانة، فتحي محمد، **قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية**، ط١، ١م، دار المعرفة الجامعية، (د.ت)، ص٢١.

(٢) **تفسير المراغي**، ج٣٠، ص٩. وينظر ما قاله المفسرون في آية رقم: ١٧، من سورة الكهف.

(٣) ينظر: متولي، **الموسوعة الذهبية للإعجاز العلمي**، ص ٥٧، المصلح ورفاقه، **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، ص١٧٧.

(٤) دعسان، **التكثيف البلاغي**، ص ٨٣.

قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الفرقان]، فصورة الظل المرسومة من قبل الشمس في هذه الآيات، تظهر يد الله ﷻ التي تمتد عليه فتبسطه ثم تقبضه كما تقبض الروح.

"وكأن القارئ يحسّ أن الصورة ترسم ظلّه المتحرك على الأرض لفترة محدودة، ثم يغيب ويرجع إلى مولاه أيضا، فالبداية كانت من الله ﷻ، والعودة كذلك إليه، فالحركة إذا واحدة في الظل المنظور، كما هي في الإنسان، ويد الله متجلّية في تصميم هذا الكون كما هي ظاهرة في تكوين الإنسان"(١). ولما كان ورود هذه الإشارة في سورة النبأ، التي قصدت التدليل على البعث؛ لأنه الدافع للعمل، فقد ذُكرت الإشارة هنا بوصفها؛ للدلالة على الوظيفة الكونية لها، وفيه تنبيه للمؤمن العامل على وظيفته الواجب القيام بها. وبالنظر فيما سبق، فإنه يتبين لي أن ورود هذه الإشارة بأوصافها في سورة النبأ، كان له الأثر البالغ في تحقيق مقصودها، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: القسم بالشمس

لم يأت القسم بالشمس صراحة في القرآن الكريم إلا في سورة الشمس، في قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ ﴾، وقد كانت الشمس أول المقسم به ضمن مجموعة من الإشارات العلمية، وهذا تأكيد على أهميتها الكونية.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

إن مجموع **أقوال المفسرين المتقدمين** في هذه الإشارة واضحة وضوح الشمس في ضحاها، فقد ذكروا أن هذا قسم بالشمس المشاهدة المعروفة، وإنما كان الخلاف في معنى: (وضحاها)(٢). وأما **المتأخرون:** فحديثهم عن الإشارة: هو ذاته ما طرح في الإشارة السابقة، فيذكرون مكان الشمس، وبعدها عن الأرض وطاقتها، ومساحتها، وأن جميع ما يحدث في الأرض من أنشطة فإنه يعتمد على الشمس(٣)، وبهذا فأقوال المتأخرين متممة لماذكره المتقدمون.

---

(١) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٢١٨، بتصرف.

(٢) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٤٥١، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٨١، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٥٨، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٦٢، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص٤٨٧، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٧٣، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٤١٠.

(٣) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٢٠١، و٢٧٩، و٤٣١، وينظر: الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج ١، ص٢٠٩-٢١٥، منصور، **الكون كتاب الله المنظور**، نجم الشمس، ج١٣، ص٤-١٣ .

ثانيا: علاقة مقصد سورة الشمس بالإشارة

تأتي سورة الشمس لترسم صورة متناسقة لإشارات متكاملة، وهي توحي بخضوعها وانقيادها لله ﷻ؛ لتطبع في خيال المسلم مجموعة مقاصد عظمى من ورائها. وبناء عليه، فلا بد من "توجيه النظر إلى الآيات الكونية والمشاهد الطبيعية، للتوصل منها إلى خالقها، ثم لا بد أيضا من التأمل فيها تأملا يبين مبلغ نعمتها، وأنها غير جديرة بالعبادة، وإنما الجدير بالعبادة: هو خالقها"(١). ولقد كانت جميع هذه المعاني من أسباب ترجيح مقصد السورة، وهو: أن يعلم الإنسان كما أن أوامر الله ﷻ في الكون نافذة، وتجد فيه الدقة والانتظام، فكذلك أوامره الشرعية التكليفية؛ ليكون حافزا للمؤمن للقيام بها.

ويُلحظ في سورة الشمس، التي أوردت هذه الإشارة عدة أمور:

أولها: أن القرآن الكريم لم يحشد أقساما في أي سورة من سوره كما حشد في هذه السورة.

ثانيها: تعتبر سورة الشمس من أكثر السور في الجزء الثلاثين ذكرا للإشارات العلمية.

ثالثها: جملة القسم في بداية السورة، أدرجت على شكل ثنائيات في الكون والنفس، فجمعت بين الشمس والقمر، والنهار والليل، والسماء والأرض، وفجور النفس وتقواها، ثم التزكية والتدسية. ويلمح هنا أن السورة ابتدأت بالقسم بالعالم العلوي، ثم بالعالم السفلي وأخيرا بالنفس. ويلفت القسمُ النظرَ إلى وظيفة هذه الإشارات العلمية: فالقسم بالشمس كان القصد منه: وظيفتها، وبالضحى: والقصد وظيفته، والقمر كذلك ...إلخ.

وما دام أن لكل من هذه الظواهر الكونية وظيفة، فإنه يظهر كذلك أن هذه الوظائف فيها تكامل وتوافق، فالقمر يكمل وظيفة الشمس ويكسب الضوء منها، والنهار له وظيفة والليل مكمل لهذه الوظيفة، والسماء لها وظيفة والأرض تكملها، فالكون يجري في تكامل وظيفي بديع. ومعظم هذه المظاهر تعود إلى الشمس، فبشروق الشمس يكون النهار ويأتي الضحى، وبغروبها يكون الليل ويطلع القمر، ولهذه العلاقات الواضحة ناسب أن تسمى السورة: بسورة الشمس.

كما يظهر أن هذه الإشارات فيها جانب نوراني مشرق، وجانب مظلم(٢): **أما الجانب النوراني:** فالشمس: هي منبع النور، والنهار: هو موقع هذا النور، ومرتبط بالشمس، وأعظم سلطان النهار: الضحى. والسماء: هي موطن الشمس ومسكن الملأ الأعلى النوراني، والنفس إذا زكت: هي نفس نورانية؛ لأنها تلبست بالنور من بعد أخراج الله لها من الظلمات.

---

(١) البغا، مصطفى ديب، ومستو، محيى الدين، **الواضح في علوم القرآن**، ط٢، ١م، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٩٩٨م، ص ٢٠٨.

(٢) أشار لهذا المزيودي، محمد مبارك في **الإعجاز البياني في سورة الشمس**، كتاب إلكتروني، ص٢٢.

وأما الجانب المظلم: فالقمر: هو جرم مظلم لا يشع من نفسه[١]، والليل: هو موطن القمر، وفيه تتجلى صورة القمر. والأرض: كوكب مظلم، وهو مكان الدنو بعكس السماء، والنفس إذا تلبست بالفجور: هي نفس مظلمة، وتدسيتها: فيه معنى سوقها للكفر والشرك والظلمة. ولا بد من علاقة أيضا بين اختيار الله ﷻ القسم بالشمس، وبين مقصد السورة.

إن النور ﷻ جعل الشمس مادة للحياة، من حيث ضوؤها وحرارتها، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ﴾ [النبأ]، ثم جعل فناءها دليلا على فناء الحياة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ ﴾ [التكوير]، كما أن طاقة الشمس مسخّرة من أجل ضبط حركة الحياة على الأرض، ودون هذه الطاقة لا يمكن العيش على الأرض، كما أن حركات الكواكب حول الشمس يحكمها توازن دقيق، من حيث جريها فيه، وحفظها من الانطلاق إلى فسحة الكون، وذلك كله بتقدير الخالق[٢].

ولا يخفى هنا أن الإنسان يستطيع بالشمس أن يدرك الزمن وتحديد الأوقات والأحداث، فبدوران الأرض أمام الشمس، يتبادل الليل والنهار ويتحدد يوم الأرض. ويظهر لي من هذا: أن الحسيب ﷻ حدد للشمس وظيفتها في الكون، وحدد لها مسارها وطاقتها واتزانها الدقيق داخل كيانها، ولا يمكن للشمس أن تسير إلا وفق هذا النظام الذي هيأه الله ﷻ لها.

ومما سبق فإنه تتأكد لي حقيقتان:

الأولى: العلاقة الوثيقة بين السورتين اللتين ذكرت فيهما هذه الإشارة.

الثانية: العلاقة التكاملية في الوظيفة بين الشمس وغيرها من الأجرام في الكون، وهذه الحقيقة من شأنها أن تؤكد مبدأ التكامل بين الإشارات التي ذكرت في السورة، والتي من شأنها أيضا أن تكون ملهما للإنسان لإدراك التكاملية في التكاليف والقيام بها. ولما أراد الله ﷻ أن يبين هذه الحقيقة، أتى بها بصورة واضحة وضوح الشمس.

وقد أشار ابن عاشور إلى العلاقة بين الإشارة ومقصد السورة، فبين أنه ابتدئ بالشمس لمناسبة المقام، إيماء للتنويه بالإسلام، لأن أحكامه وتكاليفه كنور الشمس لا يترك للضلال مسلكا. ثم ذكر أن فيه إشارة إلى الوعد بانتشار الإسلام بمنهجه ومبادئه، كانتشار نور الشمس في الأفق. ثم ذكر النهار والليل معه؛ لأنهما مَثَل لوضوح الإسلام بعد ظلام الشرك[٣].

---

(١) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ص ٤٥٤، وينظر: يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، ص ٣٠٧، زايد، **الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن**، ص٥٣.

(٢) النجار، **السماء في القرآن الكريم**،ج١، ص٤٤٤، ص٥٨٣.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٣٦٧.

ومن جهة أخرى فإن القسم بداية بالشمس: مشعر بمولد الإنسان، فهو حينها أشبه بالشمس في إشراقه ووضاءته، وإفلاح نفسه، كما أنه "يكون في أحسن تقويم، كما خلقه الخالق ﷻ، قبل أن تنعقد في سمائه سحب الضلالات، وتهبّ عليه أعاصير الحياة محملة بالغثاء والتراب"(١)، ولهذا فإن قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس]، فيه إيحاء بأن الإنسان "نسخة كاملة من كتاب الكون، وبإمكانه أن يعتبر في نفسه بما يشاهده في الآفاق"(٢).

وقد أرشدني الدكتور سليمان–حفظه الله– إلى أن الشمس هنا: تعطي دلالة الوضوح في العمل، وعدم وضوح العمل يجعله مظلما تغشاه عتمة الليل، وفي هذا إشارة إلى أهمية وضوح الفكرة والمنهج، ليتضح العمل. فإذا تقرر ما سبق فإنه تتأكد حقيقة أن الإشارة العلمية المتعلقة بالشمس في سورة الشمس قد جاءت في موضعها؛ مؤكدة على دقة النظام الكوني في تكامل مظاهره وآياته، والتي تعد ملهما للإنسان ليدرك حقيقة تكامل التكاليف، للقيام بما أوجب الله عليه من العمل، والله تعالى أعلم.

كما يتبين لي بعد دراسة علاقة الإشارة العلمية المتعلقة بالشمس، بمقاصد السور الواردة فيها في الجزء الثلاثين، أن هذه الإشارة قد جاءت في موضعين من الجزء، الأول: في سورة النبأ، وكان مقصدها: التدليل على البعث والقيامة، فالشمس تعتبر مادة للحياة على الأرض، وفناؤها فناء للحياة.

وأما الموضع الثاني: ففي سورة الشمس، ومجيؤها هناك للدلالة على تكاملها مع غيرها في الوظيفة. ولما تبين أن سورة النبأ قصدت التدليل على البعث؛ لأنه الدافع للعمل، فقد ذكرت الشمس؛ لأنها دالة على الوضوح، فهي مشعرة بوضوح العمل، واقتصرت السورة على وصف الشمس؛ للتأكيد على الوظيفة الكونية، لأن هذا موحٍ بأن للداعي وظيفة واضحة وبينة. ثم جاءت سورة الشمس؛ لتذكُر الشمس صراحة، وتذكر بعدها الأعيان والمظاهر الكونية التي تستمد طاقتها منها، لتشعر الداعي أنه يجب عليه أن يقوم ويعمل؛ لأن الجميع يستمد قوته منه.

ويتراءى لي مما سبق أن الناس يمدحون ضوء والقمر، ولا يذكرون الشمس، مع أنها هي الأصل، وهي التي تعطي كل ما لديها، ومع ذلك فالمدح لغيرها، فيلمح من هذا: أن المسلم الداعي يجب أن يؤدي كل ما لديه، حتى لو لم يجد مدحا.

---

(١) الخطيب **التفسير القرآني للقرآن**، ج١٦، ص١٥٨٤.
(٢) الصادقي، **الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة**، ج٣٠، ص٣٣٢.

ثم أن في هذا الجزء سورتين ابتدأتا بذكر الشمس، وهما: سورتا التكوير والشمس، والعلاقة بينهما، أن سورة التكوير، ذكرت صور الانهيار الكوني، وبدأت بأعظم مظاهر ذلك الانهيار: وهو اختلال نظام الشمس. وسورة الشمس، ذكرت صور البناء الكوني، وأعظم صور ذلك التكامل: الترابط التام بين الشمس وغيرها من الأعيان والظواهر الكونية، والمقسم عليه في كلا السورتين: هي النفس، وبهذا يمكن أن ألحظ العلاقة بين السورتين، والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: القمر

ذكر أهل اللغة أن القمر من (قَمَرَ)، وهو أصل يدل على بَيَاض في شيء، من ذلك قمر السماء، سُمّي بذلك لبياضه، ومن معانيه: تحيّر البصر بسبب بياض الثلج[١]. وذكر أهل الفلك أن القمر: جرم سماوي تابع للأرض، ولا يضيء بذاته، وإنما تضيء الشمس نصفه المقابل، فيعكسها، أقول: ولعله لما عكس ضوء الشمس بشدة، حار البصر في هذا الضوء فظنه من ذات القمر. وهنا يتراءى لي أن في القمر دلالات البياض والتبعية والتقلب.

وكتلة القمر تساوي جزءا من ثمانين من كتلة الأرض، وقطره بالنسبة للأرض يعادل سبعا وعشرين بالمائة من قطر الأرض. ويبدو القمر من الأرض على أحوال شتى، كما أنه جرم خال من الهواء والسحب والأمطار، والحرارة على سطحه محرقة نهارا، وتصل في الليل إلى مائة وخمسين تحت الصفر، والقمر قاحل أجرد، لا نبت فيه ولا زرع، ولا يحيط به غلاف جوي، وينعدم فيه وجود الماء السطحي اللازم للحياة[٢].

وقد ورد ذكر القمر في القرآن الكريم سبعا وعشرين مرة، ومرة واحدة باسم الأهلة[٣]، فيكتمل العدد ثمانية وعشرين مرة، وهي أيام رؤية القمر، وعدد منازله اليومية[٤]، وإن كثرة وروده مع الشمس في القرآن الكريم، يؤكد على نظام الثنائية بينهما، وهو تأكيد على عظمتهما وأهميتهما في الكون.

---

(١) الجوهري، **الصحاح**، ج٢، ص٧٩٨، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٥، ص٢٠، الرازي، **مختار الصحاح**، ص٢٦٠.

(٢) ينظر: البعلبكي، منير، **موسوعة المورد العربية**، ج٢، ص ٦٢٦، الخطيب، ورفيقه، **الموسوعة العلمية المعاصرة**، ص ٤٠١، الفانا، مصطفى حمود، **موسوعة الفلك والكون والبيئة والتلوث، ط١، ١م**، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٤م، ص ٩٥-٩٨، جودة وأبو عيان، **قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية**، ص٤٣، عماشة، **الكون والرؤية العلمية في القرآن الكريم**، ص١١٠، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص ٥١٥، الكيرنوري، خليل، **موسوعة الأفلاك والأوقات**، ط٣، ١م، المطبعة اليوسفية، الهند، ٢٠١٠م، ص٥٣.

(٣) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٥٥٣.

(٤) النجار، **السماء في القرآن الكريم**،ج١، ص٥١٥.

وصورة القمر أكثر إثارة وجاذبية للإنسان منذ القدم، وقد أثار بحركته المتغيّرة، خيال الإنسان، وراح يسأل عن سرّ هذا التغير في شكله، فيبدو هلالا، فبدرا، ثم يعود متدرّجا كما بدأ، فلما سأل الصحابةُ النبيَّ ﷺ عن ذلك: أجابهم القرآن الكريم بأن القمر بهذه المراحل، "يرسم صورة زمانية ضرورية لحياة الإنسان؛ لتدبير شؤونه الدينية والدنيوية في الحياة"(١).

وهناك سورة في القرآن الكريم، سميت بسورة القمر، وهي مكية عند الجمهور(٢)، وقد وجدت أن نزولها كان لمعالجة موقف الجاحدين المعاندين، وتحذيرهم من عقاب الله ﷻ، كما حصل للأمم السابقة. وورود القمر في سورة الانشقاق، فيه إشارة لانشقاق القمر كما في سورة القمر، قال الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر].

وأما في الجزء الثلاثين، فقد ذكر القمر مرتين فقط، في سورتين ومقصدين مختلفين:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ [الانشقاق].

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس]. وسأتناول هاتين الإشارتين ضمن مطلبين.

المطلب الأول: القسم باتساق القمر

أول ورود للإشارة المتعلقة بالقمر في الجزء الثلاثين: هي هذه الإشارة، وموضعها في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ [الانشقاق]، وهي آخر إشارة في سورة الانشقاق، ولم ترد بهذا اللفظ في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع.

أولا: مقصد سورة الانشقاق

ذكر المفسرون أن السورة مكية بلا خلاف(٣)، وهي من أواخر السور المكية نزولا(٤). ويظهر من أقوال المفسرين في مقصدها، أن بعضهم اقتصر على موضوع الاختلاف الكوني، وآخرون على موضوع الاختلاف البشري، وبعضهم ذكر الموضوعات التي حوتها السورة.

---

(١) إشارة للآية: ١٨٩، من سورة البقرة. ينظر: الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٢١٠.
(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٧، ص١٦٦.
(٣) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٥، ص٤٩١، الألوسي، **روح المعاني**، ج١٥، ص٢٨٦، صديق خان، **فتح البيان**،ج١٥، ص١٤١، وذكر ابن عاشور في **التحرير والتنوير** الاتفاق عليه، ج٣٠، ص٢١٧.
(٤) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٢٦، البرهان الجعبري، **تقريب المأمول في ترتيب النزول**، ص٤، الميداني، **معارج التفكر**، ج١٣، ص٢٦٩.

فقد بين الفيروزأبادي أن مقصود السورة: بيان حال الأرض والسماء، وإخراج الأمـــوات، والاشتغال بالبر، وبيان سهولة الحساب للمطيعين، وبكاء العاصين، والقسم بالقمر، وإطلاع الحق على الإسرار والإعلان، وجزاء المطيعين...[١]. ويظهر أن هذا ذكر لموضوعات السورة.

واقتصر البقاعي على مقصد الاختلاف البشري، وذلك بانقسام الناس إلى أهل ثواب وأهل عقاب[٢]. وهذا بخلاف سيد قطب الذي اقتصر على التغير الكوني[٣]. وأوضح ابن عاشور: بأن السورة بدأت بوصف أشراط الساعة وحلول يوم البعث، واختلاف أحوال الخلق يومئذ بين أهـــل نعيم وأهل شقاء[٤]. ويتبين لي أن السورة تسير بمقطعين رئيسين، يشكلان مقصدها العام:

الأول: ذكر الاختلاف الكوني عند القيامة .

الثاني: ذكر اختلاف سير الإنسان في الحياة.

وألحظ في هذه السورة تكرار قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ [الانشقاق] مرتين، وبـــذلك فإنني أجد أنه حول دلالة هذه الآية يقوم مقصدها، وبهذا يتضح أن السورة تدور حول مقـــصد: **التغير والاختلاف الكوني والبشري؛ لأن الجميع مستسلم ومنقاد لله** ﷻ. فالكون بسمائه وأرضه سيتبدل ويتغير؛ لأنه منقاد لله ﷻ وكذلك البشر فهم الآن كادحون، وستتغير أحوالهم بعد ذلـــك، ففريق في النعيم وفرق في الجحيم، ويظهر أن تسمية السورة كانت لهذه المعاني والاعتبـــارات. فإذا كانت جميع الأعيان والمظاهر الكونية منقادة ومستسلمة لله ﷻ ، فكذلك هم الناس، وعلـــى هذا فقد أرشدني الدكتور الدقور: أن هذا التسليم والانقياد: هو أحد أكبر الدوافع للعمل.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

يأتي اتّساقُ القمر في اللغة بمعنى: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه، ويكون ذلك ليلـــة ثـــلاث عشرة إلى ست عشرة[٥]، فيكون قد أصبح بدرا، فيتم بذلك نوره. وبنفس هذه المعـــاني اللغويـــة

---

(١) الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**،ج١، ص٥٠٨.

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٢١، ص ٣٣٥، وتبعه: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٣٠، ص١٣٧.

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨٦٤، وذكره أصحاب **المختصر في التفسير**، ص٥٨٩.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٣٠، ص٢١٧، طنطاوي، **الوسيط** ،ج١٥، ص ٣٣١، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**،ج ٩، ص٧٤.

(٥) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٩، ص١٨٥، ابن سيده، **المخصص**، ج٢، ص٣٧٦، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص٣٧٩، الكفوي، **الكليات**، ص٣٩، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص١٠٣٢.

المتقاربة ذكر **المفسرون المتقدمون** معنى الإشارة[١]. أما **المتأخرون:** فبالإضافة لما ذكره المتقدمون عن اكتماله بدرا[٢]، فإنهم يبينون كيفية ذلك وسببه، كما يذكرون في الآية: ما سبّبه اتساق القمر من ظاهرتي المدّ والجزر، واللتان تتأثران بجاذبية القمر وخاصة عندما يتسق، ويتبع هذا مدى تأثير القمر على الإنسان والمخلوقات بعامة[٣].

ويتضح هنا أن هذه الأقوال متممة لأقوال المتقدمين، وليس ثمة تعارض بينها. لكن ذكر بعض المتأخرين أن مجيء قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ في سورة الانشقاق بعد ذكر القمر، دليل على أن المعنى: لتركبن طبقات السماء حتى تصلوا إلى القمر[٤]! وهذا بعيد، إذ لا معنى لاتساق القمر على هذا القول.

ولا بد هنا أيضا من تحديد المقصود بقوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ [الانشقاق]؛ لأنها جملة المقسم عليه، ثم إن هذه الآية: هي مركز ثقل السورة، كما أنها تحتوي على إشارة علمية، ولذا قال عنها ابن عاشور:" نسج نظمها نسجا مجملا؛ لتوفير المعاني التي تذهب إليها أفهام السامعين، فجاءت على أبدع ما ينسج عليه الكلام الذي يرسل إرسال الأمثال من الكلام الجامع البديع النسج الوافر المعنى، ولذلك كثرت تأويلات المفسرين لها"[٥]. ونتيجة لهذا، فإن من جوانب إبراز العلاقة بين مقصد السورة والإشارة، أن يتم تحديد المقصود بهذه الآية.

---

(١) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٣٢١، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢٣٨، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢٢٩، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧٢٨، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٥٨، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ١٠١.

(٢) متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة**، ص ٦٨.

(٣) قال ابن سينا:"فقال:" ويؤمر باستعمال الحجامة لا في أول الشهر؛ لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت أو هاجت. ولا في آخره؛ لأنها تكون قد نقصت. بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة تابعة في تزيدها لزيد النور في جرم القمر، وتزيد...المياه في الأنهار ذوات المد والجزر ". ابن سينا، الحسين بن عبد الله (ت: ٤٢٨هـ)، **القانون في الطب**، ط١، ١م، دار صادر، لبنان، ج١، ص٢١٢، وينظر: العابد، مؤيد محمد صالح، **الظواهر الفيزيائية والجيولوجية في القرآن الكريم**، ط١، ١م، الدار الإسلامية، لبنان، ١٩٩٨م، ص٣٢، عبد الحليم، **الموسوعة العلمية**، ص٣٢، الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج٤، ص٤٩١. وقد ذكر تعلق هذا بنسبة الانتحار، والتوترات والأمراض، ومن ناحية نمو الحيوانات والنباتات.

(٤) التفتازي، مروان وحيد شعبان، **الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث**، ط١، ١م، دار المعرفة، لبنان، ٢٠٠٦ م، ص٢٩٦، عبد الحليم، **الموسوعة العلمية**، ص٣٢. وذكر هذه الشبهة وردها: أحمد محمد الفاضل، في كتابه: **نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم**، ط١، ١م، مركز الناقد الثقافي، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٤٧.

(٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٢٧.

وتجدر الإشارة إلى أن قوله: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ فيه قراءتان: بفتح الباء وضمها[١]. أما على قراءة: (لتركبَنّ): بالفتح، فقيل: هذا مخاطبة للنبي ﷺ بأنه ستتغير به الأحوال من بعد مبعثه إلى وفاته، وقيل: بل المعنى: لتركبَن يا محمد سماء بعد سماء في ليلة المعراج.

ورأى ابن عباس: أن المخاطب الناس جميعا، والمعنى: لتصيرن الأمور حالا بعد حال[٢]، بتغيرها واختلاف الأزمان: من شدة وضيق إلى سعة ورخاء. وقيل: بل المعنى: لتركبَنّ أيها الإنسان في الدنيا حالا بعد حال: من مرض، وصحة، وشباب، وهرم. وروي عن ابن مسعود، أنه جعل التاء عائدة إلى السماء، والمعنى: لتركبَن هذه السماء حالا بعد حال، بحيث تكون وردة كالدهان، ثم كالمهل...، والمعنى: اختلاف هيآتها.

أما من قرأها: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ بالضم: فذكروا أن هذه مخاطبة للناس؛ لأنه ذكر من يؤتى كتابه بيمينه وبشماله، ثم ذكر ركوبهم طبقا عن طبق...، والمعنى: لتركبُن حالا بعد حال، من إحياء وإماتة وبعث، حتى تصيروا إلى الله تعالى[٣].

وأما **المتأخرون** فقد تنوعت أقوالهم أيضا، فبعضهم قال بقول المتقدمين، وآخرون رأوا أن المعنى: تغيير أطوار خلق الإنسان، وقيل: إن في الآية إشارة علمية إلى إمكانية الصعود إلى القمر والكواكب الأخرى[٤]. والذي يترجح أن المعنى: لتتحولن-أفرادا وجماعات-من حال إلى حال، وهذا يعني: أن الأحوال جميعها ستتغير، وتشمل: أحوال الزمان والمكان والأبدان، ويدخل فيه تغير حال الأمة، من ضيق وشدة، إلى سعة وعزة، ثم تغير الحال من موت إلى بعث.

---

(١) أبو بكر النيسابوريّ، أحمد بن الحسين (ت: ٣٨١هـ)، **المبسوط في القراءات العشر**، ط١، ١م، (تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي)، نشر: مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١ م، ص٤٦٦.

(٢) ورفعه ابن عباس إلى النبي ﷺ كما في **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، سورة الانشقاق،ج٤، ص ١٨٨٥، رقم: ٤٦٥٦.

(٣) ينظر مجموع الأقوال في: **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٣١٧-٣٢٦، ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٤٠٣هـ)، **حجة القراءات**، (د.ط)،١م، (تحقيق: سعيد الأفغاني)، دار الرسالة، بيروت، ص٧٥٦-٧٥٧، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٣٨، الكرماني، محمد بن أبي المحاسن (ت: ٥٦٣هـ)، **مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني**، ط١، ١م، (تحقيق: عبد الكريم مصطفى)، دار ابن حزم، لبنان،٢٠٠١م، ص٤٣٢، المحيسن، **الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، ج٣، ص٣٤٤، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٢٩.

(٤) ينظر: النجار، مقال بعنوان: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾، موقع النجار، عتوك، محمد إسماعيل، مقال بعنوان، لتركبن طبقا عن طبق، موقع: **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**(د.ت).

ثالثا: علاقة مقصد سورة الانشقاق بالإشارة

بعد تغير حال النهار بمجيء الليل، والذي به تتغير حال المخلوقات، من حركة وانتشار في النهار لطلب العيش والرزق، إلى تجمع وسكون في الليل، ينظر الإنسان عند ذلك إلى مشهد القمر حال تغيره، فيكون متسقا مكتملا، فيشاهد قرصه بدل قرص الشمس، فيفيض على الأرض نورا وخشوعا، ولذا؛ فكما اجتمعت المخلوقات بالليل، اجتمع القمر وتكامل ضوؤه وانقلبت حاله.

وهذه الإشارات الكونية المتغيرة تنبئ عن تغير حال الإنسان، سواء من ميلاد إلى وفاة ثم إلى بعث، فيرى بذلك أن القادر على تغيير الأعيان العلوية، من حال إلى حال، قادر ﷻ على البعث وإحياء الإنسان بعد مماته. أوبتغير حاله حال حياته، من جهل إلى علم، أو من فقر إلى غنى...إلخ. أو بتغير الحال بعد البعث، من حساب إلى جزاء...إلخ. وبذلك تتأكد لي حقيقة تكامل الإشارات، والذي أدى لترجيح مقصد السورة.

ثم إن القرآن الكريم يحدّث عن أمور متتابعة الوقوع، وذات تسلسل خاص، "فعندما تغيب الشمس يظهر الشفق معلنا بداية حلول الليل الذي تتجه به الكائنات الحية إلى بيوتها وأوكارها، ثمّ يخرج القمر بدرا، فإذا كانت الإشارات المقسم بها ذات أمور متسلسلة، فالطبقات التي يركبها الإنسان متتالية أيضا"[١]، فيبدأ نطفة ثم علقة ثم مضغة...، وكما أن هناك تعاقبا بين كل هذه الإشارات، فكذلك حال الإنسان، يبدأ من صباه ضعيفا ثم إلى شبابه قويا، حتى يعود إلى ضعفه في هرمه، أو يبدأ بالدنيا ثمّ إلى عالم البرزخ، ومنه إلى يوم القيامة، ثم إلى الحساب.

وبتغير حال القمر باكتماله واتساقه، فإن الأرض ومن عليها يتأثرون بهذا التغير، ولا أدل على ذلك من حركتي المد والجزر[٢]، واللتان تؤثران في جميع السوائل على سطح الأرض، سواء على الطبيعة أو أجسام الكائنات الحية، من إنسان وحيوان ونبات، والتغير الأخطر هو في حياة الإنسان، والذي يؤثر فيه على نفسيته فتتأثر بذلك علاقاته، ولذا استحب النبي ﷺ الصيام في هذه الأيام[٣]؛ لأن الصيام فيه جنة من الظلم والتجاوز.

---

(١) السبحاني، **الأقسام في القرآن الكريم**، ص١٤٥، بتصرف بسيط.

(٢) الفانا، **موسوعة الفلك، الكون، البيئة، والتلوث**، ص٩٧، العابد، **الظواهر الفيزيائية والجيولوجية في القرآن الكريم**، ص٣٤، عبد الحليم، **الموسوعة العلمية**، ص٣٢، الغريري، **آيات الكون وأسرار الطبيعة**، ص٧٣.

(٣) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض، ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة). النسائي، أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ)، **سنن النسائي**، ط٥، ٨م، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث)، دار المعرفة، ببيروت، ١٤٢٠هـ، ج٤، ص٥٤٠، برقم٢٤٢١، والحديث: حسنه الألباني، في **سلسلة الأحاديث الصحيحة**،ج٤، ص٩٣، برقم١٥٦٧.

وقد ذكر القمر في هذه السورة دون الشمس؛ لأن الشمس ليس في حالها تغير، فهي منذ طلوعها إلى مغيبها طوال الشهر على هيئة واحدة، بخلاف القمر، الذي يبدو هلالا في أول الشهر، ثم يكبر حتى يصير بدرا، ثم يبدأ بالتناقص حتى يرجع هلالا.

ولما كانت حقيقة انقياد الكون لله ﷻ محفزة للعمل، فإن اكتمال القمر بضوئه، بعد اجتماع الليل بظلمته، مشعر بأنه إذا اجتمعت على الأمة الظلمات والصعوبات والمكدرات، فإن الداعي يكون قمرا متسقا منيرا في خضمّ تلك الظلمات، فهو شعلة يستوقد منها الناس إذا داهمتهم الظلمات والخطوب[١]. ويتضح مما سبق أن ذكر الإشارة المتعلقة بالقمر في سورة الانشقاق كان قد أسهم بشكل بيّن في خدمة مقصدها.

المطلب الثاني: القسم بالقمر إذا تلا الشمس

لم ترد الإشارة بهذا المعنى إلا في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس]، وهذا الموضع الثاني الذي تذكر فيه الإشارة المتعلقة بالقمر في الجزء.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر **المفسرون المتقدمون** أن هذا قسم بالقمر إذا تلا الشمس طالعا[٢]، وفي اتباعه لها أربعة أوجه[٣]:

الأول: أول ليلة من الشهر، فإذا سقطت الشمس يرى القمر عند سقوطها.

الثاني: الخامس عشر من الشهر، يطلع القمر مع غروب الشمس.

الثالث: في الشهر كله، فهو في النصف الأول يتلوها، وتكون أمامه وهو وراءها، وإذا كان في النصف الأخير، كان هو أمامها وهي وراءه.

رابعاً: أنه خلفها في الليل، فكان له مثل ما لها في النهار؛ لأن تأثير كل واحد منهما في زمانه، فللشمس النهار، وللقمر الليل.

ثم بينوا أن المعنى: كمل ضوؤه، فصار تابعا للشمس في الإنارة، وذلك في الليالي البيض[١]. وهذا قول مناسب لسياق القسم بعد الشمس وضحاها، وفيه ربط بين هذه الإشارة والإشارة السابقة المتعلقة بالقمر، في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾[الانشقاق].

---

(١) أرشدني لهذا المعنى: الدكتور سليمان-حفظه الله-.

(٢) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٤٥٢.

(٣) تنظر الأقوال في: **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢٨٢.

أما **المتأخرون:** فيذكرون هنا طبيعة القمر، وبنائه الداخلي، وحجمه ومساحته، وبعده عن الأرض، ودورانه، والظواهر المصاحبة له: كالكسوف والخسوف، والمد والجزر، ثم يتحدثون عن كيفية متابعة القمر للشمس، وحركته، ومسافة ذلك، والوقت الذي يحتاجه[٢]. ويتبين أن أقوال المتأخرين متممة لما ذكره المتقدمون.

ثانيا: علاقة مقصد سورة الشمس بالإشارة

لقد تبين سابقا أن مقصد سورة الشمس: بيان الانتظام والتكامل بين الأعيان والظواهر الكونية، والذي بدوره يدل على تكامل التكاليف للقيام بها والعمل بمقتضاها، وقد بيّنتُ التكامل بين النهار والليل، وبين السماء والأرض، ثم بين النهار والليل من جهة، وبين السماء والأرض من جهة أخرى. والحقيقة أنه "يكثر في القرآن الكريم عرض صورة الشمس والقمر متجاورين في التعبير؛ وذلك للدلالة على فوائدهما، وتسخيرهما للإنسان"[٣]، ثم لإبراز التكامل بينهما، فالثنائية بين الشمس والقمر من أعظم صور الثنائية في الكون.

ولا أدل على ذلك التكامل من قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ [يونس: ٥]. وأرى أن هذه الآية تشير إلى جانبين من جوانب التكامل بين الشمس والقمر:

الأول: أن الله ﷻ جعل الشمس ضياء والقمر نورا، فالقمر لا يشع من ذاته، بل يكتسب ضوءه من الشمس فيعكسه على الأرض، وبهذا يتأكد التكامل بينهما؛ لشعّ النور على الأرض.

الثاني: جعلهما وسيلة لمعرفة عدد السنين والحساب، فقد جعل الله ﷻ للإنسان من انضباط حركات الشمس والقمر وسيلة دقيقة لحساب الزمن، والتأريخ للأحداث؛ " فتصوير حركة الشمس والقمر، متجاورين في السياق، ومختلفين في التعبير عنهما، للدلالة على دورهما في تشكيل الصورة الزمانية على الأرض، من خلال الصورة المكانية لهما"[٤]، ثم إن بداية تهدّم الكون الحالي تتمثل في بداية تكور الشمس وجمعها إلى القمر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ ﴾ [القيامة]،

---

(١) **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢٥٨، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧٦٢، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٨٧، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ١٧٤.

(٢) النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص٤٧٧-٤٨٤، الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج٤، ص٤٩١، متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة**، ص٦٨-٧١، التفتازي، **الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث**، ص٢٨٣-٣٠٦.

(٣) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٢١٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٢١٠.

بمعنى أن حركة الشمس والقمر مستمرة إلى أجل، ثم تتوقف عندما يأذن الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الرعد: ٢].

فيُلحظ هنا أن حركة الشمس والقمر في السماء مرسومة ومحددة إلى أجل، كما هي حركة الإنسان على الأرض، فهي مرسومة أيضا إلى أجل معلوم. وبذلك يتم الربط بين حركة الإشارات العلمية في القرآن الكريم، وحركة الإنسان على الأرض، وذلك لتحقيق مقصد الإنسان على الأرض من خلال إقامة التكاليف.

ومن هذا الجانب فإنه تتأكد تمام العلاقة بين هذه الإشارة والإشارة المتعلقة بالقمر في المطلب السابق، إذ إن من أعظم فوائد تغيير أطوار القمر: تقسيم الشهر إلى أيام وأسابيع، فالقمر إذا اتسق، عرف منه انتصاف الشهر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة]. كما أن أعظم حالات تلو القمر للشمس إذا كان القمر متسقا. ويتضح من ذلك كله: النظام الدقيق للقمر، والتكامل الوظيفي بينه وبين الشمس، إذ كل منهما أصبح لبنة صالحة في بناء الكون، وفي انتظام حركة الحياة على الأرض.

وذكر القمر بعد الشمس والتأكيد بقوله: (تلاها)؛ لأن القمر يتبع الشمس ويكسب نوره منها، وهذه إشارة إلى أن الأصل في الإنسان أن يزكيَ نفسه، لا أن يدسيها في الظلمة، فكما أن القمر يتبع الشمس ولا يترك الأرض في ظلام، فكذلك المؤمن العامل: لا يترك نفسه وغيره في ظلمات، بل يتعاهد الجميع؛ حتى يصلوا للتزكي.

وقد ذكر بعض المفسرين العلاقة بين هذه الإشارة، وجواب القسم الذي يعد جزءا من مقصد السورة، وهو قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس]، فقد بين البقاعي: أنه لما افتتح بذكر آية النهار، أتبع ذلك بذكر آية الليل، فقال: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس]، أي: المكتسب من نورها، كما أن أنوار النفوس من أنوار العقول[1].

وذكَرَ الحق ﷻ النعم العظيمة في هذه الآيات، التي لو فقد البشر واحداً منها؛ لتوقفت عجلة الحياة عن السير نحو الأمام، "فمقتضى إفاضة هذه النعم وإنارة الروح بإلهام الفجور والتقوى هو: السعي والعمل على درب الطاعة، وتزكية النفس دون الولوج في طريق الفجور وإخفاء

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٣٨.

الدسائس الشيطانية"[١]. وبهذا فإن السورة تؤكد على أهمية اختيار العمل الموصل للتزكيـــة. وإن القسم بالقمر في حالة تلوّه للشمس، يؤكد على أن الداعي العامل لا بد أن يبقى دائما فـــي حالـــة الإشراق والنور"، فمهما يصيبه من انتكاساتٍ وظلمات في طريق دعوته، المهم أن يقوم ويشرق من جديد"[٢]. وأخيرا فإنه تتأكد حقيقة أن جميع الإشارات قد تكاملت؛ لبناء موضوع التكامل في سورة الشمس، وأن الإشارة العلمية المتعلقة بالقمر، قد كانت إحدى الأعمدة الداعمة لهذا البناء.

وبعد ذلك فإنه يظهر عدم ورود هذه الإشارة في الجزء الثلاثين إلا بصيغة القسم، وقد ورد القسم بالقمر ثلاث مرات في القرآن، والموضع الثالث: في سورة المدثر[٣]. كما أنه لم يرد القسم بالليل إلا في هذا الجزء، يضاف له موضع في سورة المدثر، وهذا لا بد له من علاقة.

ومن المناسبات اللطيفة: أن أول ذكر للقمر في هذا الجزء كان في سورة الانـــشقاق، وأول آية في سورة القمر ذكرت انشقاق القمر. وسورة القمر مقصدها-كما ترجح لي-: بيان انقـــلاب حال المكذبين بالآيات والنذر في الدنيا، وسورة الانشقاق، مقصدها: بيان الانقلاب الكوني فـــي الآخرة، وبذلك تتحدد العلاقة بين السورتين.

وأما الموضع الثاني لورود هذه الإشارة في الجـــزء، فقـــد كـــان فـــي ســـورة الـــشمس، والعلاقة بين الموضعين تتأكد في أن من أعظم فوائد تغير أطوار شكل القمر؛ تقسيم الشهر إلى أيام وأسابيع، فالقمر إذا اتسق، عرف منه نصف الشهر، كما أن أعظم حالات تلو القمر للشمس، إذا كان القمر متسقا.

ثم إن سورة الشمس قصد منها بيان التكامل الوظيفي في البناء الكوني والأنفس، وســـورة الانشقاق، قصد منها تغير أحوال المظاهر الكونية والأنفس. وبهذا تتبين العلاقة الوثيقـــة بـــين مقصد السورتين.

وأخيرا، فإنه يجب على الداعي أن يستلهم من تبدل حال القمر وتغير أطواره، إلى أن هذه سنة من سنن الحياة، فالتغيير أمر كوني، وسنة ثابتة، وهناك تغيير قـــسري وآخـــر اختيـــاري، "ومعظم الناس يتشاءمون من هذا التغير، وينظرون إلى الجانب المظلم منـــه، كمـــا ينظـــرون للماضي على أنه خير من الحاضر، ويظنون السوء بالقادم، والخيـــر للمـــسلم أن لا يتـــشاءم،

---

(١) ينظر: السبحاني، **الأقسام في القرآن**، ص١٧١.

(٢) أرشدني لهذا الدكتور سليمان- حفظه الله-.

(٣) وقد وهم النجار، عندما ذكر أن القرآن الكريم لم يقسم بالقمر إلا في موضعين، فذكر موضع سورة المدثر، والشمس، ولم يذكر القسم بالقمر في الانشقاق. النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٥١٦.

والتوازن مطلوب"[١]. كما تتراءى لي حقيقة أن القمر يزداد روعه وجمالا كلما زاد الظلام حوله، ويلمح من هذا أن على المسلم أن لا يحزن وإن ضاقت به الدنيا وأظلمت.

المبحث الرابع: القسم بالخنس والطارق

سأتناول في هذا المبحث العلاقة بين مقصدي سورتي التكوير والطارق، والإشارات المتعلقة بالخنس والطارق. وسيتم تناول كل إشارة في مطلب مستقل.

المطلب الأول: القسم بالخنس

لم ترد الإشارة بهذا اللفظ إلا في قوله تعالى﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾ [التكوير].

وقد بين أهل اللغة أن (الخُنّس): جمع خَانِس، والخُنُوس: الانقِباض والاستِخْفَاء، وأخبر ابن فارس: أنه أصل يدل على استخفاء وتستّر، والخُنّس: هي النّجوم، وسميت بذلك؛ لأنها تختفي نهارا وتطلع ليلا[٢]، وقيل: لأنها تسير في البروج والمنازل كسير الشمس والقمر، ثم تخنس: أي ترجع، فبينا يرى أحدها في آخر البروج، يكر راجعا إلى أوله[٣]. ويبدو من لفظ الخنّس، أن فيه تراجعا بعد تقدم، كما هو الوسواس الخنّاس، فهو لا يخنس إلا بعد أن يتقدم ويوسوس. وبهذا فإنه تدور دلالات الإشارة حول: معاني الاختفاء والتستر.

وأما الجواري: فهي من جَرَيَ: وهو أصل يدل على انسياح الشيء، وقيل للنجوم جواري؛ لأنها تجري وتسبح في الفضاء، ولهذا سميت الشمس جارية؛ لجريها[٤]. وأما الكنّس: فهي من كنس، ولها أصلان[٥]:

الأول: يدل على سفر الشيء عن وجه شيء، ومنه: كنس البيت، وهو سفر التراب عن الأرض.

والثاني: يدل على استخفاء، ومنه: الكنّاس: وهو بيت الظبي. والكانس: الظبي يدخل كناسه.

ويظهر أن المعاني اللغوية للكنس تدور حول الكسح. فالجواري الكنّس: هي النجوم التي تكنس في بروجها كما تدخل الظباء والبقر في كُنّاسها[٦].

---

(١) العودة، **إشراقات قرآنية**، ج ١، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٢) الفراهيدي، **العين**، ج٤، ص ١٩٩، ابن فارس، **معجم المقاييس**،ج٢، ص١٨٠. وهذا بقول أكثر المفسرين، كما أخبر به الزجاج في **معاني القرآن وإعرابه** ،ج٥، ص٢٩١، وذكره عنه الأزهري في **تهذيب اللغة**، ج٧، ص٨١، وينظر: الجوهري، **الصحاح**، ج٣، ص ٩٢٥، ونقله أيضا: الزبيدي في **تاج العروس**، ج١٦، ص٣٣.

(٣) ابن قتيبة، **غريب القرآن**، ص٥١٧، ونقله ابن الجوزي في **زاد المسير**، ج٩، ص٤٢.

(٤) ابن فارس، **معجم المقاييس**،ج١، ص٣٩٩، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص١٤١.

(٥) ينظر: الفراهيدي، **العين**، ج٥، ص٣١٢، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٥، ص١١٥.

(٦) الفراهيدي، **العين**، ج٥، ص ٣١٢، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١٠، ص٣٨-٣٩، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج١، ص ٥٨٦، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص ١٩٧.

ووجه الاختلاف بين الخنّس والكنّس، هو: أنّ الكواكب (تَخْنُس) أي: تغيب وتتوارى بإخفاء ضوء النهار لها، فهي إذن تستتر في النهار، خلافاً للفظة (الكنّس)، التي تعني: أنها تتوارى وتغيب في وقت غُروبها، إذ تستتر بحلول الظلام. "فالاختلاف بينهما يتمثل في اختلاف الوقت الذي تتوارى فيه تلك النجوم عن الناظر إليها، لكنهما يتناظران في الدلالة، وهي: الظُهور والاستتار"[١]. وعلى ما سبق فإن المقصود بالخنس الجواري الكنس: النجوم التي تختفي في أثناء سيرها، فتكنس في مداراتها ثم ترجع فتظهر[٢].

أولا: مقصد سورة التكوير

ذكر المفسرون أن هذه السورة مكية بلا خلاف[٣]، وهي تعدّ من أوائل السور القرآنية نزولا[٤]. ومن خلال النظر في آراء المفسرين حول مقصد السورة، فإنني لم أجد خلافا بينهم في بيان مقصودها من خلال مقاطعها، حيث إن كل مقطع فيها يشكل مقصدا، وقد قسموا السورة إلى مقطعين: الأول: بيان أهوال الآخرة، والانقلاب الكوني فيها، وقد عولج هذا المقطع بأسلوب الشرط. الثاني: تأكيد صدق الوحي المخبر عن هذا الأمر، وعولج هذا المقطع بأسلوب القسم. وقد ذكر هذين المقصدين: كل من الفيروزأبادي، وسيد قطب، وابن عاشور، وسعيد حوى، وغيرهم[٥].

---

(١) زنكَنة، **العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم**، ص٨٠-٨١.

(٢) ينظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص٩٧، الكفوي، **الكليات**، ص ٣٥٧.

(٣) ذكر ابن الجوزي أن هذا بالاجماع، **زاد المسير**،ج٩، ص٣٧، وذكر الشوكاني أنه بلا خلاف، **فتح القدير**، ج٥، ص٤٦٩، والألوسي في **روح المعاني**، ج١٥، ص ٢٥٣، وصديق خان في **فتح البيان**، ج١٥، ص٩١، وذكر ابن عاشور الاتفاق عليه، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص١٣٩، وطنطاوي، **الوسيط**، ج١٥، ص٢٩٥، والزحيلي، **التفسير الوسيط**، ج٣، ص ٢٨٣٤. وآياتها تسع وعشرون آية عند الجميع، إلا عند أبي جعفر: ثمان وعشرون. الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص ٢٦٥.

(٤) الزمخشري، في **الكشاف**، ج٤، ص٧٧٠، البرهان الجعبري، **تقريب المأمول في ترتيب النزول**، ص٣، الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج١، ص ٩٨، السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١، ص٩٦، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص١٣٩، حويش، ملا (ت: ١٩٧٨م)، **بيان المعاني**، ط١، ٦م، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٦٥،ج ١، ص١٢٣، الهرري، محمد الأمين، **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. ط١**، ٣٣م، دار طوق النجاة، لبنان،٢٠٠١م، ج٣١، ص١٥٣، الميداني، **معارج التفكر**، ج١، ص٣٩٣.

(٥) ينظر: الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج١، ص٥٠٣، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص١٤٠، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص ٣٨٣٦. ونقل هذا عنه: سعيد حوى في تفسيره،ج١١، ص٦٣٨٩، وأصحاب **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**،ج٩، ص٤٩، كما ذكره مجموعة من علماء الأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط١، ١٠م، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع، مصر، ١٩٧٣ م، ج١٠، ص١٧٩٧، دروزة، محمد عزة (ت: ١٩٨٤)، **التفسير الحديث**، ط١٣٨٣ هـ، ١٠م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ،ج١، ص٤٩٩، حجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح**، ط١٠، ٣م، دار الجيل الجديد، بيروت، ١٤١٣ هـ، ج٣، ص٨٢٧، طنطاوي، **الوسيط**، ج١٥، ص٢٩٥، الميداني، **معارج التفكر**، ج١، ص٣٩٨، **المختصر في التفسير**، ص٥٨٦.

إن لهذين المقصدين دلالات عظيمة في السورة، "فالوحي: هو سبيل المعرفة القدسية الشاملة المؤثرة. والإيمان باليوم الآخر: هو السبيل لإنتاج الأعمال الصالحة الفعالة المؤثرة. ويظهر هنا أنه لما تحدث عن صدق الوحي-وهو سبيل المعرفة-أكد الخبر بأمور جارية فعالة متحركة، فالكون لا مجال فيه للسكون، ولا قيمة فيه للجمود والركود"[١]. وبمعنى آخر: فإن مقصد السورة مكمل لمقاصد السور السابقة، من خلال عرضه لقضايا القيامة واليوم الآخر؛ لأن الإيمان بهما دافع للعمل والفاعلية. لكنه يؤكد هنا على مصدر العلم.

وقد أكد لي هذا المعنى الدكتور سليمان الدقور-حفظه الله- من خلال قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾[التكوير]، حيث يشير إلى أن قيمة الإنسان: هي علمه وعمله، وما سيحضر، فوجهته اليوم تحدد مصيره غدا.

لكن يمكن لي أن أعيد المقطعين إلى مقصد واحد، وهو أن السورة تتحدث عن أمور عظيمة ستغير مجرى الكون، والقادر عليها هو من أرسل هذه الرسالة العظيمة على يد رسول عظيم. فمقصد السورة: **بيان قدرة الله ﷻ من خلال إحداث انقلابات في الأعيان والمظاهر الكونية في الدنيا؛ لكشف قدرته على إحداث الانقلابات في الآخرة.** ولا أدل على هذا المقصد من اسم السورة الدال على الانقلاب في أعظم عين علوية: وهي الشمس.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

اختلف **المفسرون المتقدمون** إزاء المقصود بهذه الإشارة، فقيل: هي النجوم التي تخنس في مجراها فترجع وتكنس، فتستتر في بيوتها كما تكنس الظباء. وقيل: هي بقر الوحش التي تكنس في كناسها، وقيل: إنها الملائكة؛ لأنها تخنس فلا تُرى[٢]. وجمهور **المفسرين المتقدمين** على أن المراد بالخنس، الجواري الكنس: النجوم التي تختفي بالنهار تحت ضوء الشمس، و تظهر بالليل في أماكنها، كما تظهر الظباء من بيوتها[٣].

---

(١) الغيلي، عبد المجيد، **كيف يبرمج القرآن الحياة**، ط١، ١م، النشر للجامعات، اليمن،٢٠٠٩،ج١، ج١، ص١١٧-١١٨، بتصرف بسيط.

(٢) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢٥١-٢٥٤، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢١٦، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢١٧، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧١٠، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٤٣، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ٦٧-٦٨، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣٣٦.

(٣) أخبر أنه قول أكثر المفسرين، الزجاج في **معاني القرآن** وإعرابه ،ج٥، ص٢٩١، وأخبر أنه رأي الجمهور، ابن عاشور في **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص ١٥٢، الزحيلي، **التفسير الوسيط**، ج٣، ص٢٨٣٢.

أما **المتأخرون**: فبعضهم حكى قول المتقدمين، بأنها: الكواكب والنجوم[١]، وذكر آخرون أن هذه الإشارة تنطبق كمال الانطباق على مرحلة من مراحل حياة النجوم، والتي يسميها علماء الفلك: الثقوب السوداء[٢]. وذكر النجار عن بعض الفلكيين أنهم اعتبروا الخنس: مذنبات تتحرك في مدارات حول الشمس، تظهر ثم تختفي وهكذا[٣].

ورد بعض المحققين القول بأن الخنس: هي الثقوب السوداء[٤]؛ لأن الخنس فيه معنى الظهور والاختفاء، والثقوب السوداء ليس فيها إلا معنى الاختفاء، وعليه فيكون المعنى عندهم: أنه قسم بالنجوم التي اختفت اختفاء كاملا، ثم هي تجري وتكنس: أي تزيل ما حولها! وهذا مخالف لقول المفسرين: إن المقصود بها النجوم التي تظهر وتختفي.

فإذا تقرر ما سبق فإنه يترجح لي ما ترجح للطبري من عموم لفظ خنس، إذ إن كل ما يمكن أن يطلق عليه خنس: فهو مقصود بهذه الإشارة[٥]. فالمعاني تتجدد بتجدد العلوم والمعارف، وبذلك فإن التفسير العلمي هنا أبرز دلالة جديدة للإشارة.

لكنني أستبعد القول بأن المقصود من القسم: الظباء، أو البقر الوحش؛ وذلك لدلالة السياق، فقد أقسم بعدها بالليل والصبح؛ لأن ظهورهما في السماء كما هي النجوم، وذكر الرازي: أن محل قسم الله ﷻ كلما كان أعظم وأعلى رتبة: كان أولى[٦]، ولا يشك هنا بأن الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش أو الظباء. إضافة لذلك فيعدّ هذا الموضع أول موضع للقسم بإشارة علمية في هذا الجزء، ولا شك أن مكوِّر الشمس ﷻ لا يقسم إلا بعظيم، وعليه فالدلالة العظمى في الآية تشير إلى النجوم.

---

(١) العبيدي، **ومضات إعجازية**،ج٣، ص٧٨، متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة**، ص١١٥، منصور، **الكون كتاب الله المنظور**، (النجوم شموس الكون)، ج١٣، ص ٢٢.

(٢) عبد الحليم، **الموسوعة العلمية**، ص١٧، يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص٣٠٣، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص٣٥٠، الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج١، ص ١٨٣، و ج٤، ص٣٧٩، الكحيل، مقال بعنوان: **الجوار الكنس، رؤية جديدة**، موقع: أسرار **الإعجاز العلمي في القرآن** والسنة.

(٣) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٢١٥.

(٤) رده السقا، التفسير و**الإعجاز العلمي في القرآن** الكريم، ج١، ص٢١٦-٢١٨، والطيار، في كتابه: **الإعجاز العلمي إلى أين؟** ص٥٩. والغريب أن بعضهم فسر قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾: بأنها الثقوب السوداء. ينظر سعيد حمود اليامي (١٤٢٣هـ)، دلالات السياق القرآنية على وجود الثقوب السوداء، **مجلة الإعجاز العلمي**، (عدد٢٣): ص٥٩. أقول: وهذا بعيد؛ لأن سياق هذه التغيرات في يوم القيامة.

(٥) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢٥٥.

(٦) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٦٨. وذكر ابن القيم عشرة وجوه في ترجيح هذا القول. ينظر: **التبيان في أقسام القرآن**، ص٧٥.

وعلى هذه المعاني، فالخنوس إما أن يكون مشاهَدا، مثل خنوس الشمس والقمر والنجوم، أو ذاتيا: كالثقوب السوداء، وما دام أنه لم يفصل بين الصفات الثلاث، فإذن كل خنّس: هي جوارٍ كنس، وعليه فكل النجوم توصف بهذا الوصف.

ثالثا: علاقة مقصد سورة التكوير بالإشارة

إن سورة التكوير: هي ثاني سورة في ترتيب الجزء الثلاثين تذكر مظاهر الانقلاب الكوني يوم القيامة بعد سورة النبأ، فلما كانت الأرض ممهدة، والسماء مبنية بإحكام، والشمس سراجا وهاجا، والجبال ثابتة ومثبتة للأرض، ولما كان الماء ممهدا للحياة ومنبتا للنبات، ذكرت هذه السورة الانقلابات الكونية لكل الأعيان والمظاهر المنتظمة، فبدأ الإنسان يشاهد عالما آخر: فسماء غير السماء، وأرض غير الأرض. وابتدأ بالعالم العلوي وبالشمس؛ لأنها أعظم الأجرام والنجوم، فلما كانت سراجا وهاجا: أصبحت مكورة، والنجوم منكدرة، والجبال مسيرة...إلخ.

والمقسم عليه في الآيات: هو الوحي بإخباره باليوم الآخر، والعلاقة بينهما، تكمن في أن النجوم: هي علامات اهتداء في عالم المحسوسات، والوحي: هو علامة اهتداء في عالم المعنويات(١). وإذا كان المقصود بهذه الإشارة: الثقوب السوداء، فقد ذُكِر أن العلاقة بينها وبين المقسم عليه، أنه: كما أدركتم وجود هذه الأجسام، بأجهزتكم وقياساتكم، وأدركتم أن القرآن الكريم حدثكم عنها وعن مثلها، فينبغي عليكم أن تدركوا أن القرآن: هو قول رسول كريم(٢).

ومما سبق فإنه تتضح علاقة هذه الإشارة مع المقسم عليه في السورة، والذي هو جزء من مقصد السورة العام. ولذا فإنه يمكن أن أجمع بين هذين المقصدين في السورة ضمن مقصد واحد، وهو بيان قدرة الله ﷻ من خلال أفعاله في قلب المظاهر الكونية.

إن علاقة المقصد بهذه الأعيان الكونية المشهودة، تتكشف في أن الناس يشهدون ذلك الانقلاب الطبيعي لها في الدنيا؛ لتتكامل فيما بينها بهذا الفعل، فتصلح بها الحياة، فمن الهيّن عليه ﷻ قلبها النهائي يوم القيامة؛ لينتهي التكامل وتفنى الحياة. ثم إن هذه الخنس تظهر للناس ثم تختفي عنهم، فالله ﷻ يخفيها؛ ليذكرهم أنه ليس كل أمر في الكون يكون تحت نظركم وإدراككم، فمن أخفاها عنكم وأظهرها بعد ذلك، هو سبحانه من سيقلب موازين الكون بالكلية.

---

(١) الشعراوي، **المختار من تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٣٦.

(٢) الكحيل، **الجوار الكنس، رؤية جديدة**، موقع: أسرار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

وبعض الخنس تظهر بالليل، وتختفي عند الصباح، وبعضها بالعكس، ولهذا أقسم القرآن الكريم بعدها مباشرة بالليل إذا عسعس، وبالصبح إذا تنفس. وبذلك تتبين حقيقة تكامل جميع الإشارات لخدمة مقصد السورة.

ثم إن اختيار الألفاظ المنتهية بحرف السين في هذه الإشارة–وهو حرف همس– يناسب وقت الليل، فهو "يرسم أجواء ليلية هادئة"(١). فجرس حرف السين يصور مشهد الهمس في الحركة، فهي تخنس بهدوء وسكينة، وبهذا يمكن أن أتوصل للدقة القرآنية في اختيار اللفظ الدال على الإشارة.

وبما أن السورة تبين أهوال القيامة؛ لأنها الدافع للعمل، والمخوف من تركه، وتؤكد على صدق الوحي كونه السبيل لإنتاج المعرفة الفاعلة المؤثر، فإن هذا مشعر بأن على المسلم أن لا يخنس بنفسه عن الناس، ولا يكنس عنهم كالبقر أو الظباء، بل عليه أن يكون عاملا فاعلا مؤثرا.

المطلب الثاني: القسم بالطارق

لم ترد هذه الإشارة في القرآن الكريم إلا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾ [الطارق]، وفي سورة خصص اسمها بهذه الإشارة، أما النجم فقد ورد ذكره في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، وسميت سورة باسمه: وهي سورة النجم. ولفظ الثاقب: ورد في القرآن الكريم مرتين(٢)، الأولى: في هذه السورة، والثانية: في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠ ﴾ [الصافات]، ولهذا دلالته كما سيظهر.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن الطارق: من (طَرَقَ)، ويعني المجيء ليلا، وذكر لها ابن فارس أربعة أصول(٣):

الأول: الإتيان مساء؛ ولهذا سمي النجم: طارقا.

---

(١) ياسوف، **جماليات المفردة القرآنية**، ص٨٨.

(٢) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، لفظ نجم: ص٦٨٨–٦٨٩، ولفظ الثاقب: ص١٥٩.

(٣) الفراهيدي، **العين**، ج٥، ص٩٦، الفراء، **معاني القرآن**، ج٣، ص٢٥٤، الزجاج، **معاني القرآن** وإعرابه، ج٥، ص٣١١، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٩، ص٩، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٣، ص ٣٥٢–٣٥٣.

الثاني: الضرب، ومنه الضرب بالحصى تكهنا، وقد جاء في الحديث النهي عنه، وهو قوله ﷺ: (الطرق والعيافة والزجر من الجبت)[١].

الثالث: جنس من استرخاء الشيء.

الرابع: خصف شيء على شيء.

والذي يهم هنا: الأصل الأول والثاني، ويبدو أن بين المعنيين رابطا دقيقا، فالطرق: هو المسير ليلا، ومسير الإنسان يسمى ضربا في الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النساء: ١٠١]، فكأن السائر يضرب الطريق بقدميه، ولهذا سميت الطريق: طريقا.

وأما النجم: فقد ذكر أهل اللغة أن (نَجَمَ): أصل يدل على طُلُوع وظُهُور[٢]، والنجوم: هي مصابيح السماء الدنيا، وهذه المصابيح السماوية: عبارة عن أجرام غازية في غالبيتها، ضخمة الحجم، ولكنها تبدو لنا ضئيلة لتعاظم أبعادها عنا[٣]. والثاقب من (ثَقَبَ)، وهو أصل يدل على نَفَاذ الشيء، والنجم الثاقب: هو المُضيء، الذي يثقب بنوره وإضاءته ما يقع عليه، أو كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه[٤]، ويظهر أن للثاقب معنى النفاذ واللمعان.

وبعد ذلك فإنه يتبين من الدلالات اللغوية، أن الطارق لا يمكن أن يفهم بأنه كل ما يطرق ليلا؛ لأن الآية التي تليها حددته بوصفين: أنه نجم، وثاقب. فإن لم يكن هذا النجم ثاقبا، فإنه لا يصح أن يطلق عليه: طارق. والمعنى: أُقسِم بكل طارق مضيء يثقب الظلام من النجوم [٥].

وقد ذكر ابن عاشور: أن استعارة الثقب لبروز شعاع النجم في ظلمة الليل، يعد من مبتكرات القرآن الكريم[٦].

---

(١) الحديث رواه أبو داوود، سليمان بن الأشعث (ت:٢٧٥هـ) في **السنن**، (د.ط)، ٤م، دار الكتاب العربي، بيروت، كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، ج٤، ص ٢٣، برقم:٣٩٠٩، والحديث ضعفه الألباني وشعيب الأرناؤوط، ينظر: **ضعيف الجامع** ص ٥٦٨، برقم:٣٩٠٠، والبستي، محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي (ت: ٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، ط٢، ١٨م،(تحقيق: شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج ١٣، ص ٥٠٢ برقم:٦١٣١.

(٢) الجوهري، **الصحاح**، ج٥، ص ٢٠٣٩، وينظر: الرازي، **مختارالصحاح**، ص ٣٠٥، ابن فارس، **معجم المقاييس**،ج٥، ص ٣١٧، جاء في الزاهر: فمعنى قول هند: نحن بنات طارق، أي: نحن بنات النجم شرفاً. الأنباري، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، ج١، ص ٢٣٧.

(٣) ينظر: **المعجم الوسيط** ،ج٢، ص ٩٠٥، والنقل من النجار، **السماء في القرآن الكريم**،ج١، ص ٢٥٧.

(٤) ابن فارس، **معجم المقاييس**،ج١، ص ٣٤٦، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٢٤٠، المناوي، **التوقيف لمهمات التعاريف**، ص ١١٥، الكفوي، **الكليات**، ص٣٣٠.

(٥) **تفسير المراغي**، ج٣٠، ص١١٠.

(٦) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٥٩.

ثم وجدت أن عبارات **المفسرين المتقدمين** قد تنوعت إزاء دلالة الطارق، ولكن معظمها يعود إلى أن الله ﷻ يقسم بالسماء وما يطرق فيها من النجوم المضيئة ليلا[١]. وذكروا أنه بالنظر إلى مواضع ورود لفظ الثاقب في القرآن الكريم، فإنه يتضح أن آية سورة الصافات تفسر آية سورة الطارق، وعلى هذا فالنجم الثاقب: هي الشهب التي يسلطها الله ﷻ على مردة الشياطين عند استراقهم للسمع، وسميت هذه الشهب بالطارق؛ "لأنها تطرق الجن، أي تصكه"[٢]، وكأنها عند إرسالها صوب من أرسلت إليه، تنطلق انطلاق القذيفة، فتثقب الظلام الكوني بسرعة وقوة.

ومناسب هنا أيضا ملاحظة أن النبي ﷺ قد ذكر الطارق في معرض الحديث عن الشياطين، عندما أرادوا أن يكيدوه، فهبط جبريل وأخبر النبيَّ ﷺ أن يستعيذ بالله من شر كل طارق، إلا طارق الخير[٣].

أما **المتأخرون**، فبعضهم فهم دلالة الآية على عمومها، كما ذكر المتقدمون، وبعضهم فرق بين الشهاب، والنجم[٤]، وآخرون حددوا النجم الثاقب بأنه: مرحلة من مراحل احتضار النجم التي تسبق الخنوس، حيث يَحدث له انهيار، ثم يُصدر حزمة أشعة من أقطابه، تستمر لعدة ثوان، تُسمع كأنها طرقة واحدة. وهنا يتشكل الثقب الأسود ذا قوة الجذب الهائلة، والتي لا تمكن رؤيته بشكل مباشر؛ لأنه يمتص الضوء، ويبدو للناظر وكأنه أحدث ثقباً في السماء[٥].

وتسمى هذه النجوم باسم: النجوم النيوترونية، أو النوابض[٦]، وهي نجوم ذات جاذبية وسرعة عالية جدا، وحجم صغير، وتصدر عند حركتها نبضات منتظمة، وسماها القرآن بـــ (الطارق)؛ لأنها تطرق صفحة السماء وتثقب صمتها بنبضاتها السريعة.

---

(١) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٣٥١، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٤٥، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٣٨، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٣٥، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٦٤.

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ١١٧، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣٧٤.

(٣) الحديث بطوله رواه أحمد في **المسند**، ج٢٤، ص٢٠٠، برقم: ١٥٤٦٠. ضعفه الأرناؤوط في الحاشية، وصححه الألباني في **الصحيحة**، ج٦، ص ١٢٥١.

(٤) ينظر: يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص٣٠٢-٣٠٣، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٢٦٩-٢٧٠، النجار، **تفسير الآيات الكونية** في القرآن، ج٤، ص٤٠٠-٤٠٦، منصور، **الكون كتاب الله المنظور**، النجوم وشموس الكون، ج١٣، ص٢٢.

(٥) النجار، **السماء في القرآن الكريم**،ج١، ص ٢٧١، متولي، **الموسوعة الذهبية**، ص١٠٩-١١٢، المزيودي، **الإعجاز البياني في سورة الطارق**، كتاب الكتروني، ص ٢٤، حسين أحمد كتّاب، مقال بعنوان الإعجاز العلمي في سورة الطارق، **موقع فصلت** المتخصص في الإعجاز العلمي بالحقائق العلمية.

(٦) ورد في الموسوعة العربية:" نجمة النيوترون: أصغر نجمة وأكثرها كثافة من بين النجوم المعروفة، يبلغ قطر النجوم النيوترونية ما يقارب ٢٠كم، ولكنها مع ذلك لديها كتلة أكثر كثافة من الشمس". **الموسوعة العربية العالمية**، ج٢٥، ص٢٤٥، ج٢٤، ص٢٢٥. وينظر: الطائي، محمد باسل، **خلق الكون بين العلم والإيمان**، ط١، ١م، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٨، ص٦٧.

والذي يترجح: أنه لا ضرورة لتحديده بنوع واحد من النجوم[١]، بل كل نجم يصلح أن يطلق عليه: نجم ثاقب، إضافة لذلك، لم ألحظ ما يمنع بأن تفهم الآية القرآنية على إطلاقها، فيكون الكل مقصودا؛ ولهذا فتعتبر الشمس أكبر نجم ثاقب، إذ يثقب ضوؤها الظلام الكوني بينها وبين الأرض. ويمكن أيضا أن يكون هناك نجوم ثواقب لا يراها الإنسان، أو لم يرها بعد.

ثانيا: علاقة مقصد سورة الطارق بالإشارة

افتتحت سورة الطارق بالقسم بالسماء والطارق، وهو قسم مبهم، ثم تلاه في السياق بيان لهذا المبهم، وقد أراد التعبير القرآني بذلك تحقيق غرض بلاغي، وهو: تفخيم وتعظيم الموصوف[٢]. وأرى أن مركز ثقل سورة الطارق: هو جواب القسم الأول فيها، وهو قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق]، وقد تبين أن للحفظ في هذه الآية دلالتين:

الأولى: حفظ الرعاية.

والثانية: حفظ الرقابة. وترجح لي أن دلالة السياق تشير للمعنى الثاني[٣]، ومع ذلك فإنه لا تعارض بين المعنيين، فيمكن أن يكونا مقصودين، وعليه سأبين العلاقة بين هاتين الدلالتين والإشارة، لكن سينصب التركيز على المعنى الأرجح.

فعلى المعنى الأول: أقول: إن العلاقة بين ذكر هذا النجم وبين مقصد السورة، هي: أن هذه النجوم بهذه الهيئة وهذا التحول من حال إلى حال، بخنوسها وظهورها، تسير بحفظ الله ﷻ ورعايته لها، وإن المسافة التي فصلها الباري ﷻ بين هذه النجوم وبين الأرض، دالة على حماية الله وحفظه، إذ ذكر المتأخرون أن أقرب هذه النجوم إلى الأرض يبعد مسافة خمسة آلاف سنة ضوئية، ولو كانت أقرب لكان لها أثر مدمر لحياة الإنسان على الأرض[٤]، فمن حفظ ورعى هذه النجوم بمختلف أحوالها، قادر سبحانه على حفظ ورعاية الأنفس.

وأما على المعنى الثاني، فكما أن هذا النجم يثقب الظلام؛ ليرى الإنسان ما شاء، فإن الله ﷻ يثقب السرائر ويعلم خفاياها. وكذلك فإن من قدّر المسافات الدقيقة بين الأرض والنجوم، فهو قادر على إحصاء الأعمال وحفظها على العباد، فكما لا يعجزه هذا لا يعجزه ذاك.

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨٧٨.
(٢) زنكنة، **العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم**، ص٢٣١.
(٣) ينظر صفحة: ٤٣.
(٤) ينظر: الطائي، **خلق الكون بين العلم والإيمان**، ص٦٢، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٢٧٠.

وذكر سيد قطب أن هذه النفس مستورة خافية، والحافظ ينفذ إليها ويسجل عليها سرائرها ويكشفها، فما أشبهه بالطارق: النجم الثاقب، وما أشد اتساق الصورة مع الإطار![١] ولذا فعلم الله ﷻ يتخلخل داخل النفس الإنسانية، فيكشف خفاياها وظلماتها، وهذا يشبه النجم الثاقب الذي يخترق الظلام؛ ليصل إلى مداه، فيزيل الظلمة، ولهذا أيضا، "فقد يكون في القلب معان خفية غامضة لا يتفطن لها صاحبها، فيخترق العلم الإلهي الحجبَ، فيطلع ويُطلع الملائكة عليها"[٢]. فحري بالإنسان بعد ذلك أن يعلم كما أن الله حافظ نفسه وعمله، فعليه أن يراقب نفسه ويحفظها، ويدرك دوافعها.

وإن كان المراد بالنجم الثاقب: الشهب التي تُرمى بها الشياطين، وهي التي تثقب الظلام بضوئها وسرعتها، فالعلاقة وطيدة بمقصد حفظ الله ﷻ للأعمال، فكما أنه للسماء حفظة يحفظونها من الشياطين، كذلك جعل الله على كل نفس حافظا موكّلا بها، ويسجل أعمالها.

وحسن بعد كل ذلك أن تذكّر الآيات بخلق الإنسان، فإن قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ ﴾ [الطارق]، هو من إقامة الدليل على القدرة والحفظ، وهنا يتكشف التناسب الدلالي في السورة، بحيث يتبين أن هذا الشاهد له صلة وثيقة بدلالة حفظ الإنسان، ودلالة النجم الثاقب أيضا، فكما حفظ الله الإنسان وأعماله حال حياته، فكذلك حفظ الإنسان قبل ولادته.

فقد حفظ الله ﷻ تلك النطفة، وكأنها خرجت من ظلام مجهول، وهي تحمل أعدادا هائلة تصل إلى الملايين من الحيوانات المنوية، ثم تتسابق ليثقب واحد منها ذلك الجدار، وكأنه شعاع ينبثق ليلقح البويضة، فتتكوّن بذلك الوحدة البنائية الأولى من خلق الإنسان.

فصورة الحيوان المنوي، الذي يسبح في السائل المنوي، والذي يثقب جدار البويضة؛ ليتم التلقيح[٣]، هي ذاتها صورة النجم الثاقب، الذي يسبح في فضاء الكون الواسع، فيثقب جدار الظلام بضوئه. ثم إن صورة هذا الماء بدخوله للرحم وخروج الجنين بعد ذلك، هي صورة الماء النازل من السماء لتستقبله الأرض فتخرج النبتة بعد ذلك. وبهذا يتضح التكامل في الصور الدلالية والإشارات العلمية في السورة؛ لخدمة مقصد الحفظ فيها.

---

(١) سيد قطب، **مشاهد القيامة**، ص٩٣، وينظر قريبا منه: المدرسي، **من هدي القرآن** ج١٢، ص١٣٤.
(٢) العودة، **إشراقات قرآنية**، ج١ ص ٣٢٥.
(٣) ينظر إلى ما كتبه البار حول هذه الإشارة العلمية، في كتابه: **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، ص١١٤.

فكأنه ﷻ يقول: كما أنكم تنظرون لكل نجم ثاقب في السماء، فكذلك أنا أراكم وأحفظكم، وإن الذي حفظ الماء الدافق الذي به وجودكم قبل أن يخرج وبعد أن خرج، وحفظه وهو يخرج من مكان خفي من بين الصلب والترائب، قادر سبحانه على مراقبتكم وحفظكم بعد أن خرجتم. ويظهر أن ذكر الإشارة المتعلقة بالطارق في سورة الطارق، كانت أنسب ما تكون لمقصد السورة، فقد أسهمت في تحقيق المقصد، ثم ترابطت مع غيرها من الإشارات لخدمته.

وبعد دراسة هاتين الإشارتين، فإنه يبدو لي أن للعلاقة بين الخنس ومقصد السورة الأثرَ البالغ في التفسير، إذ كانت العلاقة إحدى المرجحات لتحديد المراد بالخنس، فإن الرابطة بين الكواكب والنجوم ومقصد السورة، أوثق منها بين الظباء أو البقر.

وبما أن الخنس والطارق نجوم، فلا بد أن يكون ثمة صلة بين سورتي التكوير والطارق من جهة، وسورة النجم من جهة أخرى، فقد أقسم ﷻ في بداية سورة النجم، بـ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾ على أنه ﷻ قد حفظ نبيه ﷺ عن الضلالة والغواية، فقال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ [النجم]، ويتبين هنا التكامل بين الآيات: إذ نفت سورة النجم الضلال والغواية عن النبي ﷺ ونفت سورة التكوير الجنون عنه. ثم جاءت سورة الطارق؛ لتؤكد على حفظه ورعايته.

إضافة لهذا فإن سورة النجم ذكرت هوي النجوم، وسورة التكوير ذكرت انكدارها. ثم إن سورة النجم أقسمت بالنجم على حفظ الوحي المتمثل بالنبي ﷺ ، وسورة التكوير أقسمت بالنجوم الخانسة، على حفظ الوحي المتمثل بالقرآن الكريم النازل من جبريل ﷺ، وسورة الطارق أقسمت بالنجم على قضية الحفظ عموما. وبهذا تتأكد لي حقيقة التوافق والتكامل بين هذه السور الثلاث مع مقاصدها، والله الموفق.

الفصل الثالث: الإشارات العلمية المتعلقة بالأعراض والظواهر الكونية،

ويحوي ستة مباحث:

المبحث الأول: الليل

المبحث الثاني: النهار

المبحث الثالث: ظاهرة الشفق

المبحث الرابع: الصبح والفجر والفلق

المبحث الخامس: الضحى

المبحث السادس: العصر

سأتناول في هذا الفصل: العلاقة بين مقاصد السور والإشارات العلمية المتعلقة بالظواهر الكونية، وتشمل: الليل، والنهار، وظاهرة الشفق، والصبح والفجر والفلق، والضحى، والعصر. وبهذا سأخصص مبحثا لكل إشارة.

المبحث الأول: الليل

بين أهل اللغة أن الليل: هو ما يكون عُقيْب النهار، ويبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق[١]. وعرف: بأنه القسْم من اليوم الذي ينتقل فيه موقع الشيء متواريا عن الشمس[٢]. وقد ذكر المتأخرون أن السبب في ظهور الليل: هو دوران الأرض حول محورها، فإن إضاءة الشمس تنتقل على سطح الأرض من الشرق إلى الغرب، ففي ساعات النهار تكون الشمس مواجهة للنصف الأول من الأرض، وتكون الوجهة الأخرى قد دخلت في الليل، فإذا انقضى النهار، فإنها تنتقل للنصف الثاني، فينتقل الليل[٣]، وبهذا تنتج ظاهرة الليل والنهار.

وورد ذكر الليل بتصريفاته المختلفة في القرآن الكريم: اثنتين وتسعين مرة[٤]، وسميت سورة باسمه: وهي سورة الليل، وترتيبها في المصحف: الثانية والتسعون، وهذا فيه تناسب عددي مع مواضع ذكر الإشارة في القرآن، ويظهر تنوع دلالات استخدام القرآن الكريم لليل والنهار، فقد وردا للدلالة على الوحدة الزمنية المعروفة لكل منهما، وللدلالة على الدوام الزمني، كما وردا للتدليل على عظمة الله ﷻ وقدرته، ثم في سياق القسم للدلالة على عظمتهما[٥].

وغالبا ما يقترن الليل بذكر النهار في القرآن الكريم، ولذلك سمي الليل والنهار: الجديدان؛ لأن كل واحد منهما إذا جاء فهو جديد[٦]، وأحيانا ينفرد الليل أو النهار بالذكر، وذلك حين تكون الآية الكريمة مسوقة للحديث عن معنى يرتبط بأحدهما دون الآخر.

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص٦٠٧، وينظر: ابن سيده، **المخصص**،ج٢، ص٣٨٧، المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٢٩٣، الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣٠، ص٣٧٤، البركتي، محمد عميم، **التعريفات الفقهية**، ط١، ١م، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١٨٩.

(٢) بينديك، جين، **الكتاب الأول عن الزمن**، ط١،١م، (ترجمة: محمد بنداوي)، دار طلاس، سوريا، ١٩٩٢م، ص٧٥.

(٣) آغا، شاهر جمال، **الأرض في القرآن الكريم**، (د.ط)، ١م، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ٢٠٠٥م، ص٦٧، زايد، **الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم**، ص٤٣، الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج٦، ص٢٣١، الكيرنوري، **موسوعة الأفلاك والأوقات**، ص٧٠.

(٤) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٦٥٦.

(٥) ومواضع ذلك على الترتيب: [الإسراء، آية:١٢]، [الأنبياء، آية:٢٠]، [آل عمران، آية:١٩٠]، [الضحى، آية:٢]. ينظر: عبد الله، ديالا عبد الجبار (٢٠١٠م)، **الليل والنهار في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح: فلسطين، ص٤٣.

(٦) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج١، ص٣٦٧. وقد ذكر لهما كثير من الأسماء والصفات. ينظر: المرزوقي، أحمد بن محمد(ت: ٤٢١هـ)، **الأزمنة والأمكنة**، ط١، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ص١٩٠.

ثم لقد وجدت أنه قد تقدم ذكر الليل على النهار في أغلب مواضع ذكره في القرآن الكريم، وأورد المفسرون لذلك عدة أسباب، منها: السبق في الزمان، أي: باعتبار الإيجاد، أو لأن سنيهم قمرية، أو لشرفه[١]، والسبب الأخير: بعيد؛ لأنه لا دليل عليه، وأفضلية بعض الليالي لا تعني زيادة شرف الليل مطلقا، فبعض الأيام أفضل من كثير من الليالي، كيوم عرفة.

وأما ظاهرة القسم بالليل في القرآن الكريم، فهي مسألة غاية في الدقة والأهمية، إذ تبين أن القرآن الكريم قد أقسم بالليل في سبعة مواضع، كلها في سور الجزء الثلاثين[٢]، ما عدا موضعا واحدا في سورة المدثر، ومعلوم أن الله لا يقسم بخلق إلا لعظمته. وإن كثرة ذكر الليل في القرآن الكريم وفي هذا الجزء خاصة، دليل على تأكيد القرآن الكريم على أهميته في الكون.

وقد ورد ذكر الليل في تسعة مواضع من هذا الجزء، وهي:

أولا: قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النبأ].

ثانيا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النازعات].

ثالثا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ ﴾ [التكوير].

رابعا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الانشقاق].

خامسا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفجر].

سادسا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾ [الشمس] .

سابعا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ ﴾ [الليل].

ثامنا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [الضحى: ٢].

تاسعا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ [الفلق: ٣].

---

(١) السيوطي، عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ط١، ٣م، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٨،ج٣، ص ٢٧٨، الألوسي، في **روح المعاني**، ج١، ص ٤٢٩، وج١٠، ص٤١، عبد الحليم، **الموسوعة العلمية**، ص٤٩.

(٢) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٦٥٦.

ويتضح من هذا الاستقراء أن أكثر إشارة علمية ترد في الجزء الثلاثين: هي هذه الإشارة، فقد وردت صراحة في ثمانية مواضع، وبالوصف في آخر موضع منه. وستتم دراسة هذا المبحث ضمن ثمانية مطالب؛ لأن الموضعين: السادس والسابع، يعودان لذات الإشارة.

المطلب الأول: الليل لباس

موضع هذه الإشارة: هو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ [النبأ]، وهذه أول إشارة تتعلق بالليل في هذا الجزء، وهو الموضع الثاني لورودها بهذا اللفظ في القرآن الكريم، إذ وردت قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ [الفرقان٤٧]، ولما كان مقصد سورة النبأ: إثبات القيامة والبعث؛ لأنه يشكل القوة الدافعة للعمل والدعوة، فقد تبين لي أن سورة الفرقان جاءت لتؤكد على انتصار الله ﷻ للداعي إذا تطاول عليه الناس. وبهذا يظهر لي التكامل بين مقصد السورتين.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

تذكر هذه الإشارة: النعمة في جعل الليل لباسا، وقد بين أهل اللغة أن لفظ: (لباسا)[١] من (لَبَسَ)، وهو أصل يدل على مخالطة ومداخلة. ولهذا يقال: لبَسَت عليه الأمور، أي: اختلطت، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام ٩]. وقد خُصّ باختلاط الظلام. وفيه أيضا معنى: السكن والستر والتغطية[٢]، ومن ذلك لبس الثوب.

ومجموع أقوال **المفسرين المتقدمين** تدور حول معنى: أن الله جعل الليل يغشاكم ويغطيكم ويستركم بظلامه، كما يغطيكم الثوب ويستركم، أو بمعنى: السكن[٣]. أما **المتأخرون**، فيضيفون:

---

(١) وردت لفظة لباس بتصريفاتها في القرآن الكريم: ثلاثا وعشرين مرة، ولم ترد في الجزء الثلاثين إلا في هذا الموضع. عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٦٤٥.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١٢، ص٣٠٧، الجوهري، **الصحاح** ،ج٣، ص٩٧٣، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٥، ص١٨٦، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص٢٠٣، المناوي، **التوقيف على مهمات التعريف**، ص٢٨٧، **المعجم الوسيط**، ص٤٩٩.

(٣) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ١٥٢، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص١٨٣، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢٠٠، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٢٤، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص٩-١٠، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣٠٣، **تفسير الجلالين**، ص ٤٧٦.

سببَ وجود الليل في الكون، وفوائده بالنسبة للإنسان والمخلوقات بعامة، واختلال الكون عند انعدامه[١]. ويتبين من ذلك تكامل الأقوال، وعدم تعارضها.

ثانيا: علاقة مقصد سورة النبأ بالإشارة

لقد أوردت سورة النبأ هذه الإشارة ضمن الأدلة التي عرضتها لموضوع البعث، وإن تكرار لفظ جعلنا في هذه الإشارات له أهميته الدلالية، فهو يدل على تهيئة الأعيان والمظاهر الكونية؛ لتنسجم مع حاجات الإنسان، ومنها الليل، فالإنسان محتاج للراحة والسكون ولا يتأتى ذلك على وجهه الأكمل إلا بوجود الليل.

وكان مجيء هذه الإشارة بعد ذكر النوم الذي هو قطع للحياة، فكما أن الجبال أوتاد: أي قاطعة لحركة الأرض؛ لئلا تميد وتضطرب، فكذلك جعل النوم قاطعا لحركة الإنسان، وجعل موطنه الليل. وقد سمى القرآنُ النومَ وفاةً، وذلك في أكثر من آية[٢]. وكذلك ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال: (باسمك أموت وأحيا، وإذا قام قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[٣]. فالنوم ميتة صغرى، والقيام منه: هو إحياء بعد إماتة.

وبهذا تتبين العلاقة التكاملية بين جميع هذه الإشارات العلمية؛ لخدمة مقصد التدليل على البعث في سورة النبأ. ولا يفوتني التركيز على الثنائيات في السورة، والتي تتضافر بدورها؛ لتكمل خدمة المقصد فيها، فكما خلق الله ﷻ الإنسان أزواجا، فإن من آياته الكونية أنه أوجد الليل والنهار زوجين أيضا، وكما أن هناك تكامل وظيفي بين الذكر والأنثى، فكذلك ثمة تكامل وظيفي بين الليل والنهار.

يقول النجار:" إن التبادل المنتظم بين الليل المظلم والنهار المنير على نصفي الكرة الأرضية، هو من الضرورات اللازمة للحياة الأرضية، ولاستمرارية وجودها بصورها المختلفة...، فبهذا التبادل بين الظلمة والنور يتم التحكم في توزيع ما يصل إلى الأرض من الطاقة الشمسية، وبالتالي يعين على التحكم في درجات الحرارة والرطوبة وكميات الضوء في مختلف البيئات الأرضية"[٤]، ولهذا تظهر لي الحكمة من اتباع نعمة خلق الناس أزواجا، بنعمة جعل الليل لباسا والنهار معاشا.

---

(١) الأهدل، **من إشارات العلوم في القرآن الكريم**، ص١٦١، الجميلي، **الإعجاز العلمي في القرآن**، ص٤٩، النجار، **الأرض في القرآن الكريم**، ج٢، ص٤٢٢، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٢، ص٤٠٣، الصوفي، **الموسوعة الكونية**، ج٦، ص٢٥١.

(٢) ينظر: [الأنعام : ٦٠]، [الزمر : ٤٢].

(٣) **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، ج٢١، ص٩٤، برقم:٦٣١٢.

(٤) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص ٤٨٦.

إن المنة في الليل هنا: هي في جعله لباسا، واللباس وظيفته الستر، والمعنى: أن الليل بظلامه ساتر لكم ومغطٍ لأجسامكم، كاللباس إذا غطى وستر، وكالكفن إذا ستر الميت وغطاه، وكالقبر إذا ووري فيه الأموات وغطاهم، ومجيء النهار بعده مشعر بالبعث. ولما كان الإيمان بالبعث هو الدافع للعمل، فإن مجيء النهار بعد ظلمة الليل، تشير إلى حتمية إشراق شمس دعوة الداعي[١] ؛ لإزالة الظلمة التي تغطي الناس. وبهذا تنجلي العلاقات بين هذه الإشارات.

المطلب الثاني: إغطاش الليل

لم ترد هذه الإشارة إلا في موضع واحد من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النازعات]. وينبغي الوقوف على معاني الإشارة؛ ليصح بعد ذلك بناء العلاقة.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (غَطَشَ): أصل يدل على ظلمة، وأغْطَش الله الليل: أي أظلمَه[٢]. وبهذا المعنى اللغوي تدور أقوال **المفسرين المتقدمين**[٣]، أما **المتأخرون**: فبينوا أن إغطاش الليل: يعود إلى ليل السماء، وليس ليل الأرض، والمعنى: أن الله ﷻ قد جعل ليل السماء حالك السواد من شدة إظلامه، فهو دائم الإظلام! ويؤخذ على هذا أن يتساءل: ما معنى إخراج ضحاها حينئذ! كما يذكرون في هذه الآية: النعمة في تعاقب الليل والنهار[٤]. وليس ثمة تعارض بين الأقوال في بيان الإشارة، لكن يظهر أن رأي المتقدمين أولى؛ لعدم وجود إشكالات عليه.

ثانيا: علاقة مقصد سورة النازعات بالإشارة

لقد أوردت السورة هذه الإشارة ضمن مجموعة من الإشارات العلمية؛ لتحقيق مقصد هز النفوس التي تكذب البعث؛ ليكون بذلك دافعا للعمل والسعي، وكان الابتداء بالإشارات العلوية، فذكَرت بناء السماء ورفعها وتسويتها، ثم ذكرت ما يبدو في السماء، من ليل وضحى، ثم أتبع ذلك بذكر الإشارات الأرضية، فذكرت الأرض وما يخرج فيها من ماء ومرعى. وبذلك يتضح تكامل الإشارات لخدمة مقصد السورة.

---

(١) أشار لي بهذا المعنى أستاذي الدكتور سليمان- حفظه الرحمن-.

(٢) الجوهري، **الصحاح**، ج٣، ص ١٠١٣، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص٣٤٤، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص٣٢٤.

(٣) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢٠٧، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص١٩٨، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢٠٨، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٣٤، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣١٦، **تفسير الجلالين**، ص٧٩٠.

(٤) عبد الحليم، في **الموسوعة العلمية**، ص٤٩، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٤٩٠، يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص٣١٩.

ومن هنا فإنه تنتقل هذه الإشارة إلى إحدى الأنظمة الحاكمة في هذا العالم الكبير، وهو نظام النور والظلمة، فهو نظام له "دور أساس في حياة الإنسان وسائر الأحياء، إذ لا يتمكن الإنسان من الحياة دون النور، لما له من ارتباط وثيق بحركة الإنسان وإحساسه ورزقه وأعماله، كما أنه لا يتمكن من تكملة مشوار حياته من غير الظلمة"(١).

وبما أن مقصدي سورتي النبأ والنازعات متقارب، كما أن الإشارة أيضا قريبة، فإن ما قيل في العلاقة في سورة النبأ، يقال في هذا الموضع أيضا، لكن يلمح هنا أن لفظ (الغطش) كان أنسب من غيره، إذ إنه بحروفه وجرسه، فيه دلالة الشدة والقوة، المناسبين لجو السورة التي قصدت التخويف وهز القلوب، فهو لفظ يحتوي على حرفي الغين والطاء، فالغين: حرف مجهور مفخم، والطاء: من أقوى الحروف؛ لأنها حرف مجهور شديد مطبق ومفخم أيضا(٢). وبهذا تظهر الدقة في اختيار اللفظ القرآني لهذه الإشارة، والذي ناسب مقصد السورة في هز القلوب وتخويفها بمشاهد الآخرة.

ولأن هذا التخويف جاء للحث على السعي، فإن إغطاش الليل مشعر بالظلمة. وإخراج الضحى بعده، موح بإزالة تلكم الظلمة، ولا يكون ذلك إلا بالسعي والعمل(٣). وبذلك تتكشف العلاقة بين هذه الإشارة مع ما بعدها لخدمة مقصد السورة.

المطلب الثالث: عسعسة الليل

موضع هذه الإشارة هو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ [التكوير]، وهي الإشارة الثالثة في الجزء الثلاثين التي تختص بالليل، ولم ترد في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

بين أهل اللغة أن (عَسْعَسَة الليل)، تأتي بمعنى: إقباله ودنوّ ظلامه من الأرض(٤)، وذكر الفراء الإجماع على أنها تعني: إدبار الليل(٥)، ويظهر لي أن القول بالإجماع ضعيف هنا ؛ إذ إن

---

(١) الشيرازي، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، ج١٥، ص٧١، بتصرف.

(٢) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير (ت:٨٣٣)، **التمهيد في علم التجويد**، ط١، ١م، (تحقيق: غانم قدوري الحمد)، مؤسسة الرسالة، لبنان، ٢٠٠١م، ص١٤٣.

(٣) أرشدني لهذا المعنى الدكتور الدقور –وفقه الله–.

(٤) الفراهيدي، **العين**، ج١، ص٧٤.

(٥) الفراء، **معاني القرآن**،ج٣،ص٢٤٢، الأزهري، **تهذيب اللغة** ،ج١، ص٦٢، الجوهري، **الصحاح**، ج٣، ص٩٤٩.

الرأي الأول مشهور عند أهل اللغة والتفسير[١]. وذكر ابن فارس أن للفظ (عسّ) أصلين[٢]:
الأول: يدل على الدنو من الشيء وطلبه.
والثاني: خفة في الشيء.

وألحظ هنا أن الأصل الأول الذي ذكره: هو من الدقة بمكان، إذ إن الدنو ربما كان بالإقبال أو الإدبار، ولهذا ذكر أهل اللغة أن لفظ: (عَسْعَس)، من الأضداد[٣]، بمعنى إقبال الليل وإدباره. ويمكنني الربط بين الأصلين السابقين: بأن أول ما يدنو الليل للطلوع يكون الظلام خفيفا، ثم أول ما يدنو الليل للذهاب يكون الظلام خفيفا أيضا، وعليه فخفة الظلام ورقته موجودة في أول الليل وآخره.

وقد كان العسس[٤] يخرجون في أول الليل وآخره؛ لأنه أغلب خروج اللصوص، فاللص لا يخرج إلا في الأوقات التي يكون فيها الظلام رقيقا، وهنا أيضا ألحظ العلاقة بين الأصلين اللذين ذكرا. كما يظهر أن هذا أحد أسباب دعوة القرآن الكريم للاستعاذة بالله ﷻ من شر الظلمة المادية إذا أقبلت، في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾[الفلق].

وتدور أقوال **المفسرين المتقدمين** في الإشارة حول: إقبال الليل وإظلامه وإدباره[٥]. ويترجح لدي ما رجحه الطبري، حيث بين أن الأوْلى: هو قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر؛ وذلك لدلالة السياق، لأنه قال بعدها: ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التكوير]، فدل بذلك على أنه أقسم بالليل مدبرا، وبالنهار مقبلا. وأما **المتأخرون**: فبالإضافة لما قاله المتقدمون، فإنهم يبينون سبب

---

(١) ينظر أقوال أهل اللغة: الأزهري في **تهذيب اللغة** ،ج١، ص٦٢، الزبيدي في **تاج العروس**، ج١٦، ص ٢٥٨. وأقوال المفسرين: **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢٥٥، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢١٧.

(٢) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص٣٤.

(٣) أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨هـ)، **الأضداد**، ط ١٩٨٧ م،١م، (تحقيق: محمد أبو الفضل)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٢، ابن سيده، **المخصص**، ج٤، ص١٧٨، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ٦٨.

(٤) بفتح العين والسين من (عس)، وهي: الدوريات التي تجوب الشوارع بالليل؛ لكشف أحوال المجرمين والمخالفين. قلعجي، محمد رواس، وقنيبي حامد صادق، **معجم لغة الفقهاء**، ط٢، ١م، دار النفائس، عمان، ١٩٨٨ م، ص٣١٢.

(٥) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢٥٥، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢١٧، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢١٧، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧١١، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص٤٤٤، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ٦٨، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣٣٧، **تفسير الجلالين**، ص٧٩٤.

ظهور الليل، كما يذكرون أن عسعسة الليل تؤكد على حركة الليل وتقلبه مع النهار، ويوضحون مساوئ توقف هذا التقلب[١]. وعليه فلا تعارض بين الأقوال.

ثانيا: علاقة مقصد سورة التكوير بالإشارة

يُلحظ أن الله ﷻ قد أقسم في السورة بثلاث إشارات، وهي: الخنس والليل والصبح، على صدق إخبار الوحي بقدرة الله ﷻ على إحداث انقلابات في الأعيان والمظاهر الكونية في الدنيا؛ لكشف قدرته على إحداث الانقلابات في الآخرة.

ولا يخفى أيضا ما في صورة انقلاب الليل من إشعار بالموت، فهو وقت انقطاع الحركة بالنوم والذي هو أشبه الحالات بالموت، ثم يأتي بعده النهار؛ ليقلب تلك الموازين، فتتغير الأحوال وتعود الحياة، فكما أنها صورة انقلاب كوني، فهي صورة انقلاب في ذات الإنسان وحياته، وكل ذلك دليل على القدرة. ومن هنا جاءت هذه الإشارات؛ لتعمق حقيقة هذا المقصد. ثم إن القسم بهذه الإشارات: هو للتأكيد على أهميتها في استقامة الكون وانتظام حركة الحياة فيه. وبهذا فإنه يتبين تكامل جميع الإشارات لخدمة مقصد السورة العام.

ولأن هذه الانقلابات الكونية تحتاج لقوة وقدرة، فقد أتى بلفظ: (عسعس) في هذه الإشارة بجرسه المؤلَّف من مقطعين، والذي فيه قوة وتكرار للمعنى، مثل: تمتم، وكبكب. وكأن استمرار الليل في إدباره يتأتى من خلال استطالة الكلمة، "إذ جاء حرف العين بصوته المجهور، مع السين بصوته المهموس، الذي يتميز بالهدوء والسكينة، فيلمح من ذلك نغما صاعدا وهابطا يوحي باستطالة زمان ذهاب الليل. ومما زاد من جمالية هذه الصورة: ذلك العطف الصوتي المتجانس عليها، وذلك في لفظ: (تنفس)"[٢].

ثم إن وجود حرف السين مرتين في هذه الإشارة– وهو حرف همس– يناسب وقت الليل، "فكأن لفظ: (عَسْعَس) يرسم الأجواء الليلية الهادئة"[٣]. وبهذا تتكشف الدقة القرآنية في اختيار اللفظ الدال على الإشارة، فهي بدلالاتها وحروفها مخبرة عن المقصد.

---

(١) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص١٦٩، النجار، **الأرض في القرآن الكريم**، ج٢، ص٤٢٤، زايد، **الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم**، ص٤٨، منصور، **سباحة الأرض وجريانها**، ص ١٨.

(٢) الجبوري، جنان منصور(٢٠٠٥م)، **التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني**، دراسة بلاغية، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة بغداد، العراق، ص١٠٣.

(٣) صبحي الصالح (ت: ١٩٨٦)، **مباحث في علوم القرآن**، ط٢٤، ١م، دار العلم للملايين، لبنان، ٢٠٠٠، ص٣٣٥. ياسوف، **جماليات المفردة القرآنية**، ص٨٨.

ولما كان جواب ذلكم القسم: التأكيد على صدق الوحي بهذه الأخبار، فإنه لا بد من علاقة بين هذه الإشارات الكونية مع المقسم عليه، فالليل: هو مكان الظلمة، والناس بلا وحي وقرآن هم في ظلمة حالكة، والصبح: مكان الإشراق والنور، وهذا حالهم بعد نزول الوحي والقرآن الكريم.

وبذلك فإن الله ﷻ الذي جعل الليل والنهار، وسخر بقدرته النجوم والكواكب، " لن يترك عباده سادرين في غي الجاهلية، يلفهم ظلام الجهل، ويغرقهم الفساد موجة بعد موجة، بل سيبعث إليهم نورا هاديا، وصبحا متنفسا، يهديهم إلى ما انطوت عليه ضمائر قلوبهم، ودلهم إليه نور عقولهم"(١). وما دام أن الوحي: هو سبيل المعرفة المؤثرة الفعالة فلا بد للداعي الذي أخذ حظه من هذه المعرفة أن يكون صبحا يتنفس من خلاله الناس وكأنه يرد إليهم أرواحهم بعد موتها من بعد عسعسة ليل الجهل. وبهذا فإن الإشارة توحي بأن الداعي إذا كان عاملا فعالا مؤثرا، فلا بد وأن يغير في أحوال الناس.

وقد ذكر الشنقيطي(٢) علاقة أخرى بينهما، فقال:" إن القرآن المقسم عليه، حالهُ في الثبوت والظهور وحال الناس معه: كحال هذه الكواكب الثوابت لديكم في ظهورها تارة، واختفائها أخرى، وكحال الليل والصبح، فهو عند أناس موضع ثقة وهداية، كالصبح في إسفاره، قلوبهم متفتحة إليه وعقولهم مهتدية به...، وعند أناس مظلمة أمامه قلوبهم، عمى عنه بصائرهم...، وأناس تارة وتارة، كالنجوم أحيانا وأحيانا، تارة ينقدح نوره في قلوبهم، فتظهر معالمه فيسيرون معه، وتارة يغيب عنهم نوره فتخنس عنه عقولهم وتكنس دونه قلوبهم"(٣)، كما في قوله تعالى عنهم: ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ [البقرة: ٢٠].

ومما سبق فإنه يتجلى ذلكم التناسق البديع بين الإشارات العلمية، من حيث ترابطها في علاقات غاية في التكامل والكمال؛ لخدمة مقصد سورة التكوير.

المطلب الرابع: القسم بالليل وما وسق

لم ترد هذه الإشارة في القرآن الكريم إلا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ [الانشقاق]، وهي الإشارة الرابعة المتعلقة بالليل في الجزء الثلاثين.

---

(١) المدرسي، **من هدي القرآن**، ج١٢، ص ٦١.

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار. عالم ومحقق ومفسر، ولد: ١٩٠٧م، بموريتانيا، رحل إلى السعودية، وبقي فيها، وكان ضمن هيئة كبار العلماء، وعضوًا في رابطة العالم الإسلامي، توفي: ١٩٧٣م، بمكة. سالم، عطية محمد (١٩٧٤م)، مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي، **مجلة الجامعة الإسلامية**، السنة السادسة، (عدد٣)، ص٢٠-٥٦.

(٣) الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٨، ص ٤٤٤.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

بين أهل اللغة أن (وَسَقَ): أصل يدل على جَمْع للشيء وضمّ وحمل له، وقيل: يدل على السّتر[١]، ويتبين أنه إذا ضُم الشيء وجمع، فقد استتر، وعليه فأصل المعاني واحد.

وتدور **أقوال المفسرين المتقدمين** حول معنى: ما جمع ولف أو دخل فيه، أو ما أظلم فيه واستتر، أو ما ساق فيه[٢]، أقول: ومعظم المعاني يرجع بعضها إلى بعض، ويظهر أنه قسم بجميع المخلوقات. فالمراد به هنا: الليل وما جمع وضم، فإذا جلّل الليلُ المخلوقاتِ جميعها فاجتمعت له، فقد وسقها. وأداة (ما) في هذه الآية: تفيد التعميم والتهويل، وتحتمل أن تكون مصدرية أو موصولة[٣]. أما **المتأخرون:** فقد ذكروا ما بينه أهل اللغة والمفسرون المتقدمون، لكنهم توسعوا في ذكر صور ما يجمعه الليل، من المشاعر والأحاسيس والانفعالات، والمتع والآلام...[٤]، وعليه فليس ثمة تعارض.

ثانيا: علاقة مقصد سورة الانشقاق بالإشارة

لقد تبين أن جواب القسم في قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ [الانشقاق]، هو مركز ثقل سورة الانشقاق، وهو المعبّر عن مقصودها. وترجح أن المعنى: لتتحولن حالاً عن حال، وهذا يعني: أن الأحوال ستتغير، وتشمل: أحوال الزمان والمكان والأبدان.

ثم تأكد لي أن السورة تدور حول موضوع التغير والاختلاف الكوني والبشري؛ لأن الجميع مستسلم ومنقاد لله ﷻ، وهو أحد أكبر الدوافع للعمل، ويتمثل هذا الانقياد في صورة السماء والأرض، وهما مستسلمتان لأمر الله بالانشقاق والامتداد، كذلك صور الشفق والليل واتساق القمر، كلها صور وإشارات ترجح ما توصلت إليه في بيان المقصد الكلي للسورة.

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٥، ص١٩١، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٩، ص١٨٥، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٦، ص٨٢، ابن منظور **لسان العرب**، ج١٠، ص٣٧٩، الزبيدي، **تاج العروس**، ج٢٦، ص ٤٦٩، الكفوي، **الكليات**، ص٩٤٨.

(٢) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٣١٩-٣٢١، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٣٧، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٢٩، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٢٨، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٥٨، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٠١، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٥٩، **تفسير الجلالين**، ص٨٠٠، عبد الباري، عبد المجيد الشيخ، (٢٠٠٦م)، **الروايات التفسيرية في فتح الباري**، ط١ ،٣م، (أصلها رسالة دكتوراة)، نشر: وقف السلام الخيري، السعودية، ج٣، ص١٣٣٢.

(٣) العكبري، **التبيان في إعراب القرآن**، ج٢، ص٢٨٤.

(٤) النجار، زغلول، مقال بعنوان: من أسرار القرآن، **صحيفة الأهرام**:٣، جمادى الآخرة، ١٤٢٨هـ، سنة ١٣١، عدد: ٤٤٠٢٣، مكي، **المعين على تدبر الكتاب المبين**، ص٥٨٩، العودة، **إشراقات قرآنية**،ج٢، ص٢٦٦.

"ويقابل هذه الصور الكونية الخاضعة لله ﷻ صورة إنسانية خاضعة ومستسلمة لله ﷻ أيضا، في كدّها وكدحها، وحياتها وموتها، فالخضوع لله سبحانه يتمثل في الخلق والتكوين، كما يتمثل في النهاية والمصير" (١). وبذلك يتم رسم الصورة الكلية والتي يبرز بها المقصد العام للسورة عبر تفاعل مجموعة صور في السياق القرآني.

ولما ذكرت سورة النبأ أن الليل لباس للمخلوقات، يجمعها ويسترها ويغطيها، فكذلك أقسم الله ﷻ في سورة الانشقاق بالليل وما حوى وضم وستر، وبهذا تتبين العلاقة بين أول إشارة مختصة بالليل، وبين هذه الإشارة.

لقد جمعت سورة الانشقاق بين الشفق والليل والقمر، والليل: هو موطنها جميعا، ولذلك أقسم الله ﷻ بالليل وما حوى وجمع. ثم إن جميع هذه الإشارات تتبدل وتتغير في الدنيا، والإنسان شاهد لهذا التغير الكوني اليومي.

ولأن السورة تسوق الأعيان الكونية لِتؤكد حقيقة انقيادها مع الظواهر الكونية لله ﷻ، فإنه يلحظ في إيرادها جوّا من الخشوع والجلال والهيبة، فقد ذكر سيد قطب أن الشفق: هو الوقت الخاشع المرهوب بعد الغروب، والليل: وقت الوحشة بظلامه، ويلفه الخشوع والخوف والسكون، ويزداد هذا الجو جلالة مع وجود القمر، وخاصة وقت اتساقه(٢). فإذا تقرر ما سبق فإنه يظهر لي الترابط الوثيق بين الإشارات، فقد تضافرت جميعها وتكاملت لتعميق حقيقة انقيادها لله ﷻ.

إن هذه السماء ببنائها العظيم وخلقها القويم، ستنشق وستتبدل وينقلب كيانها؛ لأنها منقادة مستسلمة لله، ودليل قدرة الله على ذلك، هو ما يراه الإنسان كل يوم من انقلاب فيها، وأظهر تلك الانقلابات: إتيان الليل بعد النهار، بما يحويه من نجوم تخنس وقمر يتسق.

وهذا الليل في حقيقته: هو جزء من نظام كوني بديع، قائم على التعاقب بينه وبين النهار، وهو موطن الانقلابات الكونية العلوية. وبمثل هذه القدرة الربانية في الانقلابات، فإن هذه القدرة تشمل أيضا التحولات الأرضية، فمن كان قادرا على كل هذا في الحياة الدنيا، فهو على تبديل أحوال المخلوقات في الدنيا أقدر، ومن قدر عليها اليوم، فهو على بعثكم يوم القيامة أقدر.

وكما أن الليل يجمع المخلوقات، فالطيور تعود لأوكارها، والأنعام ترجع إلى مرابضها، والناس يعودون إلى مساكنهم، فكذلك ستنقلبون حالا بعد حال: فتولدون ثم تتقلبون في الدنيا،

---

(١) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٨٣، بتصرف بسيط.

(٢) أشار لهذه المعاني: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص ٣٨٦٨-٣٨٦٩.

وأخيرا تعودون بعد البعث إلى الله ﷻ. وبكل ذلك تتضح العلاقة بين هذه الإشارة وبين مقصد السورة، إذ إن هذه الإشارة قد جاءت لتكمل حقيقة التغير والاختلاف الكوني والبشري.

كما تشير هذه الإشارات إلى ديمومة حركة الكون، التي تؤدي لانقلابات كبرى، فهذه نجوم تظهر ثم تخنس، وهذا ليل يقدم بعد نهار، وهذا قمر يتسق بعد نقصان، وفي هذا إشارة إلى أن عيش الأمم بأفرادها، يكون ضمن تحركات وتقلبات فلن يدوم لها حال. وبذلك فإنني ألمح ضمن هذه الإشارة، التبشير الإلهي بتبدل حال المسلمين، ولكن هذه البشارة تحتاج لتكليف دنيوي، وعمل وفاعلية، ثم سعي للوصول لتحقيقها، والله أعلم.

المطلب الخامس: القسم بالليل إذا يسر

موضع هذه الإشارة هو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الفجر]، وهي الإشارة الخامسة التي تختص بالليل في الجزء الثلاثين، ولم ترد الإشارة في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع.

أولا: مقصد سورة الفجر

لقد تنوعت أقوال المفسرين إزاء مقصود السورة، فذكر الفيروزأبادي أن مقصدها: تشريف العيد، وعرفة، وعشر المحرم، والإشارة إلى هلاك عاد وثمود وأضرابهم، وتفاوت حال الإنسان فى النعمة، وحرصه على جمع الدنيا، والمال الكثير، وبيان حال الأرض فى القيامة، ومجيء الملائكة، وتأسف الإنسان يومئذ على التقصير، وأن مرجع المؤمن عند الموت إلى الرحمة والنعيم[١]. ويظهر أن هذا ذكر لموضوعات السورة.

واعتبر البقاعي: أن البعث الأخروي والحساب هو مقصود السورة[٢]. وأضاف ابن عاشور بأن السورة تضرب المثل لمشركي مكة في إعراضهم عن الرسالة، بمثل عاد وثمود وقوم فرعون، وتنذرهم بالعذاب، وتثبت النبيء ﷺ مع وعده باضمحلال أعدائه، إذ يحسبون أن الغنى أو الفقر دليل الإكرام أو الإهانة، وأنهم يندمون يوم القيامة على أن لم يقدموا لأنفسهم من الأعمال ما ينتفعون به[٣]. وهذا أيضا تعداد لموضوعات السورة.

---

(١) الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج١، ص٥١٨.
(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٢٢، ص٢١.
(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص ٣١٢.

واقتصر الميداني على مقصد الإنذار والتحذير للكفار، والترغيب للمؤمنين[١]، وقيل: إن مقصدها: إثبات عذاب الكافرين يوم القيامة[٢]، وقيل: عرض مشاهد القدرة الإلهية في الكون والإنسان، مع بيان عاقبة الطغاة[٣].

وأرى أن الوقوف على مقصد السورة يمكن أن يتأتّى من خلال معرفة وقت وملابسات نزول السورة، فقد ذكر المفسرون أن سورة الفجر: مكية بقول الجمهور[٤]، وهي من أوائل سور القرآن نزولا[٥].

ولا يخفى أن المسلمين في فترة نزولها، كانوا يواجهون صنوفا من العذاب، وكانوا يعيشون في ظلمة وضيق، ويشير لهذا ما جاء في نزول السورة التي بعدها، وهي سورة الضحى، عندما قالت المرأة للنبي ﷺ: (إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك)[٦]، فلو كان المسلمون في عزة ومنَعة، لما تجرأت تلك المرأة على ذلك القول. فإذا تقرر ما سبق فإنه يترجح لي أن السورة أنزلت **لتبشر المؤمنين العاملين الفاعلين، وتنذر الكفار وتحذرهم من عاقبة كعواقب الطغاة.** ولا أدل أيضا من اسم السورة الدال على الإشراق والنور.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (السُّرَى): هو المُضِيّ والسّير ليلا، وكل ما طَرَقَ ليلا: فهو سار[٧]. وقد تنوعت آراء **المفسرين المتقدمين** إزاء المقصود بالإشارة، لكن أقوالهم تدور حول المعاني

---

(١) الميداني، **معارج التفكر**، ج١، ص٥١٦.

(٢) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**،ج٩، ص١٢٦.

(٣) **المختصر في التفسير**، ص ٥٩٣، وينظر: عصام، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها**، ص ١٦.

(٤) ذكر الشوكاني في **فتح القدير** أنها مكية بلا خلاف، ج٥، ص٥٢٦، وذكر الألوسي في **روح المعاني** أنه قول الجمهور، ج ١٥، ص ٣٣٣، وذكر صديق خان في **فتح البيان**: أنها مكية بلا خلاف في قول الجمهور، ج١٥، ص٢١١.

(٥) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧٤٦، البرهان الجعبري، **تقريب المأمول في ترتيب النزول**، ص٣، ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ،ج٣٠، ص٣١١، الميداني، **معارج التفكر**، ج١، ص٥٠٩. وآياتها ثلاثون آية في الكوفي والشامي، أما البصري فتسع وعشرون، والباقون اثنتي وثلاثون. الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص ٢٧٣. وهي السورة التاسعة والثمانون في ترتيب المصحف.

(٦) **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾،ج٦، ص١٧٢، برقم:٤٩٥٠. وهذا القول من المرأة هو رد على أولئك الذين قالوا: إن القرآن من محمد ﷺ فكيف ينقطع وهو منه! والحق أيضا أن هذا الفتور من الوحي ضروري في الدعوة؛ ليثبت أن ما جاء به محمد ﷺ ليس حديث نفس ولا إلهام ولا إشراقات، بل هو أمر خارج ذات محمد ﷺ ولذا رأيناه هناك عند الغار يُضم ضما شديدا من قبل جبريل ﷺ ليؤيد هذا المعنى.

(٧) الفراهيدي، **العين**، ج٧، ص٢٩١، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١٣، ص٣٨، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص٣٨٢.

اللغوية[١]، وبعضهم قال: إذا أقبل، وقيل: إذا يجري، سواء مقبلا أو مدبرا[٢]. والأصل في الإشارة: العموم، إلا أن بعض المفسرين خص هذا الليل: بليلة مزدلفة، وبعضهم خصها بليلة القدر[٣]. وأرى أن الراجح هو القول: بأنه قسم بالليل حين يمضي ذاهبا. كما أن المقصود: جنس الليل؛ لأنه قول أكثر المفسرين، ثم لأنه الموافق لمقصد السورة كما سيتبين.

أما **المتأخرون:** فبالإضافة لما ذكره المتقدمون، فإنهم يذكرون سبب سريان الليل بالإقبال والإدبار، ويذكرون أسباب وفوائد تقلب الليل مع النهار، ثم مساوئ سرمدية الليل[٤]. وعليه فليس ثمة تعارض بين الأقوال.

ثالثا: علاقة مقصد سورة الفجر بالإشارة

يظهر في بداية السورة، أنها قد جمعت القسمَ بخمسة أمور، وهي: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الفجر]؛ لتؤكد حقيقة أن العاقبة للمؤمنين، وأن عاقبة الطغاة وخيمة، فالباطل في تمكنه من الحق: هو كالليل الذي يسري، وما دام أنه يسري، إذن لن يدوم، فلا بد أن يتمكن الحق من الباطل بإشراقه ونوره، كما هو مجيء الفجر بعد الليل الساري. وعلى ذلك فهي بشارة للمؤمنين. ويشار إلى أن الياء حذفت من كلمة (يسر)[٥]؛ للدلالة على خفة ذلك الليل وسرعة سريانه. وبذلك تتكشف الدقة القرآنية في اختيار اللفظ الدال على الإشارة.

كما أن السورة تدعو للتفاؤل، ولهذا أقسم بعد الفجر: بليال عشر، ولا يوجد دليل هنا –يركن إليه–على أن المقصود بها ليالي رمضان، أو أيام العشر الأوائل من ذي الحجة[٦]؛ لأن نزول السورة كان قبل الهجرة، ثم إن اللفظ ورد بالنكرة، فلو قصد ليالي رمضان، لقال: والليالي

---

(١) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٤٠١، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٤٨، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٤٩، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣٩٤.

(٢) نقله الرازي عن قتادة، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٥٠، وينظر: **تفسير الجلالين**، ص٨٠٦.

(٣) **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٦٦، وأكثر المفسرين على العموم. الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٥٠.

(٤) **تفسير السعدي**، ص٩٢٣، الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٣، ص ٥٢٩، النجار، **الأرض في القرآن الكريم**، ج٢، ص٤٢٤، زايد، **الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم**، ص٤٨، منصور، **سباحة الأرض وجريانها**، ج٨، ص ١٨.

(٥) قرئت: يسر، ويسري بإثبات الياء. ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص١٩٠. الأزهري، محمد بن أحمد، (ت: ٣٧٠هـ)، **معاني القراءات**، ط١، ٣م، مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية،١٩٩١ م، ج٣، ص١٤٣.

(٦) تنظر الأقوال في: **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٣٩٥، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢٦٥، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢٤٧.

العشر[١]، ولو قصد أيام ذي الحجة، لقال: والأيام العشر، ولذا يمكن أن يكون المقصود هنا: الليالي التي يكون فيها ضوء القمر أشد وأشرق وأسطع ما يكون، وهي الليالي الوسطى من الشهر القمري[٢]. وهذه الدلالة هي الأنسب للقسم بالفجر. فكأنه يقول: إن الليل ليس دائما يكون مظلما، بل فيه من الاشراق والنور ما فيه.

أقول: وكأن الله ﷻ يقول: إن مع هذا العسر الذي تعيشونه مع الظلمة، فيه يسر خفي، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥﴾، فلينظر المسلم للجانب المشرق من الليل حين يسري، وليعلم أنه يسري ولا يتوقف، فمع أنه ليل مظلم، لكن فيه الفائدة التي لا تتأتى إلا به، وسيأتي بعده فجر مشرق.

ويظهر لي أيضا، أن سريان النبي ﷺ في حادثة الإسراء، كان لها الأثر البالغ في إشراق نفس النبي ﷺ، وكأن الله ﷻ لما أسرى به، في ظلمة الليل، يريد من النبي ﷺ أن يستشعر معاني التفاؤل والأمل، حتى في أحلك ظروفه، وكأنه يقول له: إن هذا الظلام سيزول ويسري كما تسري أنت اليوم.

وهكذا فإن هذه الإشارات العلمية قد تناسقت جميعها تناسقا بديعا، وترابطت ضمن علاقات غاية في الجمال؛ لخدمة مقصد السورة. "ثم إن في التعبير عن حركة الليل بالسّرى...، إشارة إلى أنه يتحرك في مسيرته، والأحياء نيام لا يشعرون به"[٣]، ولهذا فإنه يلحظ أن من يعمل ضد الأمة ويكيدها، يعمل غالبا تحت الظلام، دون أن تشعر به الأمة، وفي هذا تأكيد على أن الداعي لا يعمل في الظلام، بل كل أمره في النور، لاستمداده المعرفة القدسية من النور ﷻ.

وأختم هنا بقول الدكتور فضل عباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤] في العلاقة بين الإشارات، حيث قال: " وهذا القسم فيه كفاية وغناء للعقلاء الذين يتفكرون في هذا الكون كيف يتعاقب فيه الليل والنهار، والظلمة والنور، وكيف يطرد نور الفجر ظلمة الليل، وكذلك شأن الحق والباطل، وجواب القسم محذوف دلّت عليه هذه الآيات، أي: لينصرن الله نبيه ودينه والمؤمنين، وليظهرن الله هذا الدين

---

(١) عباس، فضل حسن (ت:٢٠١١)، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط٢، ٢م، دار النفائس، الأردن، ٢٠١٠م،ج٢، ص٣٠٦.

(٢) محمد عبده (ت: ١٩٠٥م)، **تفسير جزء عم**، ط٣، ١م، مطبعة مصر، ١٣٤١هـ، ص٧٧.

(٣) الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج١٦، ص١٥٤٩.

(٤) فضل حسن عباس، من أبرز علماء التفسير في الأردن، ولد ١٩٣٢م، حصل على الدكتوراة من جامعة الأزهر، عام١٩٧٢م، له العديد من الكتب المطبوعة، في علوم القرآن والبلاغة والفقة. توفي عام: ٢٠١١م. ينظر: جمال أبو حسان، **دراسات إسلامية وعربية**، ط١، ١م، دار الرازي، الأردن، ١٤٢٣هـ، المقدمة.

مشرقا كما شق الفجر ظلمة الليل..."[١]. وبهذا تتأكد لي حقيقة أن هذه الإشارة كانت داعما لتأكيد مقصد تبشير المؤمنين العاملين في السورة.

المطلب السادس: غشيان الليل

هذه الإشارة السادسة المتعلقة بالليل في الجزء الثلاثين، وكان ورودها في أربعة مواضع من القرآن الكريم[٢]، أما في هذ الجزء، فلم ترد سوى مرتين:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾ [الشمس].

والثانية: في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾﴾ [الليل].

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (غَشَي): أصل يدل على تغطية شيء بشيء، لكنه يفرق عن التغطية: بأن الغِشاء يكون رقيقا[٣]. وتدور أقوال **المفسرين المتقدمين** حول هاتين الآيتين، أنهما بمعنى: القسم بالليل إذا يغشى الشمس، فيظلمها ويسترها حتى تغيب، فتظلم الآفاق[٤]، أو يغشى الأرض فيظلمها، أو يغشى الكون والخلائق جميعها[٥].

أما **المتأخرون** فقد ذكروا أن القرآن الكريم استعاض عن ذكر حركة الأرض، بالإشارة إلى تغشية كل منهما بالآخر، وتقلبهما واختلافهما وولوجهما وانسلاخهما، كما يذكرون سبب غشيان الليل وتقلبه مع النهار، وفوائد هذا الغشيان والتقلب، مع بيان مضار سرمدية الليل[٦].

وبين النجار أن الضمير في قوله: ﴿يَغۡشَىٰهَا﴾، يعود على الشمس، ولكن صعوبة فهم كيفية تجلية النهار للشمس، وكيفية غشيان الليل لها، دفع بعدد من المفسرين إلى نسبة الضمير إلى الأرض، أو إلى السماء، أو إلى الكون؛ ذلك أن الناس منذ الأزل يؤمنون بأن الشمس هي التي

---

(١) فضل عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٢) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٤٩٨.

(٣) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج ٨، ص ١٤٥، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص ٣٤١، أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، ص ٣٨٥.

(٤) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٤٥٣، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٨٢، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٥٨، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٦٢، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٩٠، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٧٥، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٤١١، **تفسير الجلالين**، ص٨٠٩.

(٥) **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٨٦، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧٦٦، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ١٨١، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٤١٧، **تفسير الجلالين**، ص٨١٠.

(٦) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص١٦٧-١٧٢، النجار، **الأرض في القرآن الكريم**، ج٢، ص٤٢٤، الصوفي، **آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية**، ج٦، ص ٢٣٥-٢٤٤، زايد، **الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم**، ص٤٧-٤٨.

تجلي النهار، ولم يكن أحد من الخلق يتصور إمكانية أن يكون النهار هو الذي يجلي الشمس[١]. ولا شك أن هذا المعنى قد ذكره المتقدمون، كما سبق بيانه.

ثم يذكر النجار أن الليل المقصود به هنا: "هو ليل السماء؛ لأنه هو الذي يغشي الشمس ويظلم السماء، أما ليل الأرض فلا علاقة له بإغشاء الشمس...، فليل الأرض: هو الفترة الزمنية من الإظلام التي تعتري نصف الأرض البعيد عن مواجهة الشمس، وهو إظلام مؤقت متحرك مع حركة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، أما ليل السماء فهو إظلام دائم"[٢]. لكنه تبين لي أن المتقدمين ذكروا ما قاله المتأخرون، وعليه: فلا يظهر وجود تعارض بين أقوالهم في هذه الإشارة.

ثانيا: علاقة مقصدي سورتي: الشمس والليل بالإشارة

لقد جمعت سورة الشمس القسمَ بإحدى عشرة إشارة، ولم تأت سورة في القرآن الكريم بمثل هذا الحشد من الأقسام، وسبق أن بينتُ العلاقة بينها جميعا[٣]، وأن تضافرها كان تأكيدا على حقيقة التكامل بين المظاهر الكونية، والذي يجب أن يكون ملهما لإدراك التكامل في التكاليف الشرعية؛ ليكون سببا في التزامها والعمل بها. ومن هنا فقد كان أحد أبرز مظاهر ذلك التكامل: هو ما يظهر بين غشيان الليل وتجلية النهار.

ومن خلال النظر في هذه الأقسام، يتبين أن ورودها كان بصيغة الماضي، إلا الإشارة المتعلقة بالليل، فقد جاءت بصيغة المضارع؛ وسبب ذلك –كما ذكر المفسرون–: أن الليل لا يُذهِب الضياء بمرة، بل شيئاً فشيئاً، أو لقلة أوقات الظلمة الحالكة على الأرض، بعكس النهار[٤].

ومن مظاهر ذلك التكامل: ما ذكره المتأخرون من أن التعاقب بين الليل والنهار أمر ضروري لاستقامة الحياة، فبهِ يتم التحكم في كل من درجات الحرارة والرطوبة، وكميات الضوء اللازمة لمختلف الأنشطة الحياتية، وفيها عون للإنسان على تحديد الزمن، وتأريخ الأحداث المتتابعة[٥]، وبهذا يتكشف التناسق وحسن التكامل الوظيفي في تبادل الليل والنهار، فهُما آيتان تشهدان على دقة وانتظام بناء الكون.

---

(١) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٤٩١.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٩٣. وينظر: منصور، **سباحة الأرض وجريانها**، ج٨، ص١٧.
(٣) صفحة: ٥٥.
(٤) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**،ج ٨، ص ٤٣٨، محمد عبده، **تفسير جزء عم**، ص٩٤.
(٥) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص ٤٨٦.

ثم إن الليل والنهار آيتان لهما ارتباط مباشر بحياة الإنسان وبقية الكائنات، ولذا يمكن أن يشار هنا إلى ما يذكره المتأخرون من نشاط بعض الغدد في جسم الإنسان، والتي يكون تأثيرها قائما في الليل، مثل (الغدة الصنوبرية): وهي المسؤولة عن إنتاج أحد الهورمونات المهمة للحياة، هو: (الميلاتونين)، وهذا الهورمون يلعب دورا مهما في المحافظة على جسد الإنسان[١].

وقد لفت سيد قطب النظر إلى دور الظلام في سكون الخلايا الحية لكل حي، حيث بين: أن السكون بالليل ضرورة لكل حي، فلا بد من فترة من الظلام تسكن فيه الخلايا الحية لتستكمل نشاطها في النور، ولا يكفي مجرد النوم لتوفير هذا السكون، بل لابد من ليل، فالخلية الحية التي تتعرض إلى ضوء مستمر، تصل إلى حد من الإجهاد تتلف معه أنسجتها؛ لأنها لم تتمتع بقسط ضروري لها من السكون[٢]. وبهذا تتجلى العلاقة التكاملية بين غشيان الليل وتجلي النهار، وبين خلايا ووظائف الإنسان، وكل ذلك لبناء صورة للتكامل الكوني.

إن كل ذلك دليل على قدرة الله ﷻ على بناء التكامل الوظيفي بين المظاهر الكونية، وإن موجد هذه التكاملات، هو سبحانه من أوجب التكاليف، فعلى العاقل الذي ألهم الله نفسه تقواها، أن يستلهم من هذه الدقة في التكامل، لتكون سببا في القيام بالأوامر التكليفية.

ولهذا فإن الإنسان إذا التزم التكاليف وأدى ما عليه فقد أفلح، وعندها يكون كالشمس في إشراقها، وأما إذا غلب عليه الهوى، وأخذ طريق الباطل، وترك تأدية العمل، " فقد غربت شمس عقله، وعميت بصيرته، واشتمل عليه ليل دامس مظلم، لا نجم في سمائه ولا قمر"[٣].

وقبل أن أتطرق للعلاقة بين مقصد سورة الليل وهذه الإشارة، لا بد من تحديد مقصد السورة، فقد توصلتُ لوجود اتفاق بين المفسرين، على أن مقصد سورة الليل: بيان التفاوت والاختلاف بين الخلق وأعمالهم وجزائهم، لكن على اختلاف وتنوع في العبارة.

وقد أكد على هذا المقصد الفيروزأبادي، والبقاعي، وسيد قطب، كما أشار إليه ابن عاشور، والميداني، وغيرهم[٤].

---

(١) جاء في **الموسوعة العربية العالمية**: أن الغدة الصنوبرية توجد قرب مركز الدماغ في الإنسان، وتفرز هورمون الميلاتونين. ويتنوع إنتاج هذا الهورمون تبعًا لفترات النور والظلام في البيئة. **الموسوعة العربية العالمية**، ج١٧، ص ٧١. وينظر: عبد الحميد دياب و أحمد قرقوز، **مع الطب في القرآن الكريم**، ط١، ٢م، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٢ م، ص١٠٦، العبيدي، **ومضات إعجازية**، ج١٠، ص٣٢، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص ٤٨٦.

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص ٣٠٩٣.

(٣) الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج١٦، ص١٥٨٤.

(٤) ينظر: الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**،ج ١، ص ٥٢٣، البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ط١، ٣م، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٧ م، ج٣، ص١٩٨.

☜

ويترجح من خلال النظر في أقوال المفسرين ومقاطع السورة[١]، أن ما ذكروه في مقصد السورة صحيح، وهو: **بيان الاختلاف بين الآيات والأنفس وأعمالها وجزائها؛ وذلك إظهارا للتفاضل بين الخلق**[٢]. فليس المعطي كالمانع، وليس العامل كالقاعد، وليس المؤثر الفعّال كغيره. وإن قيل: لماذا أقسم الله ﷻ على قضية معلومة؟ فالجواب أن المقصود: التأكيد على ما يترتب عليه من جزاء.

لقد ابتدئ في سورة الليل بذكر الليل ثم النهار، بخلاف سورة الشمس؛ وهذا مناسب لاسم كل سورة. وهنا أقسم الله ﷻ بالليل والنهار: وهو الزمن الذي يكون فيه السعي والعمل، ثم أقسم بمن يسعى: وهم الذكر والأنثى. وإن اختلاف سعي الناس يحمل معنى المزاوجة، والتي تكون بين إيمان وكفر، وطاعة وعصيان، ولذلك وصف السعي بـ (شتى)، "ثم إن هذه المزاوجة شبيهة بالمزاوجة بين الذكر والأنثى، فهي مفضية إلى صلاح الأرض واستمرارية الحياة"[٣].

ويتضح أن جواب القسم في السورة: هو ما يمثل مقصدها، وهو اختلاف السعي والذي ينبني عليه اختلاف الجزاء. والسعي: هو ظهور لما كان مستترا في النية والمقصد، وهذه النيات فيها ستر وتغطية وغشاء كالليل، والسعي بعدها يجليها ويكشفها، كالنهار إذا تجلى. وينتج عن هذا أن يقال: إن السعي سعيان: سعي يكون في الفجور والعصيان والهلاك والظلمة، فهو كالليل إذا يغشى. وسعي آخر في الصلاح والخير والنور والإشراق، فهو: كالنهار إذا تجلى.

وقد بين ابن عاشور، أن سعي الناس منه خير ومنه شر، وهما يماثلان النور والظلمة، وأن سعيهم ينبثق عن نتائج: منها النافع ومنها الضار، كما ينتج الذكر والأنثى ذرية صالحة وغير صالحة[٤]. فبذلك يكون سبحانه قد "أقسم بالمتفرقات خلقاً وأثراً، على المساعي المتفرقة في أنفسها وآثارها"[٥]. وبهذا تتبين مساهمة هذه الإشارة، في تحقيق مقصد السورة، كما يتكشف كمال التكامل بين الإشارتين؛ لخدمة مقصد اختلاف السعي في السورة.

ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص ٣٧٨، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٩٢٠، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج١٠، ص ١٩٣١، الميداني، **معارج التفكر**، ج١، ص٤٨٧، الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٣٠، ص٢٦٦.

(١) ويمكن للباحث أن يقسم السورة إلى ثلاثة مقاطع رئيسية:
الأول: (١-٣): القسم بأمور متفرقة وقضايا كونية دائمة السعي، ويظهر منها التقابل.
الثاني: (٤-١١): جواب القسم، وذكر شواهد عليه.
الثالث: (١٢-آخر السورة): ذكر عاقبة هذا السعي.

(٢) **المختصر في التفسير**، ص ٥٩٥.

(٣) ينظر: المزيودي، **الإعجاز البياني في سورة الليل**، نسخة الكترونية، ص٨.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ،ج٣٠، ص ٣٧٨.

(٥) السبحاني، **الأقسام في القرآن**، ص١٧٣.

المطلب السابع: القسم بسجي الليل

لم ترد هذه الإشارة في القرآن الكريم، إلا في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى].

وهي الإشارة السابعة المتعلقة بالليل في الجزء الثلاثين. وقبل أن أحدد العلاقات بين الإشارة ومقصد سورة الضحى، يجب أن نحيط خبرا بمقصد السورة، وبمعاني الإشارة ودلالاتها.

أولا: مقصد سورة الضحى

لقد تبين لي أن معظم من تعرض لمقصد السورة، اعتبر أنها تتحدث عن مكانة النبي ﷺ فقد ذكر ذلك كل من الفيروزأبادي، والبقاعي، وسيد قطب، وابن عاشور، والزحيلي[١]. ولعلّي أقف عند عبارة البقاعي، إذ أرى أن جمالها يمنع التجاوز عنها، فقد قال:" إن مقصودها: الدلالة على ما في آخر سورة الليل، بأن أتقى الأتقياء في عين الرضا دائما، لما تحلى به من صفات الكمال، التي هي الإيصال للمقصود بما لها من النور المعنوي كالضحى، وبما له من النور الحسي، الذي هو أشرف ما في النهار، وقد عُلِم بهذا أن اسمها أدل ما فيها على مقصودها"[٢]. فقد ربط البقاعي بذكر مقصود السورة بينها وبين ما قبلها، ثم بينها وبين اسم السورة، ثم سبب اختيار القسم بالضحى.

ويتبين لي أنه يمكن أن يتأتى تحديد مقصد السورة أيضا من خلال النظر في ملابسات نزولها، فقد ذكر المفسرون: الاتفاق على مكيتها[٣]، وهي من أوائل السور نزولا[٤].

وورد في نزولها مجموعة روايات، لكن أصحها إسنادا، وأحسنها متنا[٥]، أنه (اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين–أو ثلاثا–فجاءت امرأة، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون

---

(١) الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج١، ص٥٢٥، البقاعي، **نظم الدرر**، ج٢٢، ص١٠٠، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص ٣٩٢٥، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٣٩٥، الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٣٠، ص٢٧٩.

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٢٢، ص ١٠٠.

(٣) ذكر أنه بلا خلاف ابن عطية في تفسيره، ج٥، ص ٤٩٣، ونقل الاتفاق ابن الجوزي، في **زاد المسير**، ج ٤، ص ٤٥٦، وذكر الشوكاني أنه بلا خلاف، الشوكاني، **فتح القدير**، ج٥، ص٥٥٦، وكذلك صديق خان، **فتح البيان**،ج١٥، ص٢٧٣، وذكر الاتفاق ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص ٣٩٣، وينظر: طنطاوي، **الوسيط**، ج١٥، ص ٤٢٥.

(٤) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧٦٥، البرهان الجعبري، **تقريب المأمول في ترتيب النزول**، ص٣، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص ٣٩٤. وعدد آياتها إحدى عشرة آية أيضا بلا خلاف. أبو عمرو الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص ٢٧٧.

(٥) حكمت بن بشير بن ياسين، **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، ط١، ٤م، دار المآثر، المدينة النبوية،١٩٩٩م، ج٤، ص٦٤٣.

شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين–أو ثلاثة–فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [الضحى][1]. وبهذا يظهر أن السورة نزلت على النبي ﷺ بعد انقطاع من الوحي عنه ﷺ.

وقد اعترض محمد عبده وغيره على مسألة احتباس الوحي، مستدلا على أنه من أين للمشركين أن يعلموا فترة الوحي فيقولوا أو يطعنوا! ولكن ذلك كان شوق النبي ﷺ إلى مثل ما رأى وما فهم عن الله، وما ذاق من حلاوة الاتصال بوحيه، وكل شوق يصحبه قلق، وكل قلق يشوبه خوف. وقيل: إنما جرى تأخر الوحي حسب سنة الله ﷻ في التدرج في النزول[2]. فالتعليل هنا غاية في الجمال، لكنْ يَردّ ما أنكره: ما ورد في لفظ حديث آخر: (أن جبريل ﷺ احتبس على النبي ﷺ فقالت امرأة من قريش: أبطأ عليه شيطانه. فنزلت السورة)[3].

وذكر ابن حجر أن المرأة هي: أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب[4]، وأما كيف عرفت أن رسول اللّه ﷺ لم يقم ليلتين أو ثلاثا؟ فالجواب: ما بينه ابن عاشور، من أن الليل: هو وقت قيام النبي ﷺ بالقرآن الكريم، وهو الوقت الذي كان يسمع فيه المشركون قراءته من بيوتهم القريبة من بيته أو من المسجد الحرام[5]. ومن ذلك يزول الالتباس حول مسألة الاحتباس.

وبهذا يظهر أن المشركين كانوا يتصورون أنّ القرآن الكريم لا بد أن يكون في نزوله كالتوراة، فينزل جملة واحدة، فأجاب الوحي: "بأنّ في نزوله التدريجي تثبيتًا لفؤاد النبي ﷺ؛ لتداوم الصلة بين الموحي والموحى إليه"[6]، فقال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ۝٣٢ ﴾ [الفرقان]، فالآية تعكس فكرة المشركين حول نزول القرآن الكريم، ولو نزل عليه الوحي جملة واحدة فسوف يوصد باب الوحي بعد ذلك.

---

(١) **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾، ج٦، ص١٧٢، برقم:٤٩٥٠. وأما الرواية التي تذكر أن سبب احتباس جبريل ﷺ عنه كان موت جرو في بيته! فقد ضعفها أهل العلم المحققون. ينظر: تحقيق **تفسير البغوي**، ج٥ ص ٢٦٥، الحاشية.

(٢) عبده، **تفسير جزء عم**، ص١٠٩، ونقله مرجحا: الخطيب في **التفسير القرآني للقرآن**، ج١٦، ص ١٦٠٠، السبحاني، **الأقسام في القرآن** ص١٧٦، وينظر: المدرسي، **من هدي القرآن** ،ج١٢، ص ٢٣٢.

(٣) **صحيح البخاري**، أبواب التهجد، باب ترك القيام للمريض، ج١، ص٣٧٨، برقم: ١٠٧٣.

(٤) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج ٣، ص٩.

(٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٣٠، ص٣٩٥.

(٦) السبحاني، **الأقسام في القرآن**، ص١٧٦.

فإذا تقرر ما سبق، ثم نظر إلى مقاطع السورة[١]، فإنه يظهر أن مقصد سورة الضحى هو: **تأنيس النبي ﷺ ورعاية الله ﷻ له و الدفاع عنه[٢]، كونه الداعي الفاعل المؤثر، والامتنان عليه بنعمة الوحي، الذي هو سبيل المعرفة القدسية المؤدية للعمل الفاعل.**

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر ابن فارس: أن السين والجيم والحرف المعتل: أصل يدل على سُكُون وإطْباق. وقولهم: سَجَّى الميتَ، أي: مدَّ عليه ثوبا، بمعنى: غَطّاه. وأخبر أهل اللغة أنه بمعنى: سَكَنَ ودام، أو أظلم وركَد، كما يقال: بحر سَاجٍ وليل سَاجٍ[٣].

وقد تنوعت **آراء المفسرين المتقدمين** إزاء المقصود بالإشارة على معان عدة، فقيل معناه: والليل إذا أقبل بظلامه، وقيل: إذا ذهب، وقيل: إذا سكن واستوى[٤]، وبين الرازي: أن أقوال المفسرين غير خارجة عن هذه الوجوه الثلاثة[٥]. لكن يظهر لي أن الليل إذا كان يسري لا يكون ساجيا؛ لأنه في أول ساعاته: يغشى تدريجيا، فتدخل الظلمة شيئا فشيئا، حتى يصل إلى درجة السكون التام والظلمة الحالكة، وهنا يصبح الليل ساجيا، فتستقر فيه الظلمة فترة، ثم يبدأ بالسير نحو الإدبار، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الفجر]، حتى يكتمل مدبرا، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣﴾ [المدثر].

أما **المتأخرون**، فلم أجد من خص هذه الإشارة بالبيان، إلا أن النجار يذكر فيها أسبابَ الليل وفوائدَه ومضارَّ سرمديته[٦]. فيُخْلص من ذلك أن في هذه الإشارة: قسم بالليل في حالة سكونه واشتداد ظلامه وتغطيته، والله تعالى أعلم.

---

(١) يظهر للباحث تقسيم السورة إلى أربعة مقاطع رئيسة:
الأول: (١-٢): ذكر القسم.
الثاني: (٣-٥): ذكر جواب القسم، وهو وعد الله للنبي ﷺ (وتشمل: ثلاثة وعود).
الثالث: (٦-٨): ذكر الأدلة على تحقق هذا الوعد: (وتشمل: ثلاثة أدلة).
الرابع: (٩- آخر السورة): ما يترتب على جواب القسم: (وتشمل: ثلاثة مطلوبات).

(٢) ينظر قريبا من هذه المعاني ما كتبه علماء الأزهر في **التفسير الوسيط**، ج١٠، ص١٩٤٢، الميداني، **معارج التفكر**، ج١، ص٥٥٩.

(٣) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج ٣، ص ١٣٧، الرازي، **مختار الصحاح**، ص ١٤٣، ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٤ص ٣٧١، وينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، ج ٣٨، ص ٢٤٧.

(٤) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٤٨٢، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢٩١، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢٦٦، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٩٣، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ١٩٠، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٤٢٥، **تفسير الجلالين**، ص ٨١١.

(٥) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ١٩٠.

(٦) النجار، **الأرض في القرآن الكريم**، ج٢، ص٤٢٤.

ثالثا: علاقة مقصد سورة الضحى بالإشارة

يلاحظ في مواضع ورود الإشارة المتعلقة بالليل في سورتي الليل والضحى، عدة أمور:

أولا: أن سورة الليل: قدمت الليل على النهار، بخلاف سورة الضحى.

ثانيا: أن سورة الليل: ذكرت القسم بالليل في حالة غشيانه، أما سورة الضحى فذكرت الليل في حالة سجوه.

ثالثا: أن سورة الضحى: عبّرت عن الإشراق بالضحى، بخلاف سورة الليل، فقد عبرت عنه بالنهار.

رابعا: أن سورة الليل: ذكرت القسم بهذه الإشارات؛ للتأكيد على مقصد الاختلاف بين أعمال الناس وجزائهم، وأما سورة الضحى: فللتأكيد على دفاع الله ﷻ ورعايته للنبي ﷺ كونه الداعي العامل.

ويظهر هنا أن سورة الضحى قد جمعت القسم بإشارتين، وهما: الضحى، والليل في حالة سكونه وهدأته. وقد أسندت الآية السجي إلى الليل! مع أن الساجي هم أهله؛ "لأنه ربما سكن بعضهم دون الآخر، أو سكنوا فترة ثم تحركوا، وأسناد السجي إلى الليل؛ لأنه أعم"(١).

ولما عُلم أن سورة الضحى قد نزلت بعد فترة من الوحي، وانقطاع عن النبي ﷺ فإن هذه الفترة تشكل حالة ظلام وسكون، ثم إن معاودة الوحي للنزول بعد ذلك، فهذه تشكل حالة إشراق ونور وحركة. فسكون الوحي: هو حالة الليل الساجي، وتتابع نزوله بعد ذلك: هو حالة الضحى في إشراقه. فالعلاقة تقوم على تشبيه نور الوحي: بالضحى، وانقطاعه: بظلام الليل.

يقول ابن القيم: "فتأمل مطابقة هذا القسم- وهو نور الضحى- الذي يوافى بعد ظلام الليل للمقسم عليه-وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه- حتى قال أعداؤه: ودع محمدا ربُّه. فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره، بعد ظلمة احتباسه واحتجابه. وأيضا فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار، هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة، فهذان للحس وهذان للعقل"(٢). وبهذا فإن ابن القيم قد أبدع في تجلية العلاقات بين الإشارات، والتي كونت الصورة المتكاملة التي رسمتها الآيات الكريمة بين الضحى والليل.

---

(١) دعسان، **التكثيف البلاغي**، ص٧٧.

(٢) ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، ص٤٧.

وقد وجدت أن كثيرا من المفسرين–بعد ابن القيم– قد عبّروا عن هذه العلاقة بهذا المعنى[١]، فكانوا بذلك ناقلين عنه، وعالة عليه. وأخيرا: فإن في الضحى: الكدح والحركة والعمل، وفي الليل: السكون والهدوء والراحة؛ للاستعداد للضحى القادم، وبهذا فمجيء الليل ليس معناه انتهاء الحياة وتوقفها! فكأن المعنى: أن الله ﷻ لما أنزل على النبي ﷺ القول الثقيل، فإن هذا لا شك سيتعبه[٢]، فلا بد من فترة استراحة وسكون؛ لينشط لاستقبال وحي آخر.

وبهذا فقد تكشف لي أن هذه الإشارة بهذا اللفظ، هي أنسب ما تكون في هذا الموضع، ولا يستقيم أن يوضع بدل القسم بالليل إذا سجى، القسمُ به (إذا يغشى)، أو (إذا يسري) أو (إذا عسعس)...؛ لأن هذه الألفاظ تدل على حركة، بخلاف لفظ (سجى)، والله تعالى أعلم.

المطلب الثامن: الاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب

سأتناول هذه الإشارة ضمن الإشارات العلمية المتعلقة بالليل؛ لأن كثيرا من المفسرين ذكر أن معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ [الفلق]، أي: الليل إذا دخل. ولهذا لا بد من الوقوف على مقصد السورة، وبيان دلالة الإشارة فيها.

أولا: مقصد سورة الفلق

لقد تبين وجود خلاف بين المفسرين حول نزول السورة، فبعضهم قال بمكيتها، في حين حكى آخرون بمدنيتها[٣]، لكنه لم يظهر لي وجود خلاف بينهم على أن مقصدها: التحصن بالله ﷻ والاعتصام به والالتجاء إليه. فقد حام حول هذا المعنى، كل من: الفيروزأبادي والبقاعي، وسيد قطب، وابن عاشور، والزحيلي، وغيرهم[٤].

---

(١) ينظر: حجازي، **التفسير الواضح**، ج٣، ص٨٧٤، الشعراوي، **المختار من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٨٣، القيعي، محمد عبد المنعم، **الأصلان في علوم القرآن**، ط٤، ١م، جامعة الأزهر، مصر، ١٩٩٦م، ص ٣٥٠، سعيد، محمد رأفت، **تاريخ نزول القرآن**، ط١، ١م، دار الوفاء، مصر،٢٠٠٢م، ص١٥١.

(٢) قال سيد قطب:" ثقيل في ميزان الحق، ثقيل في أثره في القلب...، وإن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل. وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل". **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٧٤٥.

(٣) ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج٤، ص٥٠٧، صديق خان، **فتح البيان**،ج١٥،ص٤٥٣، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠،ص٦٢٤.

(٤) الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج١، ص٥٥٦، البقاعي، **نظم الدرر**، ج٢٢، ص٤٠٦، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٤٠٠٦، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٦٢٥، الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٣٠، ص٤٧٠، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٩، ص٤٦٥، **المختصر في التفسير**، ص٤٠٦.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

يذكر أهل اللغة أن (الغَاسِق): هو الليل إذا غاب، وقيل إذا دخل أو اختلط. وقيل: هو الظلمة. والوَقب: الدخولُ فيها[١]. وبين ابن فارس أن (غَسَقَ): أصل يدل على ظلمة. ولهذا يقال: غَسَقَتِ العينُ، إذا أظلمت[٢]. وقد تنوعت أقوال **المفسرين المتقدمين** إزاء المقصود بهذه الإشارة، فقيل: هي استعاذة بالله ﷻ من شر الليل إذا أقبل ودخل، أو أظلم، أو سكن. وقيل: من شر النهار إذا دخل في الليل، وقيل: الغاسق هي الكواكب والنجوم[٣].

أما **المتأخرون**، فلم أجد من خص هذه الآية بالبيان، لكن ذكر النجار أن الأمر هنا يفيد: الاستعاذة بالله من شرور الظلمة، ومخاطر الكون[٤]، ومن طرف خفي ذكر بعضهم أن كثيرا من المخاطر تكمن في الليل، ولذلك درسوا مدى تأثير بعض الحشرات ليلا، والتي تأخذ في إنتاج السم داخل جسمها بالنهار، ثم تخرج من مخابئها وقت الغروب، وتأخذ في ممارسة مهامها في اللدغ حتى بعد الفجر، ثم تعاود إنتاج السم[٥]. ومما سبق فإنه يترجح لي أن الغاسق: هو معنى شامل للظلمة، وليس ظلمة الليل فقط، والوقب: هو الدخول فيها.

ثالثا: علاقة مقصد سورة الفلق بالإشارة

لقد جمعت سورة الفلق الاستعاذةَ بالله من شرور أربعة: شر كل ما خلق الله ﷻ، وشر كل ظلمة تقبل على المسلم، و شر كل نافث في عقدة، و شر كل حاسد إذا حسد. ويبدو أن هذه الظلمة يمكن أن تكون ظلمة مادية: كظلمة الليل، أو ظلمة معنوية: كظلمة الأفكار والتصورات والاعتقادات، وهي الأخطر بلا شك، فهي الأشد تأثيرا على عمل الإنسان وسعيه. وبهذا الاعتبار يمكن أن يوجد رباط عام بين كل المستعاذ بالله تعالى من شرها في الآيات، فهي إما أن تكون داخلة ضمن الظلمة المادية أو المعنوية. وبهذا يمكن أن أجد العلاقة بين مقاصد السور التي ورد فيها الليل في هذا الجزء.

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٤، ص٣٥٣، الأخفش، أبو الحسن المجاشعي (ت: ٢١٥هـ)، **معاني القرآن**، ط١، ٢م، (تحقيق: هدى قراعة)، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٩٠م، ج٢، ص٥٨٩، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٨، ص٣١، الجوهري في **الصحاح**، ج٤، ص ١٥٣٧.

(٢) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص ٣٤٠، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص٢٨٨.

(٣) ينظر مجموع الأقوال في **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٧٠٢، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٣٧٥، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٣٣٥، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٢، ص ٣٧٣، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٥٣٥، **تفسير الجلالين**، ص ٨٢٧.

(٤) النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٤٢٣.

(٥) ينظر: نظمي خليل أبو العطا، مقال بعنوان: العقرب، غدار في الليل، موقع: **الموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**،(د.ت).

كما أن الليل إذا اشتدت ظلمته، فقد أصبح وقتا ملائما لأصحاب السوء؛ لبث سمومهم، وتنفيذ مخططاتهم، وتفعيل جرائمهم. والظلمة في الليل: هي بيئة مناسبة ليزهو فيها الباطل؛ فمعظم مجالس اللهو والفجور: تنصب فيها، كما أنها موضع لانتشار شياطين الإنس والجن، ودليله: أن النبي ﷺ قال: (إذا كان جُنح الليل أو أمسيتم، فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر)[١]. وعليه فإن الظلام أجمع للقوى الشيطانية، سواء الإنسية أو الجنية من غيره.

وذكر المفسرون أن الظلمة في الليل: تثير في الإنسان كثيرا من المخاوف، والتي تطل عليه من وراء هذا العالم المجهول، المحجب بهذا الستار الكثيف من الظلام: من عدوّ متربص، أو حيوان مفترس...، وفي الليل خلال وحشة الظلام والسكون والوحدة، تطرق الإنسانَ همومُه ووساوسه، وتتوارد عليه آلامه وأشجانه، فيبيت مؤرقا يئن تحت وطأة الهموم والوساوس[٢]. ولهذا كله ناسب أن تكون الظلمة الليلية، إحدى أهم الأمور التي يستعاذ بالله ﷻ من شرها.

ولهذه الأسباب أيضا، فقد جعل الله ﷻ الظلمة في الليل موضعا ملائما للطاعة والعبادة والقيام، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ٦﴾ [المزمل]. فكما أن الليل الساجي ملائم لأصحاب الجرائم، فكذلك هو ملائم لأصحاب الطاعة والقيام. ويظهر لي أن الليل في هذه السورة قد أتى بوصفه، ولم يذكر صراحة كما في باقي سور الجزء؛ وذلك كي يشمل أنواع الظلمة جميعها.

وبنظرة شاملة لمواضع ورود الإشارة المتعلقة بالليل في الجزء الثلاثين، فإنه يتكشف لي أنه شمل الحديث في هذا الجزء عن معظم حالات الليل: من دخوله وغشيانه وسجوه وسريانه، وفوائده ثم ذهابه. فإن الليل إذا عسعس فأغطش، فإنه يغشى تدريجيا، ليصبح ساترا للناس ومغطيا للمخلوقات كاللباس، حتى يصل إلى درجة السجو والسكون التام، ثم يبدأ بالمضي تدريجيا حتى يعسعس مرة أخرى.

ومما يلاحظ في هذا الجزء، أنه يحتوي على جميع السور التي أقسم الله ﷻ فيها بالليل، يضاف لها سورة المدثر من خارج الجزء، وهي من أوائل ما نزل، وقد أقسم الله ﷻ فيه بكل حالات الليل. وجدير بالملاحظة هنا: أن سورتي التكوير والانشقاق قد اتفقتا على إيراد هذه

---

(١) **صحيح البخاري**، كتاب: بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ج٣، ص١٢٠٣، برقم: ٣١٢٨.

(٢) الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج١٦، ص١٧٢٢، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٦٢٧.

الإشارة في الآية السابعة عشرة[١]! ثم إن سورة الانشقاق قد وافقت سورة التكوير في عدد الإشارات المذكورة، إذ إن كلا منهما جمع ثلاث إشارات، فسورة التكوير جمعت بين الخنّس والليل والصبح، وسورة الانشقاق جمعت بين الشفق والليل والقمر.

إضافة لذلك فإن هناك علاقة بين مقاصد السورتين، فالتكوير مقصدها: بيان قدرة الله وعظمته، من خلال أفعاله في قلب مظاهر الكون المختلفة. والانشقاق مقصدها: موضوع التغير والاختلاف الكوني والبشري؛ لأن الكل منقاد لله، فالسورتان مكملتان لبعضهما.

ثم يلاحظ اتفاق سورتي الفجر والشمس على إيراد الإشارة في الآية الرابعة، وقد ظهر لي الترابط بين مقصد السورتين. فسورة الفجر قامت على تبشير المؤمنين، وإنذار الكفار، وتحذيرهم من عاقبة كعواقب الطغاة، مثل عاقبة عاد وثمود. أما سورة الشمس: فبينت أن الإشارات الكونية ما هي إلا مدرسة للإنسان، فإذا عصت أمة من الأمم وانحرفت عن المنهج، فسنة الله الكونية تقتضي تطهير الأرض منهم، ولما لم تفصّل قصة ثمود في سورة الفجر، فقد كان تفصيلها في سورة الشمس، فالسورتان مكملتان لبعضهما.

ومن خلال دراسة مواضع ورود هذه الإشارة في الجزء، فإنه يلاحظ أنه لم تتكرر أي من تلك الإشارات، إلا ما ورد في غشيان الليل في سورتي الشمس والليل، فلماذا اتفقت سورتا الشمس والليل بذكر غشيان الليل؟ جوابا على ذلك أرى أن سورة الشمس ذكرت موضوع الاختلاف بين الأنفس، فمنها ما أُلهِمَتْ فجورها، ومنها ما ألهما الله ﷻ تقواها، وهذا بيان لاختلاف المنهج والمقاصد والنيات، أما سورة الليل فقد ذكرت موضوع الاختلاف في السعي بين الناس، وبذلك يتضح التكامل بين السورتين.

ويلاحظ في هذا الجزء الموازنة الدقيقة بين تقديم الليل على النهار، إذ إن النهار قد تقدم في ثلاث سور على الليل، وذلك في سور: الضحى والتكوير والشمس. ولا يخفى ما بين أسماء هذه السور من علاقة، فالضحى هو أكمل حالات الشمس، والشمس هي المقصودة بالتكوير يوم القيامة. وبهذا تتجلى العلاقة بين هذه المواضع.

بالمقابل يظهر أن الليل قد تقدم في ثلاث سور أيضا، وهي سور: النبأ والنازعات والليل. ولا يخفى كذلك أن النبأ والنازعات: تتحدثان عن البعث، وأن سورة الليل تتحدث عن اختلاف السعي والنتيجة بعد البعث، وبهذا تتكامل الإشارات مع مقاصد سورها.

---

(١) يضاف إليها من خارج الجزء: قول الله: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الذاريات].

ثم يتبين أن هناك ثلاث سور ذكرت الليل دون النهار، وهي سور: الفلق والفجر والانشقاق. ويبدو هنا التوافق اللغوي بين المصطلحات الثلاث[١]، إذ جميعها تدور في فلك واحد. وبذلك يتكشف الانسجام والتقابل بين جميع الآيات المتعلقة بهذه الإشارة العلمية في الجزء.

ولا بد هنا من علاقة بين تقديم الإشارة وتأخيرها مع الإشارات الأخرى من جهة، ومقصد السور الواردة فيها من جهة أخرى: فتقديم الليل على النهار في سورة النبأ؛ لأنه أنسب لما ذكر قبله، وهو: النوم، وقدم ذكر النوم؛ لأنه أنسب لمقصد السورة، وهو: التدليل على البعث. وتقديم إغطاش الليل على النهار الذي عبر عنه بالضحى في سورة النازعات؛ لأنه موضع ترهيب وتخويف وبيان لقدرة الله في بناء السماء، وذكر الليل بداية أنسب لهذه الأمور، ثم لأن الأصل في الكون هو الليل.

بعد ذلك فإن سبب تقديم عسْعَسْة الليل على تنفس الصبح في سورة التكوير؛ لأنه الأنسب لما قبله من ذكر النجوم الخنّس التي تظهر في الليل، أما في سورة الانشقاق فلم يذكر إلا الليل، لأنه الأنسب لما فُصّل من حال من يأخذ كتابه بشماله، كما أنه الأنسب للقسم بالشفق، والذي هو أول الليل، وكذلك القسم بالقمر إذا اتسق، فالليل جامع لهاتين الإشارتين.

وسورة الفجر، قدم فيها القسم بالفجر: الذي هو أول الإشراق، على الليل الذي يسري؛ لأنه الأنسب لاسم السورة، ثم لأنه الأوفق لمقصد السورة في تبشير المؤمنين بأن العاقبة لهم، فليس من البيان أن تبدأ البشارة بذكر الليل. وأما ما ورد في سورة الشمس، من تقديم للنهار على الليل؛ فلمناسبته لما أقسم به أولا، وهي: الشمس وضحاها، ومناسبته لاسم السورة.

وأما ما ورد في سورتي الليل والضحى، فسورة الليل قدم فيها الليل على النهار؛ لأنه الأنسب لاسم السورة، ثم لأنه الأنسب لما ذكر في آخر سورة الشمس، ولهذا قال الخطيب: " وفي تقديم الليل على النهار، إشارة إلى هذا الظلام الذي كان منعقدا في أفق الحياة الإنسانية، حين كانت ثمود تتحرك بطغيانها على الأرض، فلما دمدم الله عليهم الأرض، ورمى فيى أحشائها بهذا الظلام- عاد إلى الحياة صفاؤها، وطلع نهارها"[٢]، في حين أن سورة الضحى قدمت الضحى على الليل؛ لأن الضحى أشرف أوقات النهار، والسورة تتحدث عن أشرف الناس، فناسب الحديث عن أشرف الخلق، بتقديم أشرف الأوقات، ثم أن السورة كلها أعطيات ومنن من الله ﷻ للنبي ﷺ وأمته العاملة، فناسب البدء بالضحى على الليل الساكن المظلم.

---

(١) الفلق: هو الانشقاق الكبير. أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، ص٤١٣. والفلق: هو الفجر. الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، ص٩١٩، وأصل الفجر: الشق. الزبيدي، **تاج العروس**، ج١٣، ص٢٩٩.
(٢) الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج١٦، ص ١٥٩١.

وفي سورة الفلق يلحظ أن الليل لم يذكر بلفظه، وإنما عبر عنه بالغاسق؛ لأنه أنسب لمقصد السورة؛ وذلك حتى يشمل الوصف كل أنواع الظلمة.

المبحث الثاني: النهار

ذكر أهل اللغة أن النهار من (نَهَرَ): وهو أصل يدل على تفتّح الشيء. والنهار: هو انفتاح الظلمة عن الضياء، ووقته: ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس(١). كما أن فيه معنى: الزجر(٢)، ولذا سمي النهر نهرا؛ لأن الماء يزجر بعضه، أو لأن حواف النهر تزجر الماء. ويظهر من معاني النهار: أنه يدل على الوضوح.

والنهار هو موطن الحركة والسعي وطلب الرزق، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم: سبعا وخمسين مرة(٣)، ولم تسم سورة باسمه مثل الليل. كما أنه لم ينفرد بالذكر في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع، وقد استقرأتُ الآياتِ فلم أجد أن لفظ النهار قد تقدم على الليل إلا في خمسة مواضع من القرآن الكريم(٤)، منها موضعان في الجزء الثلاثين. وقد ورد لفظ النهار في الجزء: ثلاث مرات(٥)، في ثلاث سور، وهي:

أولا: في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ ﴾ [النبأ].

ثانيا: في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ ﴾ [الشمس].

ثالثا: في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [الليل]. وكما هو ظاهر، فإن موضعين منها بصيغة القسم. ولم يقسم القرآن الكريم بلفظ النهار إلا في هذين الموضعين فقط. وبما أنهما متشابهان في الصيغة واللفظ؛ لذا سيتم تناولهما في مطلب واحد.

المطلب الأول: النهار معاش

لم ترد الإشارة بهذا اللفظ إلا في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ ﴾ [النبأ]، وهذه أول إشارة تختص بالنهار في الجزء الثلاثين.

---

(١) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٥، ص٣٨٩، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٦، ص١٤٨، البركتي، **التعريفات الفقهية**، ص٢٣٣.
(٢) الزبيدي، **تاج العروس**، ج ١٤، ص ٣١٥- ٣١٦.
(٣) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٧٢٠.
(٤) في سور: [الأنعام:٩٦]، [هود:١١٤]، [الصافات: ١٩٣]، [الفجر: ١-٤]، [الشمس:١-٤].
(٥) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٧٢٠.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (المَعَاش) من العَيش: وهو أصل يدل على حياة وبقاء، وكل شيء يُعتَاش به أو فيه: فهو مَعَاش[١]، وعليه: فالنهار يطلب فيه العَيش. ولفظ (مَعَاشًا) هنا: إما أن يكون مصدرا، فيقال: عَاش يعِيش عَيشا ومَعَاشا، وعلى هذا التقدير، لا بد من إضمار، والمعنى: وجعلنا النهار وقت مَعَاشٍ. وإما أن يكون ظرفا للتعيش، وعلى هذا لا حاجة إلى الإضمار[٢].

وتدور معظم أقوال **المفسرين المتقدمين** حول قول الطبري: بأن الله ﷻ جعل لكم النهار ضياء؛ لتنتشروا فيه لمعاشكم، وتنصرفوا فيه لمصالح دنياكم، وابتغاء فضل الله فيه[٣]. أما **المتأخرون**: فإضافة لما ذكره المتقدمون، فإنهم يبينون أسباب وجود النهار، ثم ضرورة اتخاذه معاشا، ومشكلات اتخاذه موطنا للنوم[٤]. وعليه فليس ثمة تعارض.

ثانيا: علاقة مقصد سورة النبأ بالإشارة

لما كان مقصد سورة النبأ: التدليل على البعث؛ لأنه الدافع للعمل والسعي، فإن ذكر الليل بسكونه وظلمته مشعر بالموت، وذكر النهار بعده بحركته وضجيجه، مشعرٌ بالبعث والخروج بعد الموت، ولذا أكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الفرقان]، أي: تنتشرون فيه بعد ميتتكم الصغرى. ولأن النهار: هو موطن السعي والعمل، فقد ناسب ذكره هنا لهذا المقصد.

إن عملية تقابل الليل والنهار، هي مظهر من مظاهر القدرة الإلهية على التغيير والتبديل في مظاهر الكون في الدنيا، والقادر على هذا التغيير قادر على تبديل حال الإنسان من موت إلى حياة أخرى. وقد بين ابن عاشور: أن النهار والليل نعمتان للبشر مختلفتان في الأسباب والآثار. ولما كان معظم العمل في النهار لأجل المَعاش؛ أخبر عن النهار بأنه معاش، وقد أشعر ذكر النهار بعد ذكر كل من النوم والليل، بملاحظة أن النهار: ابتداء وقت اليقظة التي هي ضد النوم،

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٢، ص١٨٩، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص١٥٩.

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٠، صديق خان، **فتح البيان**، ج١٥، ص٣٢.

(٣) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ١٥٢، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص١٨٣، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٠٠، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٦٨٦، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٢٤، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٠، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٠٣، **تفسير الجلالين**، ص٧٨٧.

(٤) دياب و قرقوز، **مع الطب في القرآن الكريم**، ص١٠٥، النابلسي، موسوعة **الإعجاز العلمي في القرآن** والسنة، ج١، ص ٤٦، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٢٦٦-٢٦٨، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج١، ص٥٥٠.

فصارت مقابلتهما بالنهار، في تقدير: وجعلنا النهار واليقظة فيه معاشا، ففي الكلام اكتفاء دلت عليه المقابلة...[١]. ويتبين مما سبق، أن ذكر النهار بعد الليل مشعر بالبعث بعد الموت.

فالله ﷻ جعل النهار مشرقًا منيرًا، تدب فيه الحياة؛ ليتمكن الناس من التكسب فيه والمعاش. ولأن البعث: هو أحد الدوافع للعمل، فإن ذكر النهار هنا؛ لأنه موطن السعي والعمل، ثم هو مشعر بإشراق العمل ووضوحه. وعليه فذكر هذه الإشارة في سورة النبأ كان لها الأثر البالغ في تحقيق مقصد السورة، والله أعلم.

المطلب الثاني: القسم بتجلي النهار

هذه الإشارة الثانية المتعلقة بالنهار في الجزء الثلاثين، وكان ورودها في موضعين منه:

أولا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ ﴾ [الشمس].

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [الليل].

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (التّجْلية) أصل من (جَلَوَ)، ويدل على كشْف وبُرُوز، ويأتي بمعنى: البيان والوضوح[٢]. وضد التّجلي: التّخفي والتّستر. وقد تنوعت آراء **المفسرين المتقدمين** إزاء المقصود بهذه الإشارة في سورة الشمس، فقيل: المعنى: النهار إذا جلّى الأرض، أو إذا جلى الظلمة، أو الدنيا[٣]، ورجح آخرون أن المعنى: والنهار إذا جلى الشمس، وعللوا ذلك: بأن الشمس تتجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء[٤]. والذي يظهر: رجحان المعنى الثاني؛ لأن جميع الضمائر في الآيات التي سبقتها تعود على الشمس.

أما معنى الإشارة في سورة الليل: فإن معظم أقوال **المفسرين المتقدمين** تدور حول معنى: أن هذا قسم بالنهار إذا أضاء فأنار، وظهر للأبصار[٥]، وأضاف الرازي: بأن القرآن الكريم أقسم بالنهار إذا تجلى؛ "لأن النهار إذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة، وجاء الوقت

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٢٢، وينظر: علماء الأزهر، **الوسيط**، ج١٠، ص١٧٤٧. قال البقاعي: فالآية من الاحتباك: ذكر اللباس أولاً دليل على حذف ضده ثانياً، وذكر المعاش ثانياً دليل على حذف ضده أولاً. **نظم الدرر**، ج٢١، ص ١٩٧.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**،ج ١١، ص١٢٦، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج١، ص ٤٦٨، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص١٥٢، الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣٧، ص ٣٦٣.

(٣) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٤٥٢، الزمخشري، **الكشاف**،ج ٤، ص ٧٥٨، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٨٧.

(٤) الزمخشري، **الكشاف**،ج ٤، ص ٧٥٨، ابن الجوزي، **زاد المسير**،ج ٤، ص ٤٥٠.

(٥) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٤٦٥، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢٨٦، **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢٦١، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧٦٦، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٤١٧، **تفسير الجلالين**، ص٨١٠.

الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم، وتتحرك الطير من أوكارها والهوام من مكامنها، فلو كان الدهر كله ليلا؛ لتعذر المعاش، ولو كان كله نهارا؛ لبطلت الراحة، لكن المصلحة كانت في تعاقبهما..."[١]. وكما هو بيّن، فالرازي يشير إلى مشكلات سرمدية الليل أو النهار، وقد كان هذا أحد المعاني التي ذكرها المتأخرون في الإشارة.

وأما **المتأخرون** فقد ذكروا في الآية الأولى: أن هذا الكون يغشاه ظلام دامس في أغلب أجزائه، وضوء الشمس يسير بخط مستقيم بشكل دائم، فيسقط على الغلاف الجوي في حزام رقيق لا يتعدى مائتي كيلو متر فقط، وعند سقوطه يقوم الغلاف بتشتيت هذه الأشعة المستقيمة ونهرها حتى تتفرق، ولذا سمي النهار نهارا؛ لأنه ينهر أشعة الشمس ويشتتها، وعلى ذلك فلولا طبقة النهار–وهي المائتي كيلو متر من الغلاف الغازي–ما تجلت لنا الشمس أبدا[٢]. كما يذكرون فوائد الشمس من حرارة وضوء بالنسبة للمخلوقات، ومضار سرمدية النهار[٣].

وأما الآية الثانية: فإنهم يذكرون فيها ما بيّنوه في الآية السابقة[٤]، غير أنهم يضيفون أن القرآن الكريم عندما يستخدم كلمة (يغشى) مع الليل، فهذا صحيح علمياً؛ لأن الليل يحيط بالضوء من كل جوانبه. بينما يبدو أن هذه الكلمة لا تُستخدم مع النهار أبداً؛ ليدلنا القرآن الكريم على أن النهار أو الضوء يزيح الظلام ويبعده ويأخذ مكانه، وهذا بالضبط ما يحدث. وعليه فكلمات القرآن دقيقة جدا من الناحية العلمية[٥]، وبناء عليه، فليس ثمة تعارض، والله أعلم.

ثانيا: علاقة مقصدي سورتي: الشمس والليل بالإشارة

كنت قد جلّيت العلاقة التكاملية بين جميع الإشارات العلمية الواردة في سورة الشمس[٦]، وخلاصة القول: إن الأعيان والظواهر الكونية الواردة في السورة، قد تكاملت لبيان مقصد التكامل الوظيفي في النظام الكوني، ليكون دافعا للإنسان لأن يلتزم بالتكاليف، فيقوم ويسعى وفق ما أراده الله تعالى. ومن بين أهم تلك العلاقات التكاملية: ما كان بين الليل والنهار، فالليل موطن السكون والركود، والنهار موطن السعي والعمل.

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٨١.
(٢) النجار، **السماء في القرآن الكريم**،ج١، ص ٤٧٢–٤٧٤، وينظر: متولي، **الموسوعة الذهبية للإعجاز العلمي**، ص ٩٤، النجار، **تفسير الآيات الكونية**، ج٤، ص٤٨٩، وذكر هذا بالتفصيل: علي حسن في كتابه: **بدائع السماء**، ص٨٢، ومنصور، حسب، **نجم الشمس في السماء الدنيا**، ط١، ١م، دار الفكر العربي، القاهرة،٢٠١٠م، ج١٤، ص٩.
(٣) الغريري، **آيات الكون وأسرار الطبيعة**، ص١٣٧–١٤٩.
(٤) النجار، **السماء في القرآن الكريم**،ج١، ص ٤٧٥.
(٥) الكحيل، مقال بعنوان: الإعجاز العلمي في الكون، والليل إذا يغشى، **موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، (د.ت).
(٦) صفحة: ٥٥.

ولعل فيما قاله المتأخرون تجلية لبعض هذه التكاملات، فالشمس ترسل الأشعة والغلاف ينهرها؛ ليجلي الضوء الساقط على الأرض. فقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِإِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ [الشمس]، مخبر بذاته عن هذه العلاقة. كما أن طول النهار في الصيف، من شأنه أن يزيد من الحرارة؛ فتثمر بذلك المحاصيل. وقصر النهار في الشتاء، يزيد في البرودة؛ ليعين محاصيل أخرى على الإثمار. كما أن النهار يزيد من حركة المخلوقات، فيسبب اليقظة والحذر، بخلاف الليل الذي يبعث على السكون والاستقرار. ولو بقي النهار دائما لاختلت الحياة، واحترقت المحاصيل(١). ثم إن ضياء النهار يتناسب مع الحاجات والقدرات الإنسانية في السعي للرزق.

وذكروا كذلك أن زيادة الحرارة في وقت النهار لها الأثر البالغ على مياه البحار والمحيطات، والتي تؤثر بدورها على حرارة الأرض، ونزول المطر(٢). وبهذا كله تتبين العلاقة التكاملية بين هذه الإشارات، والتي أسهمت بدورها في خدمة مقصد السورة.

وقد جلى البقاعي علاقة أخرى بين هذه الإشارات، فقد أوضح أن القرآن الكريم لما ذكر الشمس والقمر: ذكر آياته؛ لأنه لا صلاح له إلا بهما، كما أنه لا صلاح للبدن إلا بالنفس والعقل، فقال: ﴿وَٱلنَّهَارِإِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ [الشمس]، أي بحلة عظيمة. ثم إن الأبدان تارة تزكي القلوب والنفوس والعقول، وتارة تدنسها؛ لأن العقل يكون في غاية الصفاء في حال الصغر، ثم لا يزال يزيد وينقص بحسب زكاء البدن في حسن الجبلة، أو نجاسته بسوء الجبلة، حتى يصير الشخص نوراً محضًا، إذا طابق البدن العقل فتعاونا على الخير، أو يصير ظلاماً بحتا، إذا خالف البدنُ العقلَ بسوء الجبلة وشرارة الطبع(٣).

ويخلص القول هنا: إلى أن وظيفة النهار الكونية قد تكاملت مع وظيفة الليل؛ لخدمة مقصد التكامل التكليفي في السورة، ليكون كل ذلك ملهما للإنسان لأن يلتزم بالأحكام والتكاليف، فيعمل ويدعو، فيكون بذلك ممن زكى نفسه، وأن الإشارة المتعلقة بالنهار هنا تشير إلى تجلية العمل وإشراقه، والله تعالى أعلم.

أما ورود الإشارة في سورة الليل، والتي مقصدها: بيان الاختلاف في السعي والأعمال والذي ينبني عليه اختلاف الجزاء. فقد ذكِر النهار في السورة قبل الليل، وأتبع بذكر: خلق الذكر

---

(١) الغريري، **آيات الكون وأسرار الطبيعة**، ص١٣٧-١٤٩.
(٢) ينظر في هذا المعنى: حميد، **الجغرافية القرآنية**، ص٢٤٣-٢٤٤.
(٣) البقاعي، **نظم الدرر**،ج ٨، ص ٤٣٨.

والأنثى. وإن تقديم الليل على النهار، مناسب لما ذكر في آخر سورة الشمس، من شمول ظلام ثمود على الأرض، فلما دمدم الله عليهم، أفل ذلك الظلام[١]، وفي هذا ربط للإشارة بما قبلها.

إن الذكر والأنثى هنا كمثل الليل والنهار، "فالذكر يشبه النهار في العمل والحركة والسعي والظهور والانكشاف، والأنثى تشبه الليل في الهدوء والسكن والاستقرار، والحياة البشرية لا تقوم إلا بمثل هذه المزاوجة"[٢]. وبالعلاقة بين الذكر والأنثى يقوم نظام المزاوجة على الأرض، وبه يحفظ الله النوع الإنساني، ولا تستمر الحياة إلا به، وكذلك الليل والنهار: هما نظام مزاوجة أيضا، وهما شرطان لاستقامة الحياة على الأرض.

كما أن الفرق بين الأتقى والأشقى، هو الفرق بين الليل والنهار، ولذا تتجلى التكاملية في هذه الإشارات لبناء مقصد السورة. يقول الشعراوي: "إن الله تعالى يعطي في كونه المتقابلات من ليل ونهار وذكر وأنثى؛ ليؤدي كل متقابل دوره، فليس التقابل معناه التضاد أو التناقض أو التعاند، وإنما تقابل يعطي تكاملا في الحياة"[٣]. فكما أن الحياة البشرية لا يمكن أن تستقيم بلا ذكر وأنثى، فكذلك الحياة الكونية لا يمكن أن تستقيم بلا تبادل بين الليل والنهار.

فهذه الصورة البديعة تنقل القارئ من التقابل في الصورة الكونية إلى التقابل في الصورة الإنسانية، ثم يمتد إلى التقابل بين الأفعال الإنسانية. فهناك صورة المنفق، وصورة البخيل، وما يترتب على الصورتين من جزاء مختلف أيضا.

ولذا فإن "الوحدة الفنية بارزة بوضوح في هذه السورة، ابتداء من المطلع وحتى الختام، وبين المطلع والخاتمة علاقات ووشائج، تترابط فيها أيضا الألفاظ والجمل والإيقاعات، حتى يتكامل رسم الصورة البديعية القائمة على التضاد"[٤]، كل ذلك لإظهار مقصد اختلاف السعي في السورة. وخلاصة القول: إنه ﷻ أقسم بالمتفرقات في خلقها وآثارها، على مساعي الناس المتفرقة في ذاتها وآثارها[٥]، فيتبين من ذلك أن هذه الإشارة قد تكاملت مع الإشارات العلمية والكونية الأخرى في السورة؛ لخدمة مقصدها.

---

(١) ينظر قريبا من هذا المعنى: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج١٦، ص١٥٩١.
(٢) العودة، **إشراقات قرآنية**، ج٢، ص٢٨، بتصرف٠ وقد جمع الله بين هذه المزاوجة في [سورة الروم:٢١].
(٣) الشعراوي، **المختار من تفسير القرآن**، ج٣ ص٥٢.
(٤) الراغب، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص٤١٤، بتصرف بسيط.
(٥) ذكر قريبا من هذا الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج٢٠، ص٣٠١.

أخيرا، فإنه يتضح بعد دراسة علاقة مقاصد السور بهذه الإشارة، أن النهار لم يـذكر كمـا ذكر الليل في الجزء الثلاثين، حيث كان وروده مقتصرا على تجليته للشمس والأرض، وجعلـه وقتا لطلب العيش، وقد ورد ذكر هذه الإشارة في ثلاث سور، وهي النبأ والشمس والليل.

ولا يخفى أن وصف النهاربـ: (معاشا) في سورة النبأ، أكثر مناسبة لمقصد السورة مـن قوله: (جلاها)، أو (تجلى)؛ لأنه مشعر بالحياة بعد الموت، بخلاف (جلاها) في سورة الشمس، فهي أنسب لمقصد السورة من وصف (معاشا) أو تجلى؛ لأن سياق الحديث عن الشمس. أما في سورة الليل، فأتى قوله: (تجلى) بالعموم دون جلاها؛ لأنه ورد في السورة كثير من العموميات، مثل: يغشى، وأعطى، اتقى، بخل، استغنى..إلخ. فناسب أن يأتي أيضا بلفظ تجلى. وبهذا تتأكـد الدقة القرآنية في اختيار اللفظ الدال على الإشارة.

وقد تراءت لي علاقة وثيقة بين السور التي ورد فيها ذكر النهار في الجزء، فمقصد سورة النبأ: قضية البعث والقيامة، الذي هو دافع للعمل، وسورة الشمس كان مقصدها: بيان التكامـل الكوني، الدال على التكامل التكليفي، فيستلهم المؤمن من الكمال الكوني في الأرض، كمال الأمر التكليفي فيها، وأهم القضايا التكليفية: العقيدة، وأهمها: الإيمان باليوم الآخر، والالتزام بها موصل إلى حسن العاقبة عند البعث، وترك هذا المنهج في الدنيا، موجب للعقوبة في الدنيا، والسخط عند البعث. ثم جاء ذكر النهار في سورة الليل: التي أكدت من خـلال مقـصدها علـى موضـوع الاختلاف في الأعمال والمآلات عند البعث. وبهذا تتجلى العلاقة بين مقاصد السور التي وردت فيها هذه الإشارة.

المبحث الثالث: القسم بالشفق

لم ترد هذه الإشارة في القرآن الكريم إلا في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الانشقاق].

وقد نبه أهل العلم على أفضلية وقت الشفق، وأنه آية من آيات الله ﷻ ، فبينوا أن الشفق يتضمن عدة آيات: فهو متضمن لإدبار النهار: وهو آية، وإقبال الليل: وهو آية أخرى، وفي تعاقبهما: آية ثالثة، ولعل هذا من حكم تشريع صلاة المغرب[١]. ولعل فيه أيضا مناسبة لوجود سجدة التلاوة في هذه السورة، من بين جميع سور الجزء التي ذكرت الإشارات الكونية.

أما الموضع الثاني لسجود التلاوة في الجزء، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق]، وقد تكشفت لي العلاقة الوثيقة بين مقصد السورتين، إذ كان مقصد سورة الانشقاق استسلام الأعيان والظواهر الكونية وتعلقها بالله ﷻ، وأن هذا التعلق هو أحد دوافع العمل، أما سورة العلق فمقصدها: تعلق المؤمن العامل: بالله ﷻ.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (الشّفَق): هو الحُمرة من غُروب الشمس إلى وقت العشاء، وقيل: هو البَياض؛ لأن الحُمرة تذهب إذا أظلمت، وإنما الشّفق: البَياض الذي إذا ذهب: صليتَ العشاء الآخرة. وفسره بعض أهل اللغة: بالضوء، فقيل: هو بقية ضوء الشمس إلى قريب من العَتَمَة. وأخبر ابن فارس: أنه أصل يدل على رقةٍ في الشيء[٢]. وأما مدته: فهي بُعيد غروب الشمس، وقبيل شروقها[٣].

وقد تنوعت آراء **المفسرين المتقدمين** إزاء المقصود بهذه الإشارة على أقوال: إما النهار كله، أو بقية ضوء الشمس، أو ما بقي من النهار[٤]، وأخبر البغوي أن قول أكثر المفسرين: أنها الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس[٥]، وذكر الرازي الاتفاق عليه[٦]! واختار الطبري: أن المقصود: القسم بالنهار مدبرا[٧].

---

(١) ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، ص٧٠.
(٢) الفراهيدي، **العين**، ج٥، ص ٤٥، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٨، ص٢٦١، الجوهري، **الصحاح**، ج٤، ص ١٥٠١، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج ٣، ص١٥٣.
(٣) **الموسوعة العربية العالمية**، ج١٤، ص٢١٧.
(٤) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٣١٨، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢٣٧.
(٥) **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٢٢٩، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧٢٨، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٥٨.
(٦) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ١٠١.
(٧) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٣١٨.

والذي يترجح أن المقصود بالشفق: هو الحمرة التي تظهر عند الغروب، قبيل الليل؛ وذلك لدلالة السياق، فقد ذكرت السورة إشارتين أخريين متعلقتين بالليل، ومما يرجح هذا الرأي ما ورد عن النبي ﷺ قوله: (وقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق...)[١]. أما **المتأخرون:** فقد وجدتُ أنهم يذكرون سبب وجود هذه الظاهرة، ثم يبينون أنواعها[٢]، وإضافة لذلك: يوضحون أهمية الشفق في الكون[٣]. ويظهر جليا أنه لا تعارض بين الأقوال، والله أعلم.

ثانيا: علاقة مقصد سورة الانشقاق بالإشارة

ذكرت سورة الانشقاق ثلاثا من الإشارات المتغيرة من حال إلى حال، وجميعها متصلة بالليل، وهي: الشفق، والليل، والقمر؛ لتؤكد حقيقة التغير والاختلاف الكوني والبشري؛ لأن الجميع مستسلم ومنقاد لله ﷻ، **و**هذا التسليم والانقياد: هو أحد أكبر الدوافع للعمل.

ولقد كان قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق]، هو مركز ثقل السورة، وهو بمعنى: لتتغيرن أحوالكم حالا بعد حال. وبهذا فإنني أجد أن المقسم عليه هو ما يمثل مقصد السورة.

فالشفق: يعدّ بداية تغير حال اليوم من النهار إلى الليل، فيسوق في أول ظهوره الظلامَ؛ لتجتمع المخلوقات وتهجع في الليل، بعد نهار مليء بالحركة والنشاط. ومجيء الليل يدل على تجمع بعد فرقة وانتشار بالنهار، وعلى حدوث الظلمة بعد النور والإشراق، والنوم بعد اليقظة.

وأما ذكر القمر في حال اتساقه، فإنه دليل على أنه لم يكن متسقا، بل كان ناقصا ثم بدأ بالاكتمال. وبهذا يتضح لي أن جميع الإشارات العلمية المقسم بها في سورة الانشقاق، كانت مظهرا للتغير الكوني في الدنيا، وهذا دليل على قدرة الخالق على التغيير المطلق في الآخرة، لأن الكل منقاد لأمر الله ﷻ، وبذلك يتبين التكامل بين الإشارات ؛ لتعميق حقيقة التغيير الكوني.

ثم إنه لا تخلو هذه الإشارات، من إشارة للبعث والقيامة، وهو التغيير بعد الموت، فالقسم بالشفق، يوحي ببداية انتهاء الدنيا، فبعد الحركة والحياة في النهار، يأتي الظلام والنوم في الليل، وكأنه الموت. ويؤيد هذه الدلالات، قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾؛ لأن من دلالاتها:

---

(١) جزء من حديث في **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب أوقات الصلوات، ج٢، ص ١٠٥، برقم:١٣٣١.

(٢) العبيدي، **ومضات إعجازية**، ج٣، ص٧٠، الكحيل، عبد الدائم، مقال بعنوان: ظاهرة الشفق: آية من آيات الخالق، موقع: **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**. وعتوك، محمد إسماعيل، مقال بعنوان: **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طبق**، موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

(٣) مقال للنجار، بعنوان: **من أسرار القرآن**، جريدة الأهرام، ٣، جمادى الآخرة، ١٤٢٨هـ، سنة١٣١، (عدد ٤٤٠٢٣)، وينظر: النجار، مقال بعنوان: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾، **موقع زغلول النجار**.

لتتغيرنّ أحوالكم، من حياة إلى موت ثم إلى بعث. وبهذا فإنه يتكشف لي أن الإشارات قد تكاملت؛ لتكوّن صورة متحركة ومتغيرة؛ لخدمة مقصد السورة.

وإن كان المقصود بقوله: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾: الأطوار التي يمر بها خلق الإنسان، فوجه الصلة: هو أن هذه المراحل التي يمرّ بها الإنسان، من نطفة فعلقة فمضغة...، هي أمور متغيرة ومتعاقبة كما هو الحال في المقسم به، فالشفق يعقبه ليل مظلم، ثم القمر المتسق. وبهذا تتأكد حقيقة أن الإشارة العلمية المتعلقة بالشفق قد كانت لبنة هامة في تعميق حقيقة التغيير الكوني في سورة الانشقاق.

وبما أن هذه الإشارة لم ترد إلا في سورة الانشقاق، فإنه يجب على الإنسان أن يستلهم من هذا التغيير المشاهد دليلا على قدرة الله ﷻ على التغيير الكوني في الآخرة. ومن ذلك يُلمح التلويح بتغير حال الأمة، فالتغيير سنة يخضع لها كل شيء حتى الأمم، ويشير إلى هذا المعنى حديث النبي ﷺ : (والذي نفسي بيده **لتركبن** سنن من كان قبلكم مثلا بمثل)[1]، وينظر هنا كيف اختار النبي ﷺ لفظ: لتركبن؛ المناسبة لقوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾، وما دام أن التغيير سنة، فمجيء الليل بظلامه، بعد النهار بإشراقه، لن يبقيه دائما، فلا بد أن تأتي الشمس بضحاها، بعد القمر باتساقه، ولذا فهذه الإشارة فيها البشارة لهذه الأمة، بطلوع فجر جديد لها.

لكن هذا القول هو إشعار بالتكليف، أكثر منه إشعارا بالتشريف، لأن إدراك انقياد هذه الأعيان والظواهر الكونية لله ﷻ موجب على المسلم أن يسلتهم منه وجوب انقياده لله ﷻ فيكون أحد الدوافع للعمل والسعي، لتتحصل بذلك البشارة.

---

(١) **مسند أحمد**، ج٣٧، ص٥١٨، برقم: ٢٢٨٧٨. وحكم عليه شعيب الأرناؤوط: بأنه صحيح لغيره.

المبحث الرابع: الصبح والفجر والفلق

لقد قمتُ بالجمع بين الإشارات الثلاث؛ لأن دلالاتها قريبة من بعضها، فقد فسرها أهل اللغة والتفسير ببعضها، فبينوا أن الصّبح: هو الفَجْر. والفَلَق: هو الفَجْر. قال الخليل: "الفَلَق: الفَجْـر، وهو: الصُّبح..."(١).

كما يؤيد هذا أن النبي ﷺ أطلق على صلاة الفجر: صلاة الصبح، وذلك في أكثـر مـن حديث عنه عليه السلام ومن ذلك، قوله: (من صلى العشاء في جماعة: فكأنما قام نصف الليل، ومـن صلى الصبح في جماعة: فكأنما صلى الليل كله). وقوله: (من صلى الصبح فهو في ذمة الله)(٢). مع أنه عليه السلام أطلق عليها صلاة الفجر في مواضع أخرى، منها قوله: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر...). وقوله عليه السلام: (ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا)(٣).

وبناء على ذلك فلا غضاضة أن يُجمَع بين هذه الإشارات في مبحث واحد. لكن لا يفـوت التنويه: أن القرآن الكريم سمّاها صلاة الفجر، و لم يسمها صلاة الصبح، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ [النور: ٥٨]. وعليه فلا بد أن تكون كل واحدة من هـذه الألفاظ، قد وردت في سياق خاص يصلح لها في موضعها.

أما الصبح: فقد ورد اللفظ في القرآن الكريم أربع مرات، مرتان بصيغة القسم، ومرة منهما في الجزء الثلاثين في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير]. وقد تتبعـت مـواطن ورود الكلمة ومشتقاتها، فوجدت أن معظم ورودها كان في معرض العذاب. وأما لفظ الفجر، فقد ورد في القرآن الكريم ست مرات، منها مرتان في هذا الجزء(٤)، وأما يدخل في الدراسة ففي موضع واحد فقط، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾﴾ [الفجر]. ولم يقسم الله ﷻ في القرآن الكريم بـالفجر

---

(١) الفراهيدي، **العين**،ج٦، ص١١١. وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص ٣١٠.

(٢) الحديثان في **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح فـي جمـاع، ج٢، ص١٢٥، الحديث الأول: برقم١٤٣٥، والثاني برقم: ١٤٣٧.

(٣) الحديثان في **صحيح البخاري**، الأول: كتاب التوحيد، باب قـول الله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، ج٦، ص٢٧٠٢، برقم:٦٩٩٢، والثاني: كتاب الجماعة والإمامة، باب فضل العشاء، ج١، ص ٢٣٤، برقم: ٦٢٦.

(٤) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**: لفظ الصبح، ص٣٩٩، ولفظ الفجر، ص٥١٣.

إلا في هذا الموضع، وفي سورة خصص اسمها بهذه الإشارة. وأما لفظ الفلق: فلم يرد في القرآن الكريم إلا في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾[الفلق].

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (الصُّبْح): هو الفجر(١). وبين ابن فارس: أنه أصل يدل على لوْن، وأصله الحُمْرة، وسمي الصّبح؛ لحُمْرته، وهو بدء النهار(٢). و بين **المفسرون المتقدمون** المقصود بقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير]: أنه قسم بضوء النهار إذا نشأ وأقبل وتبين واتسع، أو هو قسم بالفجر إذا طلع. ويظهر من هذا أن معنى تنفس: نشأ أو طلع، أو أقبل، أو طال(٣)، ولهذا ذكر الرازي أن فيه إشارة إلى تكامل طلوع الصبح(٤).

أما **المتأخرون:** فيذكرون في هذه الإشارة نعمة تعاقب الليل والنهار، وأسباب نشوء الصبح، وفائدته على الأرض(٥)، ويبينون كذلك أن المواد اللازمة لعملية التنفس لا توجد في الهواء إلا من خلال هذا الوقت، كما أن عمليات البناء الضوئي، وطرح النباتات لغاز الأوكسجين، تكون في هذا الوقت(٦). وأوضح النجار: أن الغلاف الغازي للأرض يبدأ بالتمدد مع بزوغ الفجر الصادق، ليصل إلى أقصى درجات التمدد في وقت الظهيرة، ثم يبدأ بالانكماش حتى يصل إلى أدنى سمك له، وهذه الحركات من التمدد والانكماش تشبه عمل الرئة في مرحلتي الشهيق والزفير؛ ولذلك عبر عنه القرآن الكريم: بالتنفس(٧).

وأما الفجر: فقد ذكر أهل اللغة: أنه الصّبَاح، أو تفتّح الصّباح بالضوء؛ ولهذا بين ابن فارس أنه أصل يدل على تفتّح الشيء، ومنه انفجار الظّلمة عن الصّبح، وفيه معنى شَقٌّ

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٦، ص١١١، الجوهري، **الصحاح**، ج١، ص ٣٧٩، ابن سيده، **المخصص**، ج٢، ص٣٩٠، الرازي، **مختار الصحاح**، ص١٧٢، ابن منظور **لسان العرب**، ج٢، ص٥٠٢، الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، ص٢٢٧.

(٢) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٣، ص٢٥٥، **مجمل اللغة**، ج١، ص٥٤٨.

(٣) ينظر مجموع الأقوال في: **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٢٥٨، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢١٧، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢١٧، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٧١١، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٤٤، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٣٨.

(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص٦٩.

(٥) **تفسير المراغي**، ج٣٠، ص١٤١، النجار، **الأرض في القرآن الكريم**، ج٢، ص٤٢٤، السبحاني، **الأقسام في القرآن**، ص١٥٦.

(٦) ينظر: الشعراوي، **المختار من تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٤٤، العباد، هدى عبدالله (٢٠٠٦م)، بحث بعنوان: **دلالة الإعجاز العلمي في إثبات حقيقة تنفس الصبح**، والتغيرات المناخية المصاحبة، مقدم للمؤتمر العالمي الثامن، للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دولة الكويت، ص٧٥-٧٨.

(٧) النجار، زغلول راغب،(٢٠٠٧م)، مقال بعنوان: كيف يتنفس الكون، **مجلة حراء**، سنة٣، (عدد٩): ص٩. **ومجلة الأهرام**، سنة١٣١،(عدد: ٤٤٠٠٩): ص ١٨.

الشيء[١]. والفَجْر في آخر الليل، كالشفق في أوله[٢]. وهو اسم لوقت ابتداء الضّياء في أقصى المشرق، وبهذا فهو مظهر عظيم من مظاهر القدرة الإلهية وبديع الصنع[٣]. ويبدو أن لفظ الفجر: فيه معنى التفتح والشق وانبثاق النور.

وقد تنوعت آراء **المفسرين المتقدمين** إزاء مدلول الفجر في الآية، فقيل: المقصود: النهار، وقيل: فجر الصبح، وقيل: صلاة الفجر. وتنوعت آراء من اعتبر أن المقصود به: فجر الصبح، فبعضهم قال بالعموم، وبعضهم بالتخصيص، كما تنوعت آراء من خصص أيضا، فقيل: هو فجر يوم النحر، وقيل: يوم المحرم...، وغيرها[٤]. والذي يترجح: أن السورة ذكرت القسم بالفجر على إطلاقه، وليس ثمة ما يدل على التخصيص.

أما **المتأخرون** فبالإضافة لما ذكر في الإشارة المتعلقة بالقسم بالصبح إذا تنفس، فإنهم يذكرون أسباب اختيار الله ﷻ للفجر ليكون وقتا لأداء الصلاة فيه، كما يبينون الفوائد الصحية التي يجنيها المسلم بيقظة الفجر. فقالوا: إن الاستيقاظ المبكر قبل شروق الشمس يساعد على إفراز بعض الهورمونات التي تساعد الدماغ على أداء عمله بكفاءة، وتساعد على راحة النفس. كما أن وقت الفجر يتميز بأن الجو يكون مشحوناً بالأكسجين النقي، و يعدّ ضوء الفجر الأزرق، من أفضل الألوان وأكثرها راحة للعين، ويؤكد المتأخرون أن وقت الفجر: هو الوقت المناسب للتفكير والإبداع وصفاء الذهن، ولذلك فإن الاستيقاظ في وقت الفجر، له فوائد طبية كثيرة، وذلك لعلاج مختلف الاضطرابات النفسية...[٥]. وكل هذا إتمام لأقوال المتقدمين.

ويمكن أن أشير هنا إلى قول غريب، يدل على غلو بعض من تناول الآيات بالتفسير العلمي[٦]: وهو أن الفجر هنا إشارة إلى أن الفراعنة كانوا يحنطون أجسادهم في الفجر، بعد عشر ليال من موتهم! أقول: وما قيمة هذا الأمر حتى يخصه القرآن الكريم بالقسم!

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٦، ص١١١، الأزهري، **تهذيب اللغة** ،ج١١، ص٣٥، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص٣٧٩، الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص٦٢٥، ابن منظور، **لسان العرب**،ج٥، ص٤٥.

(٢) الجوهري، **الصحاح**، ج٢، ص٧٧٨، الرازي، **مختار الصحاح**، ص٢٣٤، ونقله عن الجوهري، ابن منظور في **لسان العرب**، ج٥، ص٤٥.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٣١٣.

(٤) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٣٩٥، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢٦٥، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٤٧، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٤٩، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٧٦، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٤٨، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٣٩٠.

(٥) دياب، وقرقوز، **مع الطب في القرآن الكريم**، ص ١٠٨-١٠٩، الكحيل، عبد الدائم، مقال بعنوان: فوائد صلاة الصبح، موقع: **الكحيل للإعجاز العلمي**. ومقال آخر بعنوان: العلاج بضوء الفجر، موقع: **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**.

(٦) ذكره غنيم في كتابه: **الإشارات العلمية في القرآن الكريم**، ص١٩١.

وأخيرا: فقد ذكر أهل اللغة أن الفَلَق: هو الفجْر، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق]: هو الصّبح، أو هو الخلق كلهم، وأدخل ابن فارس هذه المعاني وغيرها في أن أصل (فَلَق): يدل على فُرْجَة وبينونة في الشيء، وبين أن الفَلَقَ: هو الصّبح؛ لأن الظلام ينفلِق عنه. كما أن الفلق: هو الخلق كله، كأنه شيء فلق عنه شيء حتى أبرز وأظهر. وأوضح ابن منظور: أن أصل الفلق: الشّق، ومعناه: الصبح، وقيل: الفجر، وكل راجع إلى معنى: الشق[١]، وهو ذات الأصل الذي ذكره ابن فارس.

وتنوعت آراء **المفسرين المتقدمين** إزاء مدلول هذه الإشارة، فقيل: هو استعاذة بالله من شر الصبح، وهو قول أكثر المفسرين[٢]. وهو ما رجحه الطبري والبخاري وابن كثير[٣]. وقيل: المقصود: من شر كل الخلق، وقيل: مكان في جهنم، إما جب، أو سجن...إلخ! وقد كفانا ابن كثير رد هذا القول: فبين أن إسناده غريب، ولا يصح رفعه[٤]. وذكر الماوردي معنى آخر: وهو أنه الجبال والصخور التي تنفلق بالمياه[٥]. لكن الذي يتبين أن كل ما ينفلق من شيء فهو مقصود، وهو ما رجحه الرازي[٦]، ويمكن أن يفهم هذا من قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، فهذا القول فيه جمع للأقوال، وعليه فالصبح: هو صورة من صور الفلق. أما **المتأخرون:** فيذكرون هنا ما بينوه في الإشارة المتعلقة بالصبح والفجر والنهار[٧]. وقد تبين أنه لا تعارض بين مجمل الأقوال، والله أعلم.

وقبل أن أعرض لوجوه العلاقة بين هذه الإشارة، ومقصد السور الواردة فيها، لعلي أشير إلى التفريق بين الفجر والصبح والفلق، فالذي يظهر بعد النظر في أقوال أهل العلم[٨]: من علماء اللغة والمصطلحات، والمفسرين للآيات، والفقهاء لأوقات الصلوات، أن الفجر أعم من الصبح؛ لأن الفجر: فجران؛ كاذب وصادق. والصادق: هو ما يبدأ فيه الإشراق، و **ينفلق** فيه النور،

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٦، ص١١١، الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٩، ص ١٣٢، الجوهري، **الصحاح**، ج٤، ص ١٥٤٤، ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص٣٦١، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص ٣١٠.

(٢) ذكر أنه قول الأكثرية: البغوي في تفسيره، ج٥، ص ٣٣٤، الرازي، في **مفاتيح الغيب**، ج٣٢،ص ٣٧١.

(٣) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٧٠٢، ابن حجر، **فتح الباري**، ج٨، ص٧٤١، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٥٣٥.

(٤) **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٥٣٥.

(٥) ينظر مجموع الأقوال في: **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٧٠٢، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٣٧٤، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٨٢٥، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣٣٨.

(٦) الرازي، في **مفاتيح الغيب**، ج٣٢، ص ٣٧٢، وينظر: الزحيلي، **الوسيط**،ج٣، ص٢٩٦٣.

(٧) تنظر: مراجع الإشارتين السابقتين، بالإضافة للنجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٤٧١.

(٨) ألمح ابن سيده إلماحة سريعة، بقوله: "فأما الصبح: فلا يقال فيه إلا صبح صادق"، **المخصص**، ج٢، ص٣٩٠، ولم أجد من ذكر هذا غيره.

وهذا في حقيقته: هو الصبح، ولذا فصلاة الفجر لا تكون إلا وقت الصبح. وعملية الانفلاق: هي المقصود بالفلق.

ثانيا: علاقة مقاصد سور: التكوير والفجر والفلق بالإشارة

تحدثت سورة التكوير عن اليوم الآخر والوحي المخبر عنه، لأنهما السبيل للمعرفة المؤثرة، والعمل الفاعل، وقد ساقت مجموعة من الإشارات للتدليل على هذين المقصدين، وهي: الخنس، والليل، والصبح. "فحال القرآن الكريم بالنسبة للكتب السابقة، كحال الإشارات المذكورة في ظهورها واختفائها، والكتب السابقة: هي كالنجوم ظهرت فترة ثم اختفت. ثم إن مجيء الليل بظلامه: هو كالجاهلية، وتنفس الصبح بعده، هو كمبعث النبي ﷺ بالقرآن الكريم"(١). فهذه الإشارة، توحي بظهور الإسلام، وكأن الناس كانوا أمواتا، فلما ظهر نور البعثة، تنفس الناس فأحياهم الله ﷻ. فانتشار نور الصبح، هو انتشار لنور الإسلام.

وجبريل عليه السلام الذي هو: الرسول الكريم، هو مبلغ القرآن الكريم للأمة، عن طريق النبي ﷺ وهو وحي من عند الله ﷻ ، يظهر ويختفي، كما أن الخنس، تظهر وتختفي، وكما أن الليل يختفي فيظهر الصبح، وهذا كله ناسب أن يذكر الحق سبحانه تهمتهم تجاه النبي عليه السلام بأنه مجنون، دون شاعر أو كاهن...، في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير]؛ لأن الجنون: هو ستر العقل وخفاؤه.

والتعبير عن إحلال النهار بتنفس الصباح، فيه إشارة إلى ولادة الأحياء فيه، حيث تنبعث فيهم الحياة، بعد أن غشيها النوم القاطع للحركة، فكأنهم كانوا فيه أمواتا. ويتبين مما سبق أن جميع الإشارات المذكورة في السورة قد تكاملت؛ لخدمة مقصد السورة.

ولما كان اليوم الآخر والوحي هما المحركان والدافعان للعمل والمعرفة الفاعلة: فإن الإشارة المتعلقة بتنفس الصبح توحي بحياة الداعي الفاعل، وبثه للحياة في قلوب الناس وعقولهم.

وقد سبق أن جمعت بين هذين المقصدين في مقصد واحد(٢)، وهو: بيان قدرة الله ﷻ وعظمته، من خلال إحداث الانقلابات في الأعيان والمظاهر الكونية. فذكرت بذلك مجموعة من الإشارات المتقلبة الظاهرة للناس في الدنيا؛ لتكون بذلك ملهما للإنسان للإيمان بقدرته ﷻ على إحداث الانقلابات الكونية الكبرى في الآخرة.

---

(١) الشعراوي، **المختار من تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٤٤، وسيفي، خالد سيف الله (١٩٨٣م)، **القسم في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، ص٤١٩.

(٢) صفحة: ١٢٤.

وإن من أعظم صور التغيير الكوني: ما يحدث من تبديل بين الليل والنهار، والذي هو ضرورة لاستقامة الحياة، فلا يمكن أن ينتظم الكون إلا وفقه، لكن إذا أراد الحق ﷻ أن يفني الكون، وأن ينهي الحياة، أحدث فيها الانقلاب الكوني النهائي، والذي يفنى به كل شيء. وبهذا فإن قدرة الله ﷻ على التبديل بين الليل والنهار في الدنيا، دليل مشاهد على قدرته على قلب الموازين الكونية في الآخرة. فإذا تقرر ما سبق: فإنه يظهر لي بشكل لا خنوس فيه، أن جميع الإشارات العلمية من خنس وليل وصبح، قد تكاملت؛ لبناء هذا المقصد العام لسورة التكوير.

ولفظة (تنفس): تشتمل في أصلها على حرفي همس[١]، وهما: الفاء والسين؛ لترسم هذه اللفظة جوا من الراحة والهدوء المناسبين لوقت الصبح. وينظر هنا إلى التشكيل الصوتي لهذه اللفظة، فهي"تدل عند التصويت بها على الحياة، إذ بنيت اللفظة من ثلاثة مقاطع، فعندما يصوّت بها: يتحقق الشهيق والزفير. فهي لفظة مشعَّة بالحياة"[٢]. وكأن الصبح غدا بهذا كائنا حيا، بعد أن كان ميتا لا حياة فيه.

فالصورة التي تلقيها هذه اللفظة: هي صورة مفعمة بالحيوية، ولذلك قال الزمخشري: "إذا أقبل الصبح، أقبل بإقباله روح ونسيم"[٣]، فاختيار هذه اللفظة فيه دلالة واضحة على روعة الانتقاء. ومما سبق فإنه تتأكد لي الدقة القرآنية في اختيار اللفظ الدال على الإشارة.

أما سورة الفجر، فإن القسم بالفجر في بداية السورة هو: اختيار للقسم بابتداء ظهور النور، وذلك بعدما "تأخذ ظلمة الليل في الانصرام، وهو وقت مبارك للناس، إذ عنده تنتهي الحالة الداعية إلى النوم الذي هو شبيه الموت، ويأخذ الناس في ارتجاع شعورهم وإقبالهم على ما يألفونه من أعمالهم"[٤]. وبهذا تأتي الإشارة المتعلقة بالفجر؛ لتدل على أنها أخرجت العالم من ظلمته وسكونه، إلى إشراقه وحركته. فلماذا يُختار القسم بهذه الإشارة دون غيرها؟

لقد تبين أن مقصد السورة هو: تبشير المؤمنين العاملين، وإنذار الكافرين، وتأكيدا لهذا، يمكن لي أن أنقل ما ذكره الدكتور فضل عباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول مقصد السورة، وعلاقته بالإشارة العلمية، حيث قال: "وقد نزلتْ هذه السورة إبان احتدام المعركة بين الحق والباطل، وفي وقت كانت قريش تحاول فيه استئصال شأفة المسلمين، فكان في تلك السورة الكريمة بشارة للمسلمين

---

(١) الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص٢٠٤.

(٢) العارضي، محمد جعفر محيسن (٢٠٠٢ م)، **الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القادسية، الديوانية، العراق، ص٢٨٨، عزيز، صالح ملا، وسعيد، فضيلة أحمد، بحث بعنوان: **جماليات الحركة في التعبير القرآني**، كلية التربية، جامعة صلاح الدين، نسخة الكترونية، ص١٠.

(٣) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧١١.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٣١٣.

بنصر الله، وتهديد للكفار بالعذاب والعقوبة، فأقسم سبحانه بالفجر...، والفجر: هو ظهور الضوء عند انشقاق الظلمة الليل، وهو الوقت الذي ينتشر فيه النور، وفي ذلك من الأنس والراحة ما تطمئن به النفوس"(١). وبهذا تتقوى لدي حقيقة ما توصلت إليه بشأن مقصد السورة.

ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن جواب القسم: محذوف، دلت عليه هذه الآيات، أي: لينصرن الله نبيه ودينه والمؤمنين، وليظهرن الله هذا الدين مشرقا، كما شق الفجر ظلمة الليل(٢). ويمكن أن أؤكد هذا المعنى من خلال الجمع بين هذه الإشارة، والقسم بالليل إذا يسر، فإن الليل بظلمته الحالكة مشعر بتلك الحالة التي عاشها المسلمون، من عذاب وهوان، لكن هذا الليل ليس سرمدا، بل هو يسري، ثم لا بد من بعده أن يأتي فجر جديد، بنوره وإشراقه، يتغير فيه الحال، وتتبدل الموازين.

وعلى هذا فلفظ الفجر مشعر بالبشارة، ولذلك سُمّي: "المبشر للصبح"(٣)، فالفجر والفرج توأمان؛ لأن الفجر: هو انتقال من ظلمة إلى نور، والفرج: انتقال من ضيق إلى سعة. ثم إن البشارة في هذه الإشارة تأتي من جهة أخرى، وهي أن الفجر: هو وقت الصبح، وهو الوقت الذي عذب الله ﷻ فيه بعض الأمم الظالمة الباغية، قال الله عن عذاب قوم لوط: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود]، ولذلك ذكر الله عذاب قوم عاد وفرعون وثمود بعد آيات القسم مباشرة. وهذا من أعظم أوجه الصلة بين المقسم به والمقسم عليه في السورة، والذي يمثل بدوره مقصدها العام.

وكما أن الفجر مبشر بالبعث الحضاري للأمة، فهو مشعر أيضا بالبعث الأخروي، فإن انقضاء الليل بسكونه وهدأته، ثم مجيء الفجر بضوئه، وانتشار المخلوقات فيه، من إنس وحيوان، كل ذلك دليل على فناء الحياة، وهو مشاكل لبعث الموتى ونشرهم من قبورهم. وبهذا يمكن أن أستشف العلاقة بين هذه الإشارة، والإشارة المتعلقة بالصبح، والتي وردت في سورة تؤكد على موضوع التغير الكوني في الآخرة.

لكن يُلحظ هنا أن لفظ الفجر، أكثر مناسبة في هذه السورة من لفظ الصبح أو الفلق. فالفجر: فيه دلالة الانفجار: وهو وقت انفجار الظلمة عن النهار، وقد وصف أهل اللغة حرف الجيم بأنه: صوت شديد مجهور، وحرف الراء: مجهور مكرر وفيه شدة(٤)، فهذه اللفظة بجرسها: تلقي

---

(١) فضل عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص٣٠٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٦-٣٠٧.
(٣) **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٢٦٤.
(٤) الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص٢٤٠، ص٢٨٥.

بظلالها على مقصد السورة؛ لتكوّن صورة أكثر قوة وأشد وقعا، وهي مناسبة لذكر عذاب الأمم السابقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [الفجر]، كما أنها مناسبة لذكر دكّ الأرض، ومجيء الرب والملك.

ولا أدل على ما توصلتُ إليه من قول الباقلاني: " وأنت تحسب أن وضع الصبح في موضع الفجر يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعرا أو سجعا، وليس كذلك، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه وتضرب بجرانها، وتراها في مظانها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجد الأخرى–لو وضعت موضعها– في محل نفار ومرمى شراد ونابية عن استقرار"[١]. وبهذا تتبين لي الدقة القرآنية في اختيار اللفظ الدال على الإشارة.

وأما علاقة مقصد سورة الفلق بالإشارة، فقد ظهر أن مقصد السورة: التحصن والاعتصام بالله من الشرور[٢]. كما ترجح أن المقصود بالفلق: جميع المخلوقات، وعليه فكل ما ينفلق فهو مقصود، فإن رب الفلق: هو رب الأرض الممهدة، والسماوات الشديدة، والجبال المرساة، ورب الليل والنهار، ورب الشمس والقمر، والماء، والخنس والشفق... .

وبهذا يتبين أن في الإشارة دلالة على الاستعاذة بالله من شر كل ما خلق الله ﷻ ، فهي استعاذة بالله من شرور الصبح والنهار وما فيهما، ومن شرور الضحى والعصر، والشفق والليل وما يحويه، ومن شرور الماء إن طغا، والجبال إن ثارت بالبراكين، والأفلاك ... .

وإنما عبر بالفلق، لأن لفظ الفلق، فيه معنى الفرجة والبينونة في الشيء، ولهذا تدخل فيه الأمور المادية، كالتي سلفت، وتدخل الأمور المعنوية: وهي الأخطر، فربما كان الفلق فكرة تنبثق، أو كتابا يؤلّف، أو جماعة تنشأ.

وقد بين سيد قطب: أن جو سورة الفلق: يوحي بالخفاء والهيمنة والغموض والإبهام، والجو كله ظلام ورهبة. وأن تخصيص الفلق ينسجم مع جو السورة كلها، ويشترك فيه. ثم بين أن المتبادر إلى الذهن أن يعوذ من الظلام برب النور، ولكن النور يكشف الغموض المرهوب، ولا

---

(١) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت:٤٠٢هـ)، **إعجاز القرآن**، ط١، ١م، (تحقيق: السيد أحمد صقر)، دار المعارف، القاهرة، ص١٨٤.
(٢) صفحة: ١٥٨.

يتسق مع جو الغسق والنفث في العقد، ولا مع جو الحسد[١]. وبهذا تبرز الدقة القرآنية في اختيار اللفظ الذي يخدم مقصد السورة.

وأخيرا فإن القادر على إزالة ظلمة الليل البهيم، بالصبح المنير، قادر سبحانه على إزالة جميع الشرور، وبهذا فإن هذه الإشارة قد أسهمت في خدمة مقصد السورة.

وبعد دراستي للعلاقة بين مقاصد السور وهذه الإشارات الثلاث، فإنه يظهر لي أنها وردت في ثلاث سور متنوعة المقاصد، فقد ورد الصبح في سورة التكوير، والفجر في سورة الفجر، والفلق في سورة الفلق، وبهذا يتضح أن إشارتين منهما قد وردتا في سورة سميت باسم الإشارة، وهما: الفجر والفلق. كما أن إشارتين قد وردتا بصيغة القسم، وهما: الفجر و الصبح. وعليه فالإشارة المشتركة: هي الفجر.

ولما كان مقصد سورة التكوير: بيان قدرة الله ﷻ وعظمته، من خلال إحداث انقلابات في الكون، فإن هذا يدل على قدرته سبحانه على تبديل الليل المظلم بعد سريانه، إلى فجر مشرق، وهذا يوحي بتبدل حال الأمة، من هزيمة وذل إلى عزة ونصر. فإذا تحصنت الأمة بقرآنها، والتجأت إلى الله ﷻ وتحصنت به، فهو أعظم أسباب نصرها. وبهذا يمكن أن أقف على سر العلاقة بين الإشارات الثلاث، وسر العلاقة بين مقاصد السور الواردة فيها.

كما تبين أن كل إشارة، بحروفها ودلالاتها، كانت أنسب ما تكون في موضعها في السورة، فقد تكشف لي أن لفظ: الصبح إذا تنفس، قد رسم بحروفه المهموسة، أجواء مناسبة لهذا الوقت، وهي مناسبة لمقصد السورة. ولفظ: الفجر، فيه دلالة الانفجار، الذي يغير كل ما حوله، وقد اشتمل على حرفي الجيم والراء، وهما أصوات: مجهورة وفيها شدة، وهذا كله: يتناسب مع مقصد تهديد الكفار. أما الفلق، فقد اشتملت على حرف مهموس، وآخر مجهور، والجهر بعد الهمس يوحي بدلالة الانبثاق، فكانت مناسبة لموضوع الالتجاء إلى الله من الشرور.

ثم إن ذكر الصبح إذا تنفس، بعد الليل إذا عسعس؛ "لأن في ذلك بشرى للأنفس بحياة جديدة في نهار جديد، إذ تنطلق الإرادات؛ لتحصيل الرغبات، وسد الحاجات، واستدراك ما فات، والاستعداد لما هو آت"[٢]، وذكر الفجر بداية: دليل على تأكيد حصول البشارات، ثم الانتهاء: بالتعوذ برب الفلق؛ للتحصن به من شر المخلوقات؛ والذي به تحصل الرغبات لتحقيق

---

(١) سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ١١٥-١١٦.
(٢) **تفسير المراغي**، ج٣٠، ص٥٩.

البشارات. وبذلك أجد أن هذه الإشارة بألفاظها، توجب أن يكون خط الأمة: هو خط الأمل والثقة والتفاؤل بموعود الله تعالى لها، والله الموفق.

المبحث الخامس: الضحى

ذكر أهل اللغة أن الضُّحى: أصل يدل على بُرُوز الشيء، ويعني: ارتفاع النهار بعد طلوع الشمس، وقيل: إن وقت الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيَضّ الشمس(١).

ويظهر من الدلالات اللغوية لكلمة الضحى: أنه طلوع للشمس مع إضاءة ووضوح وإشراق وصفاء، وهذا وقت النشاط والحركة والعمل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأعراف]، ولما أرد فرعون جمع الناس لموسى عليه السلام اختار وقت الضحى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ [طه]، وكذلك لما أقسم سبحانه بالشمس وضع أعظم سلطانها: وهو ضحاها، فقال: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ ﴾ [الشمس].

ويكفي في إدراك أهمية هذا الوقت من النهار، أن يسميَ الله به سورة من أوائل السور التي أنزلت في القرآن الكريم، بل يقسم به. وكل ما سبق، هي معان مهمة؛ للوقوف على سر العلاقة بين مقاصد السور، واختيار هذه الإشارة فيها.

"إن أوقات الصلوات الخمس تستغرق كل ساعات الليل والنهار، فيبدأ وقت الصلاة في وقت انتهاء التي قبلها، إلا الوقت بين صلاتي الفجر والظهر، فانتهاء وقت الفجر: عند طلوع الشمس، والظهر: عند الزوال، لكن هذه الفترة لم تترك بلا صلاة، بل خصص الشارع الحكيم لها صلاة الضحى، وترك شأن تشريعها للنبي عليه السلام"(٢)؛ تكريما وتشريفا له، وهذا من عطاء الله تعالى له عليه السلام إذ قال: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى].

ومن كرمه ﷻ أنه أعطى عليها ما لم يعط على غيرها، فقد قال عليه السلام: (يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل

---

(١) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٣، ص٣٠٦، الرازي، **مختار الصحاح**، ص١٨٣، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص٤٧٤، الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، ج١، ص ١٣٠٤، الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣٨، ص ٤٥٤.

(٢) المزيودي، **الإعجاز البياني في القرآن الكريم، الضحى والشرح**، كتاب الكتروني، ص٤، بتصرف بسيط.

تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)[١]. وهذا ملمح من ملامح ارتباط الإشارة بالمقصد.

ويبقى أن يشار إلى أن لفظ الضحى قد ورد في القرآن الكريم ست مرات[٢]، أربع منها في الجزء الثلاثين، وأما ما يدخل ضمن الدراسة ففي ثلاثة مواضع هي:

أولا: قوله تعالى: ﴿ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النازعات] .

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ ﴾ [الشمس].

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ ﴾ [الضحى].

المطلب الأول: إخراج الضحى

إن أول ورود للإشارة المتعلقة بالضحى في الجزء، كان في قوله تعالى: ﴿ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النازعات]، وينبغي أن أقف على معاني الإشارة ودلالاتها، لربطها بمقصد السورة.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

لقد تنوعت أقوال **المفسرين المتقدمين** إزاء المقصود بهذه الآية، فقد ذكر الطبري وتابعه بعض المفسرين، أن المعنى: وأخرج ضياءها، بمعنى: أبرز نهارها فأظهره[٣]. وذكر الماوردي: أن فيه وجهين، الأول: إضاءة النهار، والثاني: إخراج الشمس[٤]. وحدد الزمخشري أن المقصود: وأبرز ضوء شمسها، والمراد به: الوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها[٥]، وإنما عبر عن النهار بالضحى؛ لأنه أكمل أجزاء النهار في النور والضوء[٦].

ويتبين من هذه الأقوال، أن بعض المفسرين اعتبر المقصود بالضحى: النهار كله، لأن الآيات قابلته بالليل، وبعضهم اعتبر أنه: الضحى المعروف الذي هو أول النهار، وبعضهم اعتبر أن المقصود: الشمس. والذي يترجح أن المقصود هو: وقت الضحى المعروف؛ لأنه لو لم يكن

---

(١) **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، ج١ ص ٤٩٨ برقم:٧٢٠، قال القاضي عياض: "أصل السلامى، بضم السين، عظام الأصابع والأكف والأرجل، ثم استعمل فى سائر عظام الجسد ومفاصله". القاضي عياض، عياض بن موسى (ت: ٥٤٤هـ)، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، ط٨،١م، (تحقيق: يحيى اسماعيل)، دار الوفاء، مصر،١٩٩٨ م،ج٣، ص٦١.

(٢) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٤١٨.

(٣) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٢٠٧، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٠٨، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص٣١٦.

(٤) **تفسير الماوردي**، ج٦، ص١٩٩.

(٥) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٦٩٧.

(٦) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص٤٥.

مقصودا لأقسم بالنهار، ثم لأن الآيات من سورة الشمس قد جمعت بين الضحى والنهار، فدل ذلك على أن الضحى هنا مقصود بوقته.

أما **المتأخرون**، فيذكرون أسباب مجيء الضحى والنهار بشكل عام، وحركات الشمس ودوران الأرض، وكيفية الرؤية، وانعكاسات الضوء، وتأثيراته على الأرض والمخلوقات(١). والذي يظهر لي أن كثيرا من المتأخرين تكلموا عن الضحى على اعتبار أنه بمعنى النهار. وكما تبين فإن هذا أحد أقوال المتقدمين حول الإشارة.

ثانيا: علاقة مقصد سورة النازعات بالإشارة

لما جاءت سورة النازعات تهز النفوس المكذبة بالبعث، قامت بالتذكير ببناء السماء ورفعها وتسويتها الذي هو أعظم من خلق الإنسان، ثم ذكرت بليلها الموحي بالموت، وضحاها المشعر بالبعث، فكل هذا يدل على تكامل الإشارات في خدمة مقصد السورة.

يقول الرازي: "فإن أهل العالم كانوا كالأموات في الليل، فلما ظهر أثر الصبح في المشرق، صار ذلك كالصور الذي ينفخ قوة الحياة، فصارت الأموات أحياء، ولا تزال تلك الحياة في الازدياد والقوة والتكامل، ويكون غاية كمالها وقت الضحوة، فهذه الحالة تشبه أحوال القيامة، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها"(٢). فإغطاش الليل: يشعر بموت الحياة؛ لأن فيه السكون والراحة وقلة الحركة، والانتقال للضحى بإشراقه وحركته: مشعر ببعث جديد للحياة.

ولهذا ألحظ المناسبة الدقيقة في اختيار لفظ الإخراج في الضحى، فصورة إخراج الضحى: هي صورة البعث وإخراج الناس من قبورهم. وعليه فلم يكن اختيار لفظ الإخراج في الآية مصادفة، بل هو مقصود لهذا المقصد، فقد تكرر في السورة في موضعين، الأول: إخراج الضحى. والثاني: إخراج الماء والمرعى من الأرض. وعليه فلفظ الإخراج: موح بالبعث أكثر من غيره من الألفاظ التي يعبر عنها بإظهار الضحى. وتتبين بهذا الدقة القرآنية في اختيار اللفظ الدال على مقصد السورة.

ثم إن ذكر إخراج الضحى بعد إغطاش الليل؛ يدل على تعاقب الليل والنهار، وتبادل الفصول التابع لهذه الحركة، وهذا التعاقب والتبادل يدل على قدرة الرب سبحانه في تبديل حال الإنسان من حياة إلى موت إلى حياة. ولا أدل من إعادة لفظ الضحى في آخر السورة، في

---

(١) يوسف الحاج، **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص ٣١٨، النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص٤٩٠، متولي، **الموسوعة الذهبية**، ص ١٨، حسين، عبد الوهاب، **سورة الضحى**، ط١، ١م، دار الثقافة، البحرين، ٢٠٠٧م، ص٢٢.

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٧٤.

وصف الفترة الزمنية التي يشعرها الناس عند البعث، في قولـــه تعـــالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات]. وبهذا يتكشف لي أن الإشارة بلفظها وموقعها، قد جاءت لتعمـــق حقيقة البعث في سورة النازعات، وتخوف القلوب المكذبة به.

المطلب الثاني: القسم بضحى الشمس

لم يورد القرآن الكريم القسم بالضحى إلا في موضعين من الجزء الثلاثـــين، الأول: كـــان مقرونا بالقسم بالشمس، في سورة الشمس، والثاني: قسم بالضحى فقط، في ســـورة الـــضحى، وسأتناول في هذا المطلب العلاقة بين مقصد سورة الشمس، وهذه الإشارة، وذلك فـــي قولـــه تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾ [الشمس].

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

لقد تنوعت أقوال **المفسرين المتقدمين** إزاء معنى الضحى في هذه الآية، فبعضهم اعتبر أن القسم بضحى الشمس: قسم بالنهار، وقيل: هو قسم بالشمس وضوئها، وبين الطبري أن الصواب أن يقال: أقسم جل ثناؤه بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهرة: هو النهـــار[١]. وقيـــل: المقصود إشراقها، أو انبساطها، أو حرها، أو ما ظهر بها من كل مخلوق، فيكون القسم بالشمس وبالمخلوقات كلها[٢].

ويبدو أن بعض الأقوال يرجع إلى بعض، فأعظم ضوء الشمس وإشراقها وانبساط حرهـــا، يكون وقت الضحى[٣]، كما أن لكل من هذه الأقوال دليله من اللغة، وقد نقل الرازي عن أهـــل اللغة، أن الضحى: هو نقيض الظل، وهو نور الشمس وضوئها، ثم سمي به الوقت الذي تشرق فيه الشمس، فمن اعتبر أن المعنى: ضوؤها، فهو على الأصل، ومن قال: هو النهار كله؛ فلأن جميع النهار هو من نور الشمس، ومن قال: إنه حر الشمس؛ فلأن حرها ونورهـــا متلازمـــان، فمتى اشتد حرها فقد اشتد ضوؤها وبالعكس، وهذا أضعف الأقوال[٤].

أما **المتأخرون**، فيذكرون هنا ما ذُكِر في الإشارة السابقة، لكن أشار بعضهم إلى أن الآيات في سورة الشمس، قد بدأت بالقسم بأركان تكوين الحياة، من شمس وقمر وليل ونهـــار وســـماء

---

(١) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٤٥١، ونقله ابن كثير في تفسيره، ج٨، ص٤١٠.

(٢) ينظر مجموع الأقول في: **تفسير الماوردي**،ج٦، ص٢٨١، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٥٨، **تفـــسير ابـــن عطية**، ج٥، ص ٤٨٧، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٧٤.

(٣) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٦٩٧، ص٧٦٢.

(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٧٤.

وأرض، ولذا لم تكن هذه الآيات بصدد القسم بضحى الأرض، الذي هو جزء من النهار، بل بضحى الشمس، والذي يعد ركنا أساسيا من أركان الحياة الصالحة لعيش المخلوقات، وما دام أن الشمس لا يعتريها ليل ونهار، فبهذا تبقى الدلالة الزمنية. والمقصود: أنه مادام أن الضحى هو الجزء الأول من النهار، فهذا ينطبق على الشمس، فهي الآن في حدها الزمني، وهو نهاية الثلث الأول من عمرها الافتراضي(١). وبيان هذا القول: إن الشمس في أول أمرها لم تكن مصلحة للعيش، إلا بعدما وصلت إلى درجة ضحاها، لتكون ركنا أساسيا في تمهيد عيش الإنسان.

ورغم حسن هذا الرأي، إلا أنني أجد عليه إشكالا، وهو أنه إذا كانت الخليقة من أول ما أوجدت وهي في زمن ضحى الشمس، فمتى ستصل إلى نصف عمرها؟ وإلى متى سيبقى ضحى الشمس قائما؟ وخاصة أن هذه الأمة هي آخر الأمم!

وحتى لا يهضم الحق، فإن من قال هذا ذكر أخيرا: أن الأمر لا يخلو من جواز إسناد الضحى الكائن في الأرض إلى الشمس، وذلك من باب أنها الأصل، الذي نشأت عنه ظاهرة الضحى، فالضحى جزء من النهار، والنهار أثر من الشمس(٢). وهذا الذي يترجح لي، حيث لا إشكال فيه، كما أنه موافق لقول المتقدمين.

والذي يهم هنا هو دلالات هذه الإشارة، فهي تدل على عظم النور والحرارة، قال ابن تيمية:" ولم يقل: ونهارها، ولا وضيائها؛ لأن الضحى يدل على النور والحرارة جميعا، وبالأنوار والحرارة تقوم مصالح العباد"(٣). وهذا كله لا ينطبق إلا على الفترة الأولى من النهار، وعليه: فالمقصود بالضحى هنا ليس كل النهار، وإنما الجزء الأول منه.

وقد أشار إلى هذا المعنى: النجار، فقد ذكر أن قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ [الشمس]، يوحي بأن المقصود بضحى الشمس: هو أول النهار، وليس النهار كله؛ وأول النهار: هو الفترة من لحظة الشروق إلى الظهيرة. ثم بين أنه سواء كان المقصود بضحى الشمس: وقت ارتفاعها عن الأفق، أو النهار كله، فهي فترة يتزايد فيها وصول طاقة الشمس إلى الأرض، مما له انعكاسات على كل من الأحياء والجمادات(٤). وعليه فليس ثمة تعارض بين الأقوال.

---

(١) المزيودي، **الإعجاز البياني في سورة الشمس**، كتاب الكتروني، ص٦-٧.
(٢) المصدر نفسه، ص٧.
(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، ط٣، ٣٥م، (تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار)، دار الوفاء، ٢٠٠٥ م، ج١٦، ص٢٢٩.
(٤) النجار، **تفسير الآيات الكونية** في القرآن الكريم، ج٤، ص٤٧١.

ثانيا: علاقة مقصد سورة الشمس بالإشارة

يأتي القسم بالشمس وضحاها في أول سورة الشمس، والتي ترجح لي أنها تقوم على بيان التكامل الكوني والذي بدوره يكون دالا على التكامل التكليفي، فيستلهم الإنسان من ذلكم الانتظام في الكون، ليكون سببًا في القيام وتنفيذ الأوامر التكليفية. وبما أنه من الدلالات اللغوية لكلمة الضحى: أنه طلوع للشمس مع إضاءة ووضوح وإشراق وصفاء، فهذا في الواقع: هو وقت النشاط والحركة والعمل، وكل هذا يدل على الوظيفة والانتظام.

إن من أقوى أوقات الشمس: هو وقت ضحاها[١]، فيكون ضوؤها وحرارتها من أعظم حالاتها، ولذا فإن وقت الضحى: هو النتاج الذي تنتظره الكائنات من الشمس؛ ليتجدد النشاط من بعد السكون والظلمة بالليل، ولهذا ذكر الرازي أنه ﷻ إنما أقسم بالشمس وضحاها؛ لكثرة ما تعلق بها من المصالح في الحياة، ولا تزال هذه الحياة في الازدياد والقوة والتكامل، ويكون غاية كمالها: وقت الضحوة[٢].

وذكر المتأخرون مجموعة من مظاهر التكامل بين الضحى، وبين المظاهر الكونية الأخرى[٣]، ومنها أن حرارة الشمس في هذا الوقت تعد عاملا مساعدا في إيجاد المياه العذبة على الأرض، سواء كانت مياه الأنهار أو مياه جوفية، كما تعد سببا رئيسا في تبخر المياه لتتكاثف الغيوم، كما تعد شدة الحرارة عاملا مساعدا في تعقيم الهواء من الميكروبات الضارة.

أما قوة الأشعة وقت الضحى: فهي عامل مساعد في عمليات البناء الضوئي، كما تعقم الأشعة في هذا الوقت، فتقتل الميكروبات الضارة في الأراضي الزراعية وغيرها...، كل ذلك يعد من مظاهر التكامل الوظيفي في الضحى. وبهذا تتبين حقيقة تكامل الإشارة مع الإشارات الأخرى.

كما أنه ثمة تكامل في الوظيفة الشرعية أيضا، فالصلاة وقت الضحى، تجعل المسلم في انتظام دائم مع الصلاة، إذ إن وقتها هو الوقت الوحيد الذي لم تفرض فيه صلاة، فكانت إقامة صلاة الضحى فيه: يعدّ رابطا لعقد الصلوات في اليوم والليلة.

وقد ربط المفسرون بين القسم بهذه الإشارة، وبين المقسم عليه في السورة، وهو: فلاح من زكى نفسه، وخيبة من دساها، في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾

---

(١) ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٨، ص٣٠٨.
(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ١٧٤.
(٣) زياد موسى (٢٠١٠م)، مقال بعنوان: نعمة وجود الشمس، **مجلة حراء**، السنة ٦، (عدد٢١): ص٢٧.

[الشمس]، فذكر البقاعي أن ضحى الشمس: هو ضوؤها الناشيء عن جرمها العظيم، المذكّر بالنيران إذا أشرقت وقام سلطانها، وهذا كإشراق أنوار العقول والنفوس[١].

ويتراءى لي أنه ما دام أن الضحى: هو أعظم سلطان الشمس: ضوءا وحرارة، فهذا إشارة إلى أن الإنسان يجب أن يزكي نفسه، وأن يؤدي كل ما آتاه الله ﷻ إياها من قدرات؛ ليطهرها بذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق: ٧]، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: القسم بالضحى

ما يميز هذا المطلب أن الإشارة جاءت بصيغة القسم بالضحى فقط، وفي آية مستقلة، كما أنها وردت في سورة الضحى، ويلزم تحديد معاني الإشارة ودلالاتها، لبناء العلاقة مع المقصد.

أولا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

لقد اختلفت آراء **المفسرين المتقدمين** إزاء المقصود بالضحى في الآية، على أقوال[٢]:

أولها: النهار كله أو ضوء النهار.

ثانيها: جزء من النهار، واختلفوا في هذا الجزء، بين أول النهار، أو أول ساعة منه.

أما **المتأخرون**، فيذكرون هنا ما بينوه في الإشارتين السابقتين[٣]. والذي يترجح بعد النظر في هذه الأقوال، ثم النظر في سياق الآية وملابسات نزول السورة، أن المقصود هنا: هو وقت الضحى المعروف وليس النهار كله، فالله ﷻ يقسم بالضحى الذي يكون فيه النهار أشد ضوءا وإشراقا وحرارة، وفيه تكون الحركة والنشاط؛ لأنه لم يقابله بالليل بشكل مطلق، بل: بالليل إذا سجى، والذي فيه معنى السكون وشدة الظلام والتغطية.

ثانيا: علاقة مقصد سورة الضحى بالإشارة

سبق أن رجحت في المطلب المتعلق بالقسم بالليل إذا سجى[٤]، أن مقصد سورة الضحى هو: تأنيس النبي ﷺ ورعاية الله ﷻ له والدفاع عنه، كونه الداعي الفاعل المؤثر، والامتنان عليه

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٣٧، وينظر: حويش، **بيان المعاني**، ج١، ص٢٢١.

(٢) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص٤٨٢، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص٢٩١، **تفسير البغوي**، ج٥، ص٢٦٦، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٧٠، **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٤٩٣.

(٣) ومما هو معلوم أن الشمس هي أفضل مصدر لفيتامين (د)، وإن عدم التعرض للشمس يؤدي إلى نقصانه، والذي بدوره يؤدي إلى مجموعة اختلالات في الجسم، والعلاج يكون بالتعرض لأشعة الشمس المباشرة. مقال بعنوان:خطر نقص فيتامين(د) على النفس والأعصاب. ينظر: أندرويل، **الصحة والدواء**، ط١، ١م، مكتبة جرير، السعودية، ٢٠٠٧م، ص٣٤٧، النجار في **السماء في القرآن الكريم**، ج١، ص ٤٤٧.

(٤) صفحة: ١٥٥.

بنعمة الوحي، الذي هو سبيل المعرفة القدسية المؤدية للعمل الفاعل. وهذا التأنيس كان بعد تساؤل الكفار عن انقطاع الوحي، فبين الله أن الانقطاع سببه نزول القرآن منجما للتثبيت.

ولذلك فإن في تعاقب الليل الساجي والضحى المشرق، نعمة من نعم الله ﷻ على الخليقة، ولهما تأثير بالغ في استقرار الحياة. وقد بين المتأخرون أن هذا التعاقب له انعكاساته الهائلة على كل من الأحياء والنباتات والجمادات، وذكروا تأثيرهما الفاعل على بعض الهرمونات عند الإنسان(١). وكما أن هذا التعاقب له تأثيره، فكذلك الحال في نزول الوحي منجما.

وأرى كذلك أن اختيار الكلمات اللطيفة الحانية الهادئة في وقعها وحروفها، والمنتهية بالألف المقصورة: (ضحى، سجى، قلى، ترضى، آوى، هدى ...)، مناسب في إيقاعه لجو المواساة وتأنيس النبي ﷺ، وبهذا يلحظ أن اختيار ألفاظ الإشارات في السورة: قد أسهم في خدمة مقصدها.

وقد وجدتُ أن من المفسرين من عرض لبيان العلاقة بين مقصد السورة والإشارة، وأول من عرض لها–بحسب اطلاعي– الفخر الرازي، فقد بين أنه سبحانه خص الضحى بالذكر؛ لأنه وقت اجتماع الناس، وكمال الأنس بعد الاستيحاش في زمان الليل، فبشروه أن بعد استيحاشك بسبب احتباس الوحي، يظهر ضحى نزول الوحي(٢). فهنا يؤكد الحق ﷻ أن فتور الوحي عن النبي ﷺ ما هو إلا كظاهرة الضحى بعد سجي الليل، فلا يلبث الليل في سَجَاه وسكونه حتى يأتي الضحى بعده. وإنما السجي في الليل هو مقدمة للضحى، وكذلك الوحي، فإنما فتوره عنك ما هو إلا من أجل التهيئة للعمل.

كما أن وقت الضحى: هو وقت انشغال الناس عن النبي ﷺ بالعمل، ووقت الليل في سجاه: هو وقت انشغالهم عنه بالنوم، ففي هذين الوقتين يكون النبي ﷺ في صفاء وسكينة، فلا بد أن يتوالى نزول القرآن الكريم عليه فيهما، فهي مسألة صفاء للتلقي(٣).

وكذلك ربط الرازي بين المقصد والقسم: فبين أن الزمان ساعة فساعة، ساعة ليل، وساعة نهار...، فمرة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار، ومرة بالعكس، فلا تكون الزيادة لهوى

---

(١) النجار، **السماء في القرآن الكريم**،ج١، ص ٤٤٧، قطب عامر عمران (٢٠١١م)، بحث بعنوان آثار ظلام الليل وضوء النهار على النبات، **المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، إسطنبول،١١–١٤، مارس، ص٢٣.

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ١٨٩.

(٣) وهذا لا يمنع أن الوحي ينزل في كل أحواله.

ولا النقصان لقلى، بل للحكمة. كذا إنزال الوحي: بحسب المصالح، فمرة إنزال ومرة حبس، فلا كان الإنزال عن هوى، ولا الحبس عن قلى[١].

ثم أن الإنسان محتاج لفترة سكون وهدوء يراجع فيها ذاته، ويعيد حساباته ويهيئ نفسه لعمل آخر، فلا بد للوحي من فترة سكون؛ ليتفكر المتلقي ويعمل عقله، ويستشعر قيمة الرسالة والمنهج، ولذا وجدنا النبي ﷺ في أول سماع الوحي يخاف، ويرتعد، ويرجع مناديا (زملوني)[٢]، لكن عند تفكّره فيما نزل، واستشعاره لقيمته ويقينه به، أصبح يستبطئ الوحي ويرجو أن تتوالى الزيارات، فقال لجبريل عليه السلام: (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا)، فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم][٣].

وممن أوضح العلاقة: ابن القيم، وسأذكر كلامه بطوله لأهميته، حيث يقول: "فتأمل مطابقة هذا القسم: وهو نور الضحى، الذي يوافى بعد ظلام الليل، للمقسم عليه: وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه: ودع محمدا ربُّه. فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل، على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه، وأيضا فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار، هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة، فهذان للحس وهذان للعقل.

وأيضا فإن الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم، لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي، بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم"[٤]، وقد ظهر لي أن كثيرا ممن تعرض للعلاقة بين مقصد السورة وهذه الإشارة بعد ابن القيم، كان عالة عليه.

ثم إن القسم بالضحى في هذه السورة، "إشارة إلى مطلع شمس النبوة، وأن مطلعها لا يمكن أن يقف عند حد الضحى الذي بلغته في مسيرتها، بل لا بد أن تبلغ مداها، وأن تتم دورتها، فالشمس في مسيرتها، لا يمسكها شيء إذا طلعت"[٥]. وفي ثنايا هذه العلاقة تلحظ البشارة إلى الصدارة للأمة العاملة.

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص ١٨٩.
(٢) **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ج١، ص٧ برقم: ٣.
(٣) المصدر نفسه، كتاب التفسير، باب وما نتنزل إلا بأمر ربك، ج٦، ص٩٤، برقم: ٤٧٣١.
(٤) ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، ص ٤٧، ونقله كل من: السيوطي، في: **الإتقان في علوم القرآن**، ج٤، ص٥٩، الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (ت: ١٤١٤هـ)، **الموسوعة القرآنية**، طبعة: ١٤٠٥ هـ، ١م، مؤسسة سجل العرب، ج٢، ص٣٠٢، بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**،ج١، ص٢٨، السامرائي، فاضل، **على طريق التفسير البياني**، (د.ط)،٢م، نشر: جامعة الشارقة،٢٠٠٢م، ج١، ص١١١.
(٥) الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج١٦، ص ١٥٩٩.

فالقرآن الكريم هنا يستشهد بالإشارة المتعلقة بالضحى، والليل إذا سجى، على تغير الظروف المحيطة بالنبي ﷺ وأصحابه في ضحى الدعوة في مكة، وفي هذا بشارة لهم بأنهم سيتحولون من حالة العسر إلى حالة اليسر، ومما يسوؤهم إلى ما يسرّهم، ولذا أجد أن من مناسبات مجيء سورة الشرح بعد سورة الضحى مباشرة، التأكيد لهذا المعنى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح].

فإذا تقرر ما سبق، فإنه يتبين أن القرآن الكريم قد اختار القسم بأشرف أوقات النهار، وأشرف أوقات الليل على أشرف المخلوقات. وأن الإشارة المتعلقة بالضحى في السورة قد تفاعلت مع الإشارة المتعلقة بالليل إذا سجى؛ لتحقيق مقصد السورة، والله وأعلم.

وبعد دراسة هذه الإشارة، فإنه يلحظ ورودها في ثلاث سور، هي: النازعات والشمس والضحى، ويظهر أن سورة النازعات نسبت الضحى للسماء، وسورة الشمس نسبت الضحى للشمس، وسورة الضحى جعلته عاما. كما تُلاحظ العلاقات بين سورتي الشمس والضحى: حيث إن الشمس: هي المسببة للضحى. وأيضا فإن سورتي الشمس والضحى قد أوردتا هذه الإشارة بصيغة القسم، وكان ورودها في السورتين في أول آية. وبهذا فقد اختلفت سورة النازعات عن السورتين بأنها لم تورد الإشارة في أول آية، ولم تكن بصيغة القسم. لكنها السورة الوحيدة التي ذكرت الضحى مرتين.

وقد تحقق لي أيضا أنه ثمة علاقة بين مقاصد السور الثلاث: فسورة الشمس، أوردت الإشارة ضمن مقصد بيان التكامل الوظيفي بين المظاهر الكونية، وأما سورة الضحى: فقد أوردتها ضمن مقصد رعاية الله ﷻ للنبي ﷺ والدفاع عنه، والامتنان عليه بنعمة الوحي، فكما أن الله ﷻ يرعى ذلكم التكامل بين الظواهر الكونية، فرعايته لنبيه ﷺ آكد، وهذه الرعاية قائمة إلى ما بعد البعث، وهذا مقصد سورة النازعات، قال الله تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ ﴾ [الضحى]. وبهذا تتضح العلاقة بين مقاصد هاتين السورتين من جهة، وبين مقصد سورة النازعات من جهة أخرى.

المبحث السادس: القسم بالعصر

لم يرد القسم بالعصر في القرآن الكريم إلا في أول آية من سورة العصر، في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾[١]..وإن مما دفعني لتناول الإشارة في هذا الموضع، هو ذهاب كثير من المفسرين إلى القول بأن المقصود بالعصر في الآية: هو وقت العصر المعروف، والذي يبدأ عند جمهور الفقهاء، من حين الزيادة على المثل[٢]. ويلزم هنا الوقوف على مقصد السورة، ومن ثم تحديد معاني الإشارة ودلالاتها لكشف العلاقات.

أولا: مقصد سورة العصر

لم أجد خلافا بين المفسرين في أن المقصد العام للسورة هو: **بيان خسارة الكافر البعيد عن منهج الحق، ونجاة المؤمن القائم بهذا المنهج**، فقد ذكر ذلك وأشار إليه كثير من المفسرين، منهم: الفيروزأبادي، وسيد قطب، وابن عاشور، والزحيلي، وغيرهم[٣]. لكن يلحظ هنا قيمة أخرى لا بد وأن تضاف إلى مقصد السورة: وهي قيمة الزمن، ولهذا فإن السورة تبين حقيقة الربح والخسارة في العمل، من خلال ما يسعى به في الزمن الذي يعيشه الإنسان.

ثانيا: معاني الإشارة وأقوال المفسرين فيها

ذكر أهل اللغة أن (العَصْر): هو الدّهْر، وبين ابن فارس أن للعصر ثلاثة أصول:

الأول: دهْر وحيْن.

الثاني: ضغط شيء حتى يتحلّب.

الثالث: تعلق بشيء وامتساك به. والذي يهمنا هو الأصل الأول، وهو ما يدل على دهر وحين[٤].

وقد تنوعت آراء **المفسرين المتقدمين** إزاء معنى هذه الآية، على أكثر من عشرة أقوال[٥]،

---

(١) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، ص٤٦٣.

(٢) مجموعة مؤلفين، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط٢، ٤٥م، دارالسلاسل، الكويت، ١٤٢٧ه،ج٧، ص١٧٣.

(٣) ينظر: الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج١، ص٥٤٢، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٥٢٨، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص ٣٩٦٤، الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٣٠، ص٣٩١، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٩، ص٣٢٦.

(٤) ابن فارس، **معجم المقاييس**، ج٤، ص٢٧٤-٢٧٥، **مجمل اللغة**، ج١، ص ٦٧٢، الرازي، **مختار الصحاح**، ص٢١٠، ابن منظور **لسان العرب**، ج٤، ص٥٧٥، الكفوي، **الكليات**، ص ٦٥٢.

(٥) جمعها الباحث القرني، محمد بن علي (٢٠١٢م)، في رسالته: **التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، وأثره في التفسير**، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، ص١٩٥.

وأهمها: الدهر، وبعضهم اعتمد الإطلاق، وآخرون خصصوه بزمن النبي ﷺ[١] أو زمن الإسلام، وقيل: هو الساعة المعروفة من النهار، وقيل: العشي: وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، وقيل: الليل والنهار[٢]، وقيل: أقسم بصلاة العصر: وهي الصلاة الوسطى[٣]؛ وذلك لفضلها، ولأن من فاتته العصر: فكأنما وتر أهله وماله، ولأنّ التكليف في أدائها أشقّ؛ لتهافت الناس في وقتها على تجاراتهم ومكاسبهم واشتغالهم بمعايشهم[٤]. فهذه مجموعة من المؤشرات الدالة على شرف وقدسية هذا الوقت من بين جميع أوقات اليوم.

ويظهر لي أن الرابط لجميع هذه الأقوال: هو الزمن، ولا دليل هنا على التخصيص، فيفهم اللفظ على إطلاق دلالته، وهذا ما رجحه الطبري وابن القيم وابن كثير[٥].

أما **المتأخرون:** فلم أجد لهم كلاما مستقلا حول العصر، إلا أن بعضهم ذكر الفوائد الطبية المتعلقة بالقيام للصلاة وقت العصر[٦]. وقولهم هذا ليس فيه ما يعارض أقوال المتقدمين. ويترجح لدي أن المقصود بالعصر: هو الدهر والزمن، وسمي بذلك؛ لأنه يعتصر الإنسان. وعلى هذا يدخل فيه جميع الأقوال السابقة، كما يدخل فيه: وقت العصر، والصلاة التي فيه.

ثالثا: علاقة مقصد سورة العصر بالإشارة

قام المفسرون بربط الإشارة بمقصد السورة كل حسب رؤيته لدلالة العصر، وأكثر المفسرين تعرضوا للعلاقة بين مقصد السورة، ووقت صلاة العصر. فقد بين الرازي: " أن صلاة العصر بها يحصل ختم طاعات النهار، فهي كالتوبة، بها تختم الأعمال، فكما تجب الوصية بالتوبة، كذا بصلاة العصر؛ لأن الأمور بخواتيمها، فأقسم بهذه الصلاة تفخيما لشأنها،

---

(١) **تفسير ابن عطية**، ج٥، ص ٥٢٠، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٢، ص ٧٥٩.

(٢) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٥٨٩، **تفسير الماوردي**، ج٦، ص ٣٣٣، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٢، ص ٧٥٩.

(٣) **تفسير البغوي**، ج٥، ص ٣٠٢.

(٤) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٨٠٠.

(٥) **تفسير الطبري**، ج٢٤، ص ٥٨٩، ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، ص٥٤، **تفسير ابن كثير**، ج٨، ص ٤٨٠.

(٦) ذكر المتأخرون هنا أن هرمون (الأدرينالين) يزداد إفرازه في وقت العصر، والذي يعمل على توسيع الأوعية الدموية في الجلد والعضلات؛ وذلك لإتاحة الفرصة لتوصيل الدم الكافي لها، وبالتالي تزويد العضلات بالأوكسجين. كما يعمل على زيادة نبضات القلب. وبهذا يتضح السر في التأكيد على أداء صلاة العصر، فأداؤها مع ما يؤدي معها من سنن ينشط القلب تدريجيا، ويجعله يعمل بكفاءة أعلى بعد حالة من الخمول الشديد، ودون مستوى الإرهاق، فتتصرف باقي أجهزة الجسم وحواسه إلى الاستغراق في الصلاة، فيسهل على القلب مع الهرمون تأمين إيقاعهما الطبيعي الذي يصل إلى أعلاه مع مرور الوقت. ينظر: يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص٩٣٨-٩٣٩، مصباح، سيد كامل، مقال بعنوان: التوجيه القرآني، والإيقاع البيولوجي، موقع **الهيئة العالمية للإعجاز العلمي**، النعيمي، قسطاس إبراهيم، مقال بعنوان: الإعجاز العلمي في الصلاة، أبحاث الإعجاز التشريعي، **موقع جامعة الإيمان**.

وزيادة توصية المكلف على أدائها، وإشارة منه أنك إن أديتها على وجهها عاد خسرانك ربحا"[١]، وبذلك فكما أن العاقل يجب أن يحاسب نفسه، فإن وقت العصر: هو نهاية عمل اليوم، فلا بد أن يحاسب الإنسان نفسه في هذا الوقت؛ لئلا يدخل في الخسارة.

وربما كان من أسباب ربط المفسرين لوقت وصلاة العصر بموضوع الخسارة، ما ورد عن النبي ﷺ قوله: (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله)[٢]، ولا يخفى أن حبوط العمل بمعنى: خسارته. ولا يلحظ في صلاة العصر تميز عن غيرها من الصلوات، سواء بعدد ركعات أو غيره، سوى ميقاتها، أي: الزمن الذي تقام فيه، وبهذا فإنه يُلمح موضوع الخسران وربطه بوقت العصر، من خلال حديث النبي ﷺ عمن ترك الصلاة وقت العصر، فقد قال: (الذي تفوته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله)[٣].

وبعد هذا فإن من حافظ على صلاة العصر فكأنما حفظ أهله وماله، ويمكن لي أن أربط هذا بحديث: (إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله ﷻ فيها خيرا، إلا أعطاه إياه: وهي بعد العصر)[٤]، فمن ضيع هذا الوقت فكأنه خسر كل شيء، ومن استغل هذا الوقت فكأنه ربح كل شيء، وهذا يدل على أهمية هذا الوقت في حياة المسلم وعمله. وإن كان المقصود عصر الإسلام: فالعلاقة ظاهرة؛ لأن من كفر به واستنكف عن منهجه: كان من الخاسرين، ومن آمن واهتدى بهديه، كان من المستثنين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

وإن قصد بالعصر: آخر النهار، فإن عادة الناس أن يغدوا إلى مكاسبهم في وقت الصباح، فالقسم بالعصر هنا: "إشارة إلى نهاية المطاف، ووقت الحصاد، حيث يكون الناس في نهاية أعمالهم"[٥]، ففيه تنبيه على دنو وقت انقطاع الأسواق، وانتهاء التجارة والكسب فيها، فإذا لم يكسب الإنسان، يكون من الخاسرين، وهكذا عصر الدنيا، فإن القيامة قد دنت، فإذا لم يستعد الإنسان، فسيكون من الخاسرين، وبهذا فإن القسم بالعصر كان أنسب لموضوع الربح والخسارة،

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٢، ص ٧٥٩.
(٢) **صحيح البخاري**، كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من ترك العصر، ج١، ص ٢٠٣، برقم: ٥٢٨.
(٣) المصدر نفسه، برقم: ٥٢٧.
(٤) **مسند أحمد**، ج١٣، ص ١١٧، برقم: ٧٦٨٨، وقال عنه: شعيب الأرناؤوط: صحيح بشواهده. الحاشية.
(٥) العودة، **إشراقات قرآنية**، ج٢، ص ٢٤٤.

"إذ جُعلت حياة الإنسان كسوق قائمة، والسلعة فيها: العمل. والعامل: الإنسان"[١]، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصف].

وأما من رأى أن العصر: هو الدهر، فإنه يعدّ بهذا: الظرف الذي تحدث فيه الأعمال، ثم تظهر فيه نتائجها، فالله ﷻ أقسم بزمن العمل على نتيجة العمل[٢]. وبهذا فإنه تتأكد لي حقيقة أن القسم بالعصر في سورة العصر، كان مناسبا لمقصدها، إذ إن هذه الإشارة بجميع دلالاتها التي ذكرها المفسرون، كانت ذات علاقة وثيقة بمقصد ربح العمل وخسارته في السورة. وعليه فلا يناسب هنا أن يقسم بوقت الضحى أو الفجر أو غيره.

وبعد دراسة العلاقة بين مقصد سورة العصر والإشارة، فإنه تظهر لي إمكانية أن يكون من أحد أسباب اختيار القسم بالعصر دون غيره من الأقسام، التنبيه لأولئك الذين يردون سبب خسرانهم وفشلهم إلى الزمن، وكأن الحق سبحانه يؤكد على أن قيمة الزمن ما يفعل فيه، فبهذا لا يرد سبب النجاح أو الخسارة للزمن، ولهذا نهى النبي ﷺ سب الدهر، فقال: (لا تسبوا الدهر، فإن الله: هو الدهر)[٣]، بمعنى: منشؤه، ومقلب الليل والنهار فيه.

ثم بما أنه قد وجدت علاقة لمعظم ما ذكر في معنى العصر، فإن هذا يؤكد على أن الأخذ بالمعنى الذي يجمع كل دلالات الإشارة أولى، وبهذا يتكشف أثر العلاقة بين الإشارة ومقصد السورة في ترجيح معنى الإشارة، والله تعالى أعلم.

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٢، ص ٢٧٨. الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٨، ص٤٤٥.

(٢) ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، ص٥٤، المدرسي، **من هدي القرآن** ،ج١٢، ص ٢٣٩، ونقله القرني، في رسالته: **التناسب بين المقسم به والمقسم عليه**، وأثره في التفسير، ص٢١١.

(٣) **صحيح مسلم**، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الدهر، ج٧، ص ٤٥، برقم: ٥٩٢٨، ورقم: ٥٩٢٥.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

الحمد لله الذي أنعم وتفضل علي لإتمام الدراسة والتي أعترف فيها بتقصيري وعجزي، فله سبحانه الحمد والثناء والمنة. وقد أسهمتِ الدراسة في تشكيل رؤية واضحة لدي عن صلب الموضوع، وما يحوم في حماه، ويمكن لي أن أجمل ما توصلت إليه من نتائج بما يلي:

أولا: لقد تيقنت أنه بالكشف عن العلاقات بين مقصد السورة، والإشارات العلمية الواردة فيها، سيصل الدارس إلى مزيد من الدلائل عن علو شأن القرآن الكريم، وأنه تنزيل من حكيم حميد، فإن هذه العلاقات تعتبر سرا من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم.

ثانيا: حوت الدراسة على أربع وأربعين إشارة علمية كونية، على النحو الآتي:

أ- الأعيان السفلية: وشملت الحديث عن الأرض بخمس إشارات، والجبال والماء، كل منهما بثلاث إشارات، فاكتملت بذلك إحدى عشرة إشارة.

ب- الأعيان العلوية: وشملت الحديث عن السماء بسبع إشارات، والشمس والقمر كل منهما بإشارتين، والخنس والطارق كل منهما بإشارة واحدة، فتم بذلك ثلاث عشرة إشارة.

ج- الظواهر الكونية: وقد كانت أكثر الإشارات ورودا في الجزء، إذ شملت الحديث عن الليل بتسع إشارات، والفجر والنهار والضحى كل منها بثلاث إشارات، والشفق والعصر كل منهما بإشارة واحدة، فاكتملت بهذا عشرون إشارة.

ثالثا: إدراك العلاقة بين مقصد السورة والإشارة العلمية، يتوقف على تحديد مقصد السورة، ثم فهم معاني الإشارة ودلالاتها.

رابعا: إدراك العلاقة بين الإشارات المتعددة في السورة الواحدة، يسهم في تحديد مقصد تلك السورة، ووحدتها البنائية، كما أن الوقوف على العلاقة بين السور التي أوردت ذات الإشارة العلمية يعطي صورة متكاملة عن بناء السور.

خامسا: الوقوف على معنى الإشارة ودلالاتها، يسهم في تحديد معنى إشارة أخرى مجاورة لها، وربما حدد دلالة بعض المشترك اللفظي، مثل: والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس، فمجيء الصبح دلالة على أن المقصود ذهاب الليل.

سادسا: تبين لي أن معظم أقوال المتأخرين في الإشارات العلمية لا تعارض أقوال المتقدمين بل كانت مكملة لها. وأن اختلاف المتقدمين كان في معظمه اختلاف تنوع للمعاني، وإن كثيرا من تفسيرات بعض المتأخرين تدخل ضمن ذلك التنوع.

سابعا: توصلتُ إلى أن التنويع في ذكر الإشارات العلمية كان تنبيها لما للإشارة من أهمية، ثم خدمة لمقاصد السورة الواردة فيها.

ثامنـــا: تأكد لي أن تحديد العلاقة بين الإشارة العلمية ومقصد السورة، أمر قائم على الاجتهـــاد؛ ولهذا لا يمكن القطع بعلاقة دون غيرها. وبهذا فإن إدراك العلاقة بين مقصد السورة والإشـــارة العلمية فيها: هو فضل ومنة من الله ﷻ، تتحقق بالتدبر والتفكر، ولهذا فقـــد وجـــدتُ أن هنـــاك علاقات تبرز لأول وهلة، في حين أن هناك علاقات تحتاج لإعادة نظر وتكرار تأمل، والأصل عدم التكلف.

تاسعا: لم ترد إشارة علمية في الجزء الثلاثين إلا كانت متناسقة ومترابطة مع مقـــصد الـــسورة التي وردت فيها، ولهذا فقد تكشفت لي علاقات وروابط جديدة بين الاشارات العلمية المـــذكورة في السورة الواحدة في هذا الجزء.

عاشرا: لقد تأكد لي من خلال ما ذكره الدكتور سليمان-حفظه الله- أن إيراد الإشارة العلمية في الجزء الثلاثين، كان لحمل مقصد سامٍ في حياة الأمة وأفرادها، فهي تسعى إلى بنـــاء الإنـــسان، بفكره وعقله وسلوكه وشعوره، والذي ببنائه تبنى الأمة.

وأخيرا، فمن أهم التوصيات التي أراها في ختام الدراسة:

أولا: أهمية تتبع الجديد من الدراسات العلمية، فهي لغة العصر، وتعد مصدرا خصبا للدعوة.

ثانيا: ضرورة توفر عمل مؤسسي منظم؛ لدراسة المسائل العلمية في القـــرآن الكـــريم بـــشكل منضبط؛ لئلا يلج الباب إلا ذوو الاختصاص، وتكون هي المرجع لجميـــع الدراســـات العلميـــة التجريبية المتعلقة بالدراسات القرآنية بعدها.

ثالثا: البحث في علاقة مقاصد السور مع باقي الإشارات العلمية في القـــرآن الكـــريم، وذلـــك كمشروع علمي تتبناه الجامعات أو مراكز البحث.

رابعا: كما يمكن أن يبحث في العلاقة بين مقاصد السور، والإشارات الأخرى المتعلقة بـــالأنفس والحيوان والنبات، سواء في الجزء الثلاثين، أو في باقي سور القرآن الكـــريم وأجزائـــه، والله الموفق.

﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ

المصادر والمراجع

قائمة الكتب المؤلفة:

١. الإبراهيمي، علي (٢٠٠٦م)، **لطائف ومعارف القرآن الكريم**، ط١، ٦م، العراق: دار هيئة الأمين.

٢. الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (١٤٠٥ هـ)، **الموسوعة القرآنية**، (د.ط)،١م، لبنان: مؤسسة سجل العرب.

٣. الأخفش، أبو الحسن المجاشعي (ت: ٢١٥هـ)، **معاني القرآن**، ط١، ٢م، (تحقيق: هدى محمود قراعة)، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٩٠م.

٤. الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ط١، ٨م، (تحقيق: محمد عوض مرعب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠١م.

٥. الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ)، **معاني القراءات**، ط١، ٣م، مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية،١٩٩١م.

٦. الأصبهاني، إسماعيل بن محمد (ت: ٥٣٥هـ)، **إعراب القرآن**،ط١، ١م، الناشر: غير معروف فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٥م.

٧. آغا، شاهر(٢٠٠٥م)، **الأرض في القرآن الكريم**، (د.ط)، ١م، الأردن: دار الكتاب الثقافي.

٨. الألوسي، شهاب الدين محمود (ت: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، ١٦م، (تحقيق: علي عبد الباري)، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٥ هـ.

٩. الأنباري، محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨هـ)، **الأضداد**، ط١، ١م، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م.

١٠. الأنباري، محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، ط١، ٢م، (تحقيق: حاتم صالح الضامن)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.

١١. أندرويل، (٢٠٠٧م)، **الصحة والدواء**، ط١،١م، السعودية: مكتبة جرير.

١٢. البار، محمد علي (١٩٩١م)، **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، ط٨، ١م، السعودية: الدار السعودية.

١٣. بازمول، محمد بن عمر (٢٠٠٢م)، **علم المناسبات في السور والآيات**، ط١،١م، مكة: المكتبة المكية.

١٤. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت:٤٠٢هـ)، **إعجاز القرآن**، ط١، ١م، (تحقيق: السيد أحمد صقر)، دار المعارف، القاهرة.

١٥. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، ط١، ٦م، (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ.

١٦. البركتي، محمد (٢٠٠٣م)، **التعريفات الفقهية**، ط١، ١م، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٧. البستاني، محمود (١٤٢٤هـ)، **التفسير البنائي للقرآن الكريم**، ط١، ٥م، إيران: الأستانة الرضوية المقدسة.

١٨. البستي، محمد بن حبان التميمي، (ت: ٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، ط٢، ١٨م، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

١٩. البعلبكي، منير(١٩٩٠م)، **موسوعة المورد العربية**، ط١، ٢م، بيروت: دار العلم للملاين.

٢٠. البغا، مصطفى ديب ومستو، محيى الدين ديب (١٩٩٨م)، **الواضح في علوم القرآن**، ط٢، ١م، دمشق: دار الكلم الطيب.

٢١. البغوي، الحسين بن مسعود (ت: ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل، (تفسير البغوي)**، ط١، ٥م، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار إحياء التراث العربي، لبنان،٢٠٠٠م.

٢٢. البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ط١، ٣م، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٧م.

٢٣. البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت:٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،(نظم الدرر)**، (د.ط)، ٢٢م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،(د.ت).

٢٤. بنت الشاطئ، عائشة محمد علي (د.ت)، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ط٧ ،٢م، القاهرة: دار المعارف.

٢٥. البوطي، محمد سعيد (٢٠٠٧م)، **لا يأتيه الباطل**، ط١، ١م، دمشق: دار الفكر.

٢٦. البوطي،محمد سعيد (١٩٩٩م)، **من روائع القرآن**، ط١،١م، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٧. بينديك، جين (١٩٩٢م)، **الكتاب الأول عن الزمن**، ط١، ١م، (ترجمة: محمد برهان بنداوي)، سوريا: دار طلاس.

٢٨. الترمذي، محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، **السنن**، ط٢، ٥م، مكتبة مصطفى البابي، مصر، ١٩٧٥م.

٢٩. التفتنازي، مروان وشعبان، وحيد (٢٠٠٦م)، **الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث**، ط١،١م، لبنان: دار المعرفة.

٣٠. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، ط٣، ٣٥م، (تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار)، دار الوفاء، ٢٠٠٥م.

٣١. الجاويش، محمد(د.ت)، **من عجائب الخلق في الكون العظيم**، (د.ط)، ١م، القاهرة: الدار الذهبية.

٣٢. الجرجاني، علي بن محمد (ت: ٨١٦هـ)، **التعريفات**، ط١، ١م، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٣م.

٣٣. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:٨٣٣)، **التمهيد في علم التجويد**، ط١، ١م، (تحقيق غانم قدوري الحمد)، مؤسسة الرسالة، لبنان، ٢٠٠١م.

٣٤. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣ هـ)، **النشر في القراءات العشر**، (د.ط) (تحقيق:علي محمد الضباع)، المطبعة التجارية.

٣٥. الجسر، نديم (د.ت)، **قصة الإيمان**، بين الفلسفة والعلم والقرآن، طبع في لبنان.

٣٦. الجعبري، البرهان (ت: ٧٣٢)، **تقريب المأمول في ترتيب النزول**، (د.ط)،١م، (حققه: أحمد سالم الشنقيطي)، مكتب الشنقيطي، مكة، (د.ت).

٣٧. جمال، أبو حسان(١٤٢٣هـ)، **دراسات إسلامية وعربية**، ط١، ١م، الأردن: دار الرازي.

٣٨. الجميلي، السيد (١٩٩٢م)، **الإعجاز العلمي في القرآن**، ط٢، ١م، مصر: دار الهلال.

٣٩. ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ط١،١م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٩م.

٤٠. جودة، حسنين وعيانة، فتحي محمد (د.ت)، **قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية**، ط١، ١م، دار المعرفة الجامعية.

٤١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط١، ٤م، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٤٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ط١،١م، (تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم)، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٩٨٤م.

٤٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(الصحاح)**، ط٤، ٦م، (تحقيق: أحمد عبد الغفور)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧ م.

٤٤. حجازي، محمد محمود (١٤١٣ هـ)، **التفسير الواضح**، ط١٠، ٣م، بيروت: دار الجيل الجديد.

٤٥. ابن حجر، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢ هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (د.ط)، ١٣م، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٦. الحرالي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت: ٦٣٨هـ)، **تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير**، ط١، ١م، (تحقيق: محمادي بن عبد السلام)، منشورات المركز الجامعي للبحث، الرباط، ١٩٩٧م.

٤٧. حسين، عبد الوهاب (٢٠٠٧م)، **سورة الضحى**، ط١، ١م، البحرين: دار الثقافة.

٤٨. الحليبي، فيصل (٢٠٠٩م)، **مقاصد المكلفين عند الأصوليين**، ط١،١م، الرياض: مكتبة الرشد.

٤٩. الحمد، غانم (٢٠٠٧م)، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ط٢، ١م، عمان: دار عمار.

٥٠. حميد، فوزي (١٩٩٣م)، **الجغرافية القرآنية**، ط١، ١م، دمشق: دار الصفدي.

٥١. ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت:٢٤١هـ)، **المسند**، ط١، ٤٥م، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١ م.

٥٢. حوى، سعيد (١٩٨٥م)، **الأساس في التفسير**،ط١، ١١م، القاهرة: دار السلام.

٥٣. حويش، ملا عبد (١٩٦٥م)، **بيان المعاني**، ط١، ٦م، دمشق: مطبعة الترقي.

٥٤. ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط**، (تحقيق: صدقي محمد جميل)، دار الفكر، لبنان. ١٤٢٠هـ.

٥٥. الخالدي، صلاح عبد الفتاح (٢٠٠٨م)، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ط٣، ١م، دمشق: دار القلم.

٥٦. الخالدي، صلاح عبد الفتاح (٢٠٠٠م)، **مدخل إلى ظلال القرآن**، ط٢، ١م، عمان: دار عمار.

٥٧. خان، محمد صديق (ت: ١٣٠٧هـ)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، (د.ط)، ١٥م، المكتبة العصريّة، صيدا، ١٩٩٢م.

٥٨. الخطيب، أحمد شفيق وخير الله، يوسف سليمان (٢٠٠٤م)، **الموسوعة العلمية المعاصرة**، ط١،١م، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

٥٩. الخطيب، أحمد شفيق (١٩٨٥م)، **موسوعة الطبيعة الميسرة**، ط١،١م، لبنان: مكتبة لبنان.

٦٠. الخطيب، عبد الكريم (د.ت)، **التفسير القرآني للقرآن**،(د.ط)،١٦م، القاهرة: دار الفكر.

٦١. الخولي، أمين (١٩٨٢م)، **التفسير معالم حياته ومنهجه**، ط١، ١م، لبنان: دار الكتاب.

٦٢. الداني، عثمان بن سعيد (ت: ٤٤٤هـ)، **البيان في عد آي القرآن**، ط١، ١م، (تحقيق: غانم قدوري الحمد)، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٩٩٤م.

٦٣. الداني، عثمان بن سعيد (ت: ٤٤٤هـ)، **التحديد في الإتقان والتجويد**، ط١،١م، (تحقيق: غانم قدوري حمد)، مكتبة دار الأنبار، بغداد، ١٩٨٨م.

٦٤. أبو داوود، سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ) في **السنن**، (د.ط)، ٤م، دار الكتاب، بيروت.

٦٥. دراز، محمد عبد الله (١٩٨٥م)، **النبأ العظيم**، ط١،١م، الدوحة: دار الثقافة.

٦٦. دروزة، محمد عزة (١٣٨٣هـ)، **التفسير الحديث**، ط١،١م، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

٦٧. دعسان، أحمد محمد (٢٠٠٩م)، **التكثيف البلاغي في القرآن الكريم، جزء عم دراسة أسلوبية**، ط١، ١م، الأردن: دار المأمون.

٦٨. الذهبي، محمد أحمد (ت: ٧٤٨هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ط١، ٤م، (تحقيق: علي محمد البجاوي)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣م.

٦٩. الذهبي، محمد السيد حسين (د.ت)، **التفسير والمفسرون**، ٣م، القاهرة: مكتبة وهبة.

٧٠. الرازي، محمد بن أبي بكر (ت: ٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، ط١،٥م، (تحقيق: يوسف الشيخ محمد)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

٧١. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن (ت: ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**،ط٣، ٣٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٧٢. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، ١م، (تحقيق: صفوان عدنان الداودي)، دار القلم، دمشق، ١٤١٢ هـ.

٧٣. الراغب، عبد السلام أحمد (٢٠٠١م)، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ط١، ١م، حلب: فصلت للدراسات.

٧٤. الرافعي، مصطفى صادق (ت: ١٣٥٦هـ)، **السمو الروحي الأعظم**، ط١،١م، (تحقيق: البحيري ووائل ابن حافظ)، دار البشير.

٧٥. الربيعة، محمد بن عبد الله (٢٠١١م)، **علم مقاصد السور**، ط١،١م، (د.ط).

٧٦. الرحيلي، عبد الله (د.ت)، **الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها**، ط١، ١م، السعودية: مطبعة سفير.

٧٧. الرومي، فهد بن عبد الرحمن (١٩٨٦م)، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، ط١، ٣م، السعودية: رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء.

٧٨. زايد، فهد (٢٠٠٨م)، **الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن**، ط١، ١م، الأردن: دار النفائس.

٧٩. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد (ت: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**،(**تاج العروس**)، (د.ط)، دار الهداية.

٨٠. الزجاج، إبراهيم بن السري (ت: ٣١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، ط١، ٥م، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

٨١. الزحيلي، وهبة بن مصطفى (١٤١٨هـ)، **التفسير المنير**، ط٢،٣٠م، دمشق: دار الفكر.

٨٢. الزحيلي، وهبة بن مصطفى (١٤٢٢هـ)، **التفسير الوسيط**، ط١، ٣ م، دمشق: دار الفكر.

٨٣. زرزور، عدنان (١٩٩٨م)، **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه**، ط٢، ١م، دمشق: دار القلم.

٨٤. الزركشي، بدر الدين بن محمد (ت: ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، ٤م، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، ١٩٥٧م.

٨٥. الزمخشري، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**،(**الكشاف**)،(د.ط)،٤م، دار إحياء التراث العربي، لبنان،(د.ت).

٨٦. ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٤٠٣هـ)، **حجة القراءات**، (د.ط)،١م، (تحقيق: سعيد الأفغاني)، دار الرسالة، بيروت.

٨٧. الزنداني، عبد المجيد (٢٠١١م)، **تأصيل الإعجاز العلمي**، ط١، ١م، بيروت: المكتبة العصرية.

٨٨. أبو زيد، بكر بن عبد الله (١٤١٦هـ)، **حلية طالب العلم**، ط١، ١م، الرياض: دار العاصمة.

٨٩. السامرائي، فاضل بن صالح (١٩٨٧م)، **التعبير القرآني**، ط١، ١م، بغداد: دار الكتب.

٩٠. السامرائي، فاضل صالح (٢٠٠٢م)، **على طريق التفسير البياني**، (د.ط)،٢م، الشارقة: جامعة الشارقة.

٩١. السامرائي، فاضل صالح (٢٠٠٧م)، **معاني الأبنية في العربية**، ط٢ ،١م، الأردن: دار عمار.

٩٢. السبحاني، جعفر محمد (١٤٢٠هـ)، **الأقسام في القرآن**، ط١، ١م، قم: مطبعة الاعتماد.

٩٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (٢٠٠٠م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (تفسير السعدي)**، ط١،١م، (تحقيق: عبد الرحمن بن معلا)، لبنان: مؤسسة الرسالة.

٩٤. أبو السعود، محمد بن محمد (ت: ٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود)**، (د.ط)، ٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٥. سعيد، عبد الستار(١٩٩١م)، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ط٢، ١م، مصر: دار التوزيع.

٩٦. سعيد، محمد رأفت (٢٠٠٢م)، **تاريخ نزول القرآن**، ط١، ١م، مصر: دار الوفاء.

٩٧. السقا، مرهف عبد الجبار (٢٠١٠م)، **التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ضوابط وتطبيقات**، ط١، ٢م، سوريا: دار محمد الأمين.

٩٨. سمير، عبد الحليم (٢٠٠٠م)، **الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني**، ط١، ١م، دمشق: مكتبة الأحباب.

٩٩. سيد قطب، إبراهيم حسين (د.ت)، **التصوير الفني في القرآن** ط١،١٧م، مصر: دار الشروق.

١٠٠. سيد قطب، إبراهيم حسين (١٩٩٨م)، **في ظلال القرآن**، ط٢٧، ٦م، مصر: دار الشروق.

١٠١. سيد قطب، إبراهيم حسين (د.ت)، **مشاهد القيامة في القرآن**،(د.ط)، مصر: دار الشروق.

١٠٢. ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ)، **المخصص**، ط١،٥م، (تحقيق: خليل إبراهم جفال)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

١٠٣. ابن سينا، الحسين بن عبد الله (ت: ٤٢٨هـ)، **تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات**، ط١، ١م، مطبعة هندية، مصر، ١٩٠٨م.

١٠٤. ابن سينا، الحسين بن عبد الله (ت: ٤٢٨هـ) **القانون في الطب**، ط١، ١م، دار صادر، لبنان.

١٠٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت: ٩١١هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ط١، ٣م، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٨م.

١٠٦. الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت: ٧٩٠هـ)، **الموافقات**، ط١، ٧م، (تحقيق: مشهور سلمان)، دار ابن عفان، الأردن، ١٩٩٧م.

١٠٧. الشدّي، عادل بن علي(د.ت)، **التفسير العلمي للقرآن جذوره والموقف منه**، كتاب الكتروني.

١٠٨. شرف، عبد العزيز(د.ت)، **المقدمات في الجغرافيا الطبيعية**،(د.ط)، ١م، مصر: مركز الإسكندرية.

١٠٩. الشريف، محمد حسن (١٩٩٥م)، **الهمة طريق إلى القمة**، ط٣، ١م، السعودية: دار الأندلس.

١١٠. الشعراوي، محمد متولي(د.ت)، **المختار من تفسير القرآن العظيم**،(د.ط)، ٣م، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي.

١١١. شلبي، هند(١٩٨٥م)، **التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق**، قرطاج: مطبعة تونس.

١١٢. الشنقيطي، محمد الأمين (١٩٩٥م)، **أضواء البيان**، (د.ط)،٩م، لبنان: دار الفكر.

١١٣. أبو شهبة، محمد بن محمد (١٤٢٧هـ)، **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، ط٢،٨م، دمشق: دار القلم.

١١٤. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت:٥٤٨ هـ)، **الملل والنحل**،(د.ط)،٢م،(تحقيق: محمد سيد كيلاني)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١١٥. الشوكاني، محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، ط١، ٦م، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤ هـ.

١١٦. الشيرازي، السيد محمد (٢٠٠٠م)، **فقه البيئة**، ط١،١م، بيروت: مؤسسة الوعي الإسلامي.

١١٧. الشيرازي، ناصر(١٤٢٦هـ)، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، ط١،١٥م، قم: مدرسة الإمام.

١١٨. الصابوني، محمد علي (٢٠٠١م)، **إيجاز البيان في سور القرآن**، ط١،١م، بيروت: دار الجيل.

١١٩. الصابوني، محمد علي (١٩٩٧م)، **صفوة التفاسير**،ط١،١م، القاهرة: دار الصابوني.

١٢٠. الصادقي، محمد (١٩٧٧م)، **الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن**، ط٢، ٣٠م، لبنان: مؤسسة الأعلمي.

١٢١. الصالح، صبحي (٢٠٠٠م)، في **مباحث في علوم القرآن**، ط٢٤، ١م، لبنان: دار العلم.

١٢٢. الصوفي، ماهر أحمد (٢٠٠٧م)، **الموسوعة الكونية الكبرى، وفق أحدث الدراسات الفلكية**، ط١، ١٣م، بيروت: المكتبة العصرية.

١٢٣. الطائي، محمد باسل(١٩٩٨م)، **خلق الكون بين العلم والإيمان**، ط١،١م، بيروت: دار النفائس.

١٢٤. الطباطبائي، محمد حسين (د.ت)، **تفسير الميزان**، (د.ط)، ٢٠م، قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

١٢٥. الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، ط١، ٢٤م، (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، لبنان٢٠٠٠م.

١٢٦. طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٨م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم (الوسيط)**،ط١، ١٥م، دار القاهرة: نهضة مصر.

١٢٧. الطيار، مساعد بن سليمان (١٤٣٣هـ)، **الإعجاز العلمي إلى أين؟**، ط٢، ١م، السعودية: دار ابن الجوزي.

١٢٨. الطيار، مساعد بن سليمان (١٤٣٠ هـ)، **تفسير جزء عم**، ط٨، ١م، السعودية:دار ابن الجوزي.

١٢٩. العابد، مؤيد محمد صالح (١٩٩٨م)، **الظواهر الفيزيائية والجيولوجية في القرآن الكريم**، ط١، ١م، لبنان: الدار الإسلامية.

١٣٠. ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٩٧م)، **التحرير والتنوير**،(د.ط)،٣٠م، تونس: دار سحنون.

١٣١. ابن عاشور، محمد الطاهر (٢٠٠٤ م.)، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، (د.ط)، ٣م، (تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة)، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

١٣٢. عاطف، أحمد (١٩٨٥م)، **نقد الفهم العصري للقرآن**، ط٣، ١م، القاهرة: دار العالم الجديد.

١٣٣. عباس، فضل حسن (٢٠١٠م)، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط٢، ٢م، الأردن: دار النفائس.

١٣٤. عبد الآخر، أحمد أبو الوفا وغنيم، السيد كارم (٢٠٠٥م)، **المعجزة الخالدة، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي**، ط١،١م، (د.ط).

١٣٥. عبد الباري، عبد المجيد الشيخ (٢٠٠٦ مـ)، **الروايات التفسيرية في فتح الباري**، ط١ ،٣م، (أصلها رسالة دكتوراة)، السعودية: وقف السلام الخيري.

١٣٦. عبد الباقي، محمد فؤاد (١٣٦٤هـ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (د.ط)، ١م، دار القاهرة: الكتب المصرية.

١٣٧. عبد الحميد، دياب وقرقوز، أحمد (١٩٨٢م)، **مع الطب في القرآن الكريم**، ط١،٢م، مؤسسة دمشق: علوم القرآن.

١٣٨. عبد الرزاق، أبو بكر بن همام (ت: ٢١١هـ)، **تفسير عبد الرزاق**، ط١، ٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، (تحقيق: محمود عبده)، ١٤١٩هـ.

١٣٩. عبد القادر، عدنان (٢٠١٢م)، **اللسمات الحانية، في مقاصد السور الغانية**، ط١، ١م، دار الكويت: حامل المسك.

١٤٠. العبد الله، عبد العزيز (١٩٦٩م)، **الأجزاء الكونية بين النقل والعقل**، ط١، ١م، سوريا: دار البيان.

١٤١. عبد المنعم، الهادي ودينا، بركة (١٩٩٨م)، **عالم النبات في القرآن**، ط١، ١م، القاهرة: دار الفكر العربي.

١٤٢. العبيدي، خالد فائق صديق (٢٠٠٤م)، **ومضات إعجازيّة من القرآن والسّنّة النّبويّة**، ط١، ١٥م، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٤٣. ابن عجيبة، أحمد بن محمد (ت: ١٢٢٤هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ط٢، ٨م، (تحقيق: أحمد عبد الله القرشي)، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٢ م.

١٤٤. عرفات، محمد مختار (٢٠٠٣م)، **إعجاز القرآن في العلوم الجغرافية**، ط١، دمشق: دار اقرأ.

١٤٥. عزيز، صالح ملا وسعيد، فضيلة أحمد، بحث بعنوان: **جماليات الحركة في التعبير القرآني**، جامعة صلاح الدين، نسخة الكترونية.

١٤٦. ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت: ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، ٦م (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد)،دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤٢٢ هـ.

١٤٧. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت: ٦١٦هـ)، **التبيان في إعراب القرآن**، (د.ط)، ٢م، (تحقيق: علي محمد البجاوي)، الناشر: عيسى البابي الحلبي.

١٤٨. علوان، عبد الله (١٩٨٧م)، **ثقافة الداعية**،(د.ط)، القاهرة: دار السلام.

١٤٩. العلوي، يحيى بن حمزة (ت: ٧٤٥هـ)، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ط١، ٣م، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

١٥٠. علي، حسن موسى (٢٠٠٧م)، **بدائع السماء**، ط١، ١م، دمشق: دار الطبع غير ظاهر.

١٥١. علي، محمد سامي (١٩٩٣م)، **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، دمشق: دار المحبة.

١٥٢. عمري، حسين يوسف راشد، **معالم قرآنية في الفيزياء والكون**، منشور في موقع جامعة مؤتة.

١٥٣. العودة، سلمان (١٤٣٣هـ)، **إشراقات قرآنية في جزء عم**، ط١ ،٢م، الرياض:الإسلام اليوم.

١٥٤. الغريري، عبد الله (د.ت)، **آيات الكون وأسرار الطبيعة**،(د.ط) ١م، دار المحجة، لبنان.

١٥٥. الغيلي، عبد المجيد محمد (٢٠١٣م)، **الإنسان في الأرض**، كتاب إلكتروني.

١٥٦. الغيلي، عبد المجيد محمد (٢٠٠٩)، **كيف يبرمج القرآن الحياة**، ط١، ١م، اليمن: دار النشر للجامعات.

١٥٧. ابن فارس، أحمد بن زكريّا (ت: ٣٩٥هـ)، **مجمل اللغة**، ط٢، ٢م، (تحقيق: زهير عبد المحسن)، مؤسسة الرسالة، بيروت١٩٨٦م.

١٥٨. ابن فارس، أحمد بن زكريّا (ت: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، (د.ط)٦م، (تحقيق: عبد السَّلام هارون)، إتحاد الكتاب العرب، مصر، ٢٠٠٢م.

١٥٩. الفاضل، أحمد محمد (٢٠٠٩م)، **نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم**، ط١، ١م، دمشق، مركز الناقد الثقافي.

١٦٠. الفانا، مصطفى حمود(١٩٩٤م)، **موسوعة الفلك والكون والبيئة**، ط١،١م، بيروت: دار الفكر.

١٦١. فايد، يوسف عبد المجيد (د.ت)، **جغرافية المناخ والنبات**،(د.ط)، ١م، مصر: دار النهضة العربية.

١٦٢. الفراء، يحيى بن زياد (ت: ٢٠٧هـ)، **معاني القرآن**، ط١، ٣م، (تحقيق: أحمد النجاتي)، الدار المصرية، مصر.

١٦٣. الفراهي، عبدالحميد (ت: ١٣٤٩ هـ)، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ط١،١م، الدائرة الحميدية، الهند، ٢٠٠٨ م.

١٦٤. الفراهي، عبد الحميد (ت:١٣٤٩هـ)، **دلائل النظام**، ط١، ١م، المطبعة الحميدية، الهند،١٣٨٨.

١٦٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ)، (د.ت)، **كتاب العين**، (تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي)، دار الهلال، مصر.

١٦٦. فرغلي، قطب عامر (٢٠٠٦م)، **عالم النبات**، ط٤، ١م، كتيب مجلة إعجاز.

١٦٧. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، **بصائر ذوي التمييز**، (د.ط)، ٦م، (تحقيق: محمد علي النجار) ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٩٩٦ م.

١٦٨. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، ط٨، ١م، مؤسسة الرسالة، لبنان، ٢٠٠٥ م.

١٦٩. القارئ، عبد العزيز بن عبد الفتاح (١٩٧٥م)، **قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم ابن أبي النجود**، ط١، ١م، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٧٠. القاسمي، محمد جمال الدين (ت: ١٣٣٢هـ)، **محاسن التأويل**، ط١ ،٩م، دار الكتب العلميه، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٧١. القاضي عياض، عياض بن موسى (ت: ٥٤٤هـ)، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، ط٨،١م، (تحقيق: الدكتور يحيى اسماعيل)، دار الوفاء، مصر،١٩٩٨ م.

١٧٢. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ)، **أدب الكاتب**، (د.ط)، ١م، (تحقيق: محمد الدالي)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٧٣. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ)، **غريب القرآن**، (د.ط)، (تحقيق: أحمد صقر)، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.

١٧٤. القرطبي، محمد بن أحمد (ت: ٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، ط٣، ١٠م، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٦٤م.

١٧٥. قلعجي، محمد رواس وقنيبي، حامد (١٩٨٨م)، **معجم لغة الفقهاء**، ط٢، ١م، عمان: دار النفائس.

١٧٦. القيعي، محمد (١٩٩٦م)، **الأصلان في علوم القرآن**، ط٤، ١م، مصر: جامعة الأزهر.

١٧٧. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ط١، (تحقيق طه عبد الرؤوف)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٩٦٨م.

١٧٨. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، **التبيان في أقسام القرآن**، ط١، ١م، دار الفكر، بيروت.

١٧٩. كارم، السيد غنيم (١٩٩٥م)، **الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق**، ط١، ١م، القاهرة: دار الفكر العربي.

١٨٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، **(تفسير ابن كثير)** ط٢، ٨م، (تحقيق: سامي بن محمد)، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٩م.

١٨١. الكحيل، عبد الدائم (٢٠٠٦م)، **أسرار الكون بين العلم والقرآن**، ط١، نشر: موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنَّة.

١٨٢. الكحيل، عبد الدائم (٢٠٠٩م)، **روائع الإعجاز في الكون**، كتاب إلكتروني، نشر موقع الكحيل.

١٨٣. الكرماني، محمد بن أبي المحاسن (ت: ٥٦٣هـ)، **مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني**، ط١، ١م، (تحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج)، دار ابن حزم، لبنان،٢٠٠١م.

١٨٤. الكفوي، أيوب بن موسى (ت: ١٠٩٤هـ)، **الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية**، (الكليات)، (د.ط)١م، (تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري)، مؤسسة الرسالة، لبنان،١٩٩٨م.

١٨٥. الكيرنوري، خليل (٢٠١٠م)، **موسوعة الأفلاك والأوقات**، ط٣، ١م، الهند: المطبعة اليوسفية.

١٨٦. لاشين، موسى شاهين (٢٠٠٢م)، **اللآلئ الحسان في علوم القرآن**، ط١، ١م، مصر: دار الشروق.

١٨٧. لجنة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (د.ت)، **المعجم الوسيط**، (د.ط)، ٢م، مصر: دار الدعوة.

١٨٨. اللحام، بديع السيد، **وهبة الزحيلي، العالم الفقيه المفسر**، ط١، ١م، دار القلم، دمشق، ٢٠٠١م.

١٨٩. ابن مالك، جمال الدين الأندلسي (ت:٦٧٢هـ)، **الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد**، ط١،١م، (تحقيق: حسين تورال، طه محسن)، مطابع النعمان، النجف، ١٩٧٢م.

١٩٠. مالك، مالك بن أنس (ت:١٧٩ هـ)، **موطأ الإمام برواية ابن القاسم**، ط١،١م، (تحقيق: السيد محمد بن علوي بن عباس)، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات، ٢٠٠٤ م.

١٩١. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٤٥٠هـ)، **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، (د.ط)٦م، (تحقيق: السيد بن عبد المقصود)، دار الكتب العلمية، لبنان،(د.ت).

١٩٢. متولي، أحمد مصطفى (٢٠٠٥م)، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية**، ط١، ١م، القاهرة: دار ابن الجوزي.

١٩٣. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٨٢م)، **معجم الجيولوجيا**، ط٢، ١م، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع.

١٩٤. مجموعة من المؤلفين(١٤٢٧هـ)، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط٢، ٤٥م، الكويت: دارالسلاسل.

١٩٥. مجموعة من العلماء والباحثين (١٩٩٩م)، **الموسوعة العربية العالمية**، ط٢، ٣٠م، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة.

١٩٦. مجموعة من العلماء (٢٠١٠ م)، **الموسوعة العربية الميسرة**، ط١، ٧م، بيروت: المكتبة العصرية.

١٩٧. مجموعة من علماء الأزهر(١٩٧٣ م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط١، ١٠م، مصر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

١٩٨. المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد (ت: ٨٦٤هـ) والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:٩١١)، **تفسير الجلالين**،ط١،١م، دار الحديث، القاهرة.

١٩٩. محمد، إسماعيل ابراهيم (د.ت)، **القرآن وإعجازه العلمي**، (د.ط) ، لبنان، دار الفكر العربي.

٢٠٠. محمد، عبده (ت: ١٩٠٥م)، **تفسير جزء عم**، ط٣، ١م، مطبعة مصر، ١٣٤١هـ.

٢٠١. محمدين، محمد والفراء، طه (١٤٢٢هـ)، **المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة**، ط١،٤م، دار المريخ.

٢٠٢. محيسن، محمد سالم (١٩٩٧ م)، **الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، ط١، ٣م، بيروت: دار الجيل.

٢٠٣. المدرسي، محمد تقي (٢٠٠٧م)، **من هدي القرآن**، ط٢، ١٢م، العراق: دار القارئ.

٢٠٤. المراغي، أحمد مصطفى (ت: ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، ط١، ٣٠م، مصطفى البابي، مصر، ١٩٤٦م.

٢٠٥. مرتضى، مطهري، **استدلال القرآن على التوحيد بالحياة** (د.ت)، (د.ط)، (ترجمة: جعفر خليلي)، لبنان، دار التعارف.

٢٠٦. المرزوقي، أحمد بن محمد الأصفهاني (ت: ٤٢١هـ)، **الأزمنة والأمكنة**، ط١، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٢٠٧. مركز تفسير للدراسات القرآنية (٢٠١٤م)، **المختصر في التفسير**، ط٢، ١م، السعودية: مؤسسة خير.

٢٠٨. المزيودي، محمد مبارك، **الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، سورة التكاثر، نسخة الكترونية.

٢٠٩. المزيودي، محمد مبارك، **الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، سورة الشمس، نسخة الكترونية.

٢١٠. المزيودي، محمد مبارك، **الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، سورة الغاشية، نسخة الكترونية.

٢١١. المزيودي، محمد مبارك، **الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، سورة الليل، نسخة الكترونية.

٢١٢. المزيودي، محمد مبارك،**الاعجاز البياني في القرآن الكريم**، سورة النازعات، نسخة الكترونية.

٢١٣. مسلم، ابن الحجاج (ت: ٢٦١ هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، (صحيح مسلم)**، ط١، ٨م، دار الجيل، بيروت، مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول، سنة ١٣٣٤ هـ.

٢١٤. مسلم، مصطفى (٢٠٠٥م)، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ط٤، ١م، دمشق: دار القلم.

٢١٥. المصلح، عبد الله بن عبد العزيز والصاوي، عبد الجواد (٢٠٠٨م)، **الاعجاز العلمي في القرآن والسنة**، ط١، ١م، السعودية: دار جياد.

٢١٦. المصلح، عبد الله بن عبد العزيز (٢٠١١م)، **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تاريخه وضوابطه**، ط٣، ١م، السعودية: دار جياد.

٢١٧. مقاتل، أبو الحسن بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، **تفسير مقاتل**، ط١، ٥م، (تحقيق: عبد الله محمود شحاته)، دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٣ هـ.

٢١٨. المقدسي، ضياء الدين محمد (ت: ٦٤٣هـ)، **الأحاديث المختارة**، ط٣، ١٣م، (تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش)، دار خضر، بيروت،٢٠٠٠ م.

٢١٩. مكرم، عبد العال (١٤١٧هـ)، **المشترك اللفظي في الحقل القرآني**، ط٢، ١م، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٢٠. مكي، مجد (٢٠١٠م)، **المعين على تدبر الكتاب المبين**، ط٢، ١م، بيروت: مؤسسة الريان.

٢٢١. المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت: ١٠٣١هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط١،١م، علم الكتب، ١٩٩٠م.

٢٢٢. منصور، محمد حسب (٢٠١٠م)، **الرواسي الشامخات والماء الفرات**، ط١، ١م، القاهرة: دار الفكر.

٢٢٣. منصور، محمد حسب (٢٠١٠م)، **سباحة الأرض وجريانها**، (د.ط)، ١م، القاهرة: دار الفكر.

٢٢٤. منصور، محمد حسب (٢٠١٠ م)، **الماء لغز الحياة**، ط١، ١م، القاهرة: دار الفكر.

٢٢٥. منصور، محمد حسب (٢٠١٠م)، **نجم الشمس في السماء الدنيا**، ط١، ١م، القاهرة: دار الفكر.

٢٢٦. منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، ١٥م، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٢٧. المويل، كمال (١٩٩٥م)، **آيات الطبيعة في القرآن**، ط١، ١م، دار الكتب العربية.

٢٢٨. الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري (ت: ٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**،(د.ط)،٢م، (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد)، دار المعرفة، بيروت.

٢٢٩. الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة (٢٠٠٦م)، **معارج التفكر ودقائق التدبر**،ط١، ١٥م، دمشق: دار القلم.

٢٣٠. النابلسي، محمد راتب (٢٠٠٥م)، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، ط٢ ،٢م، سوريا: دار المكتبي.

٢٣١. النجار، زغلول راغب (٢٠٠٥م)، **الأرض في القرآن الكريم**، ط١، ١م، بيروت، دار المعرفة.

٢٣٢. النجار، زغلول راغب (٢٠٠٧م)، **تفسير الآيات الكونية**، ط١، ٤م، مصر: مكتبة الشروق.

٢٣٣. النجار، زغلول راغب (٢٠٠٦م)، **خلق الإنسان في القرآن**، ط١، ١م، بيروت: دار المعرفة.

٢٣٤. النجار، زغلول راغب (٢٠٠٥م)، **السماء في القرآن الكريم**، ط٣ ،١م، بيروت: دار المعرفة.

٢٣٥. النجار، زغلول راغب (٢٠٠٩م)، **مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة**، ط١، ١م، بيروت: دار المعرفة.

٢٣٦. النجار، زغلول راغب (٢٠٠٨م)، **المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم**، ط١٠، ١م، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

٢٣٧. نخبة من علماء التفسير، بإشراف: مصطفى مسلم (٢٠١٠م)، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ط١، ١٠م، الإمارات: جامعة الشارقة.

٢٣٨. النسائي، أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ)، **سنن النسائي**، ط٥، ٨م، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث)، دار المعرفة، ببيروت،١٤٢٠هـ.

٢٣٩. نويهض، عادل (١٩٨٨م)، **معجم المفسرين**، ط٣ ،٢م، لبنان: مؤسسة نويهض.

٢٤٠. النيسابوري، أحمد بن الحسين بن مِهْران (ت: ٣٨١هـ)، **المبسوط في القراءات العشر**،ط١، ١م، (تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي)، نشر: مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١م.

٢٤١. الهرري، محمد الأمين (٢٠٠١م)، **حدائق الروح والريحان**، ط١، ٣٣م، لبنان: طوق النجاة.

٢٤٢. الهلالي، سليم عيد و آل نصر، محمد بن موسى (١٤٢٥هـ)، **الاستيعاب في بيان الأسباب**، ط١، ٣م، السعودية: دار ابن الجوزي.

٢٤٣. وهبي، صالح محمود (٢٠٠٤م)، **البيئة من منظور إسلامي**، ط١، ١م، دمشق: دار الفكر.

٢٤٤. ياسوف، أحمد (١٩٩٩م)، **جماليات المفردة القرآنية**، ط٢، ١م، دمشق: دار المكتبي.

٢٤٥. ياسين، حكمت بن بشير (١٩٩٩ م)، **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، ط١، ٤م، المدينة النبوية: دار المآثر.

٢٤٦. اليشكري، يوسف بن علي بن جبارة، (ت: ٤٦٥هـ)، **الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها**، ط١، ١م، (تحقيق: جمال بن السيد)، دار سما، ٢٠٠٧م.

٢٤٧. يوسف، الحاج أحمد (٢٠٠٣م)، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة**، ط٢، ١م، دمشق: مكتبة ابن حجر.

٢٤٨. يوسف، محمد خير رمضان (١٩٩٨م)، **تتمة الأعلام**، ط١،١م، لبنان: دار ابن حزم.

قائمة الرسائل الجامعية

١. إدعيس، منى رفعت (٢٠٠٣م)، **مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.

٢. باسلوم، جواهر محمد سرور (١٤٠٨هـ)، **النبات في ضوء القرآن الكريم والسنة**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية.

٣. البدوي، أحمد عباس (١٩٨١م)، **أهم خصائص السورة والآيات المكية ومقاصدها**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية.

٤. بدوي، محمد عبد الفتاح (٢٠١١م)، **أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم، دراسة تطبيقية على قد سمع وتبارك وعم**، رسالة ماجستير، غير منشورة،الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

٥. البشير، إبراهيم محمد أحمد (٢٠١١م)، **سورة البروج دراسة تحليلية موضوعية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

٦. الجبوري، جنان منصور كاظم (٢٠٠٥م)، **التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، دراسة بلاغية**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، العراق.

٧. الدوري، محمد ياس خضر (٢٠٠٥م)، **دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني**، أطروحة دكتوراه، منشورة، جامعة بغداد، بغداد، العراق.

٨. رابح، أمينة (٢٠١٣م)، **مقاصد السور القرآنية، دراسة نظرية تطبيقية**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة وهران، وهران، الجزائر.

٩. زنكنة، آلان سمين مجيد (٢٠٠٢م)، **العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، العراق.

١٠. الزيدي، هدى هشام إسماعيل (٢٠٠٥ م)، **الضابط اللغوي في التفسير العلمي**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، العراق.

١١. سيفي، خالد سيف الله (١٩٨٣م)، **القسم في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية.

١٢. سمور، ابتسام ديب (٢٠١١)، **منهجيات في الإصلاح والتغيير في ضوء سورة عبس**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

١٣. صابر، محمد أحمد (٢٠٠٨م)، تفسير **القرآن بالقراءات القرآنية العشر، من سورة التغابن إلى سورة الناس**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

١٤. صنبع، علي بن حسين (١٤٣٠هـ)، **المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية.

١٥. عادل، محمد صالح (١٩٨٤م)، **خصائص السورة والآيات المدنية ومقاصدها**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية.

١٦. العارضي، محمد جعفر محيسن (٢٠٠٢ م)، **الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القادسية، الديوانية، العراق.

١٧. العامودي، عبهرة سميح (٢٠٠٦م)، **الأرض في ضوء القرآن، دراسة موضوعية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

١٨. العبادسة، فتحي عبد العزيز (٢٠٠٢م)، **الماء في القرآن الكريم، دراسة موضوعية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

١٩. عبد الله، ديالا عبد الجبار (٢٠١٠م)، **الليل والنهار في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.

٢٠. عثمان، محمد عرفان (١٩٨١م)، **سورة النازعات وبيان أهدافها**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

٢١. عصام، أسعد أحمد (٢٠١٢م)، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية في سور جزء عم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

٢٢. عماشة، أشرف أحمد (٢٠٠٣م)، **الكون والرؤية العلمية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة المنوفية، المنوفية، مصر.

٢٣. القرني، محمد بن علي (٢٠١٢م)، **التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، وأثره في التفسير**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية.

٢٤. محمود، فضل محمود (٢٠١٤م)، **السماوات والأرض بين الفهم الإسلامي والعلم الحديث**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

٢٥. نبهان، وهبة عوض (٢٠١٢م)، **النعم البرية والبحرية في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

٢٦. النجماوي، أحمد صالح حميد (٢٠٠٣ م)، **السماء والأرض في القرآن الكريم، دراسة دلالية للألفاظ والتراكيب**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الموصل، الموصل، العراق.

٢٧. الهلالات، راجي محيسن (٢٠١٢م)، **آيات إحياء الموتى في سورة البقرة دراسة موضوعية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

٢٨. الوعلان (١٤٣٣ هـ)، **الآيات الكونية دراسة عقدية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الإمام، الرياض، السعودية.

قائمة المؤتمرات

١. بودوخة، مسعود (٢٠١١ م)، جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم، **المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه**، بفاس، المملكة المغربية، ١٤-١٦، أبريل، نسخة الكترونية.

٢. الحضيري، محمد عبد السلام (١٤٣١هـ)، مقاصد القرآن الكلية وأهميتها في التفسير الموضوعي، **مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق**، جامعة الشارقة، يومي ١١-١٢، جمادى الأولى، نسخة الكترونية.

٣. الخطيب، عبد الله (١٤٣١هـ)، مقاصد القرآن الكريم، وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني، **مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق**، جامعة الشارقة يومي ١١-١٢، جمادى الأولى، نسخة الكترونية.

٤. الريسوني، أحمد (٢٠١١ م)، في جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم، **المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه**، مدينة فاس، المغرب،١٤-١٦،أبريل.

٥. سيد، عمارة (٢٠٠٤ م)، الأرض دائمة الحركة، ودلالة ذلك في القرآن الكريم، **مؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، دبي، ٢٢ــ ٢٥، مارس.

٦. العباد، هدى عبدالله (٢٠٠٦م)، دلالة الإعجاز العلمي في إثبات حقيقة تنفس الصبح، والتغيرات المناخية المصاحبة، **المؤتمر العالمي الثامن، للإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، الكويت.

٧. قطب، عامر عمران (٢٠١١م)، آثار ظلام الليل وضوء النهار على النبات، **المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، اسطنبول من١١-١٤، مارس.

٨. الكحيل، عبد الدائم (٢٠٠٦م)، النسيج الكوني، **المؤتمر الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، الكويت، نسخة الكترونية.

قائمة المجلات

١. الأشقر، إدريس (٢٠٠٣م)، السماء بناء وزينة، **مجلة الإعجاز**، (عدد١٤)، نسخة إلكترونية.

٢. الأنيس، عبد الحكيم (٢٠٠٢م)، أضواء على ظهور علم المناسبة، **مجلة الأحمدية**، الإمارات، (عدد١١).

٣. الخطيب، عبد الله ومسلم، مصطفى (٢٠٠٥م)، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، **مجلة جامعة الشارقة**، الشارقة، (عدد٢) مجلد٢.

٤. الراجحي، عبد الغني (١٩٨١م)، الأرض والشمس في منظور الفكر الإسلامي، حقائق في مواجهة الأباطيل، **مجلة دراسات في الإسلام**، (عدد٢٣٩).

٥. الراوي، قتيبة فوزي (٢٠١٢م)، بحث بعنوان: الاعجاز العلمي، وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، **مجلة الأستاذ**، (عدد٢٠١).

٦. زياد، موسى أحمد (٢٠١٠م)، نعمة وجود الشمس، **مجلة حراء**، السنة ٦، (عدد٢١).

٧. سالم، عطية محمد (١٩٧٤م)، مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، **مجلة الجامعة الإسلامية**، المدينة المنورة، السنة السادسة، (عدد٣).

٨. الشربجي، محمد يوسف (٢٠٠٤م)، بحث بعنوان: الإمام عبد الحميد الفراهي، ومنهجه في تفسيره نظام القرآن، **مجلة جامعة دمشق**، مجلد٢٠، (عدد٢).

٩. طبره، عبد الفتاح محمد (٢٠٠٨م)، خلق الإنسان من تراب، في **مجلة الإعجاز**، (عدد٥).

١٠. العمري، حسين يوسف (٢٠٠٢م)، بناء السماء والمادة المظلمة دراسة مقارنة بين الفلك والقرآن، **مجلة مؤتة للبحوث والدّراسات** (سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مجلد ١٧، (العدد ٦).

١١. الغالبي، خلاف (٢٠٠٢م)، التربة والماء وأثرهما في إنبات الطعام، **مجلة الإعجاز**، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (عدد١٢)، نسخة إلكترونية.

١٢. فرحات، محمد إقبال (٢٠٠٦م)، أصول التفسير عند الفراهي، عرض ونقد، **مجلة جامعة الشارقة**، مجلد٣ (عدد٢).

١٣. قنيبي، حامد صادق (١٣٩٩هـ)، مملكة النبات: كما يعرضها القرآن ويصفها، **مجلة الجامعة الإسلامية**، المدينة المنورة، ط١١، (عدد٣).

١٤. اللجنة العلمية بهيئة الإعجاز العلمي (٢٠٠٠م)، الأرض فراشاً، **مجلة الإعجاز**، (عدد٨).

١٥. النجار، زغلول راغب (٢٠٠٧م)، كيف يتنفس الكون، **مجلة حراء**، سنة٣، (عدد٩).

١٦. وسن، محمود لطيف (٢٠١٤م)، محاور الخطاب القرآني في سورة عبس، **مجلة مداد الآداب**، الجامعة العراقية، مجلد١، (العدد ٧).

١٧. الياسري، هاشم عبد الله طاهر (٢٠١٣م)، الإعجاز القرآني في آيات الطبيعة، دراسة تحليلية، **مجلة دراسات تربوية**، (عدد٢١).

١٨. اليامي، سعيد حمود (١٤٢٣هـ)، دلالات السياق القرآنية على وجود الثقوب السوداء، **مجلة الإعجاز العلمي**، (عدد٢٣).

قائمة المقالات

١. حمامة، حسني حمدان الدسوقي، بعنوان: الجبال في القرآن الكريم، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة١-٧-٢٠١٤م. /٩١٦٦٨/١١٦٠٨http://www.alukah.net/hosnihamama/

٢. الصعدي، عادل، بعنوان:والأرض ذات الصدع، مركز بحوث جامعة الإيمان، موقع الجامعة. http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=١٦٨٢

٣. عتوك، محمد إسماعيل، بعنوان، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، موقع: موسوعة الإعجاز العلمي. http://quran-m.com/quran/printarticles/٢٥٩٥/

٤. أبو العطا، نظمي خليل، بعنوان: العقرب،غدار في الليل، موقع نظمي خليل أبو العطا. http://www.nazme.net/ar/index.php?p=show_articles&id=٥٣

٥. كتّاب، حسين أحمد، بعنوان: الإعجاز العلمي في سورة الطارق، موقع فصلت المتخصص في الإعجاز العلمي بالحقائق العلمية. https://fussilat.org/

٦. الكحيل، عبد الدائم، بعنوان: الإعجاز العلمي في الكون، موقع موسوعة الإعجاز العلمي. http://www.kaheel٧.com/ar/index.php/٢٠١٠-٠٢-٠٢-٢٠١٠-٢٢-٤٦-١٥/٨٨-٢٠١٠-٠٢-٢٧-٠١-٠٠-٣٤

٧. الكحيل، عبد الدائم، بعنوان: الجوار الكنس، موقع: أسرار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. http://www.kaheel٧.com/ar/index.php/٢٠١٠-٠٢-٠٢-٢٠-٠٦-٠٤/٥٠٧-٢٠١٢-١٠-١٧-١٨-٢٥-٥٢

٨. الكحيل، عبد الدائم، بعنوان: ظاهرة الشفق، موقع: موسوعة الإعجاز العلمي. http://www.kaheel٧.com/ar/index.php/٢٠١٠-٠٢-٠٢-٢٠-٠٦-٠٤/٤٤٨-٢٠١٢-٠٥-٣٠-٠٠-٢٠-٥٩

٩. الكحيل، عبد الدائم، بعنوان: العلاج بضوء الفجر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن. http://www.kaheel٧.com/ar/index.php/٢٠١٠-٠٢-٠٢-٢٢-١٧-٥٨/٩١٥-٢٠١٣-٠١-٢٧-٢٣-١٢-٥٣

١٠. الكحيل، عبد الدائم، بعنوان: فوائد صلاة الصبح، موقع: الكحيل للإعجاز العلمي. http://www.kaheel٧.com/ar/index.php/٢٠١٢-١٢-٠٤-١٨-٣٢-٢٨/١٣٤٠-٢٠١٣-٠٦-١٤-١٧-٣٤-٥٩

١١. مصباح، سيد كامل، بعنوان: التوجيه القرآني، والإيقاع البيولوجي، الهيئة العالمية للإعجاز. http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/-Number-٧٣-

-Qur-anic-guidance-and-biological-rhythm-teachings-of-Islam-and-٧٢٢XV/circadian-rhythm

١٢. النجار، زغلول، بعنوان: من أسرار القرآن، **صحيفة الأهرام:** الإثنين، ٣، جمادى الآخرة، ١٤٢٨هـ، سنة ١٣١، عدد: ٤٤٠٢٣.

١٣. نصير، أحمد مصطفى، بعنوان: دلالات تربوية على سورة الشمس، شبكة الألوكة، بتاريخ:٤-١٢-٢٠١٣م . **http://www.alukah.net/authors/view/home/١٤٧٩/**

١٤. النعيمي، قسطاس إبراهيم، مقال بعنوان: الإعجاز العلمي في الصلاة، موقع جامعة الإيمان. **http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=١٧٩٤**

١٥. النعيمي، قسطاس إبراهيم، مقال بعنوان: الإعجاز العلمي في: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾، بتاريخ: ٧، يناير، ٢٠١٣م، موقع جامعة الإيمان. **http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=١١٨٨**

THE RELATIONSHIP BETWEEN THE OBJECTIVES OF THE SURAH AND ITS SCIENTIFIC SIGNS " PART 30 AS A PATTERN"

By

Raji Muhesin AL-Helalat

Supervisor

Dr. Suleiman Mohammed AL-Dgoor

ABSTRACT

This study deals in searching with many subjects such as: The objectives and signs of the Quranic Surah to find out the relationship between the objectives of Surah and the Scientific Signs in it. This contains an introduction, an Introductive chapter, three Primary chapters and the conclusions .

First of all, the introductoon, whereas the scholar talks about certain things like: the importance and objectives of the study and its limits .In addtion to the most important onetime studies.

The introductive chapter which is the access of this study, it is made by the searcher here to the theoretic study. It also divided into two materials, the first one for the objectives whereby its betokens, the differences between them, the siginficants of Surah objectives and the ways to detect them.

The second regards with the scientific signs according to its meaings, genera, prominence and its relation with Scientific exegesis and i'jaz.

Then the researcher has allocated the following chapters to the applied study, by showing the relationship between the objectives of the part **30** th & the scientific references contained therein, He addressed in Chapter I:In respect to the scientific references of Terrestrial signs, in Chapter II:In respect to the references of the celestial signs, in chapter III: In respect to the cosmic symptoms and phenomena.

Finally overbalances the general objective of Surah which refer to all the purposes and this is all done after the the explainers speach and then reach to the relation between them and show the influence of them to form a Surah. The searcher then concludes his study of the most important results and recommendations. Thank God for the blessing of Islam .

The key words: The relationship, the signs, the scientific, the Cosmic and the objective, part **30** .